كلية الآداب

دائرة العلوم الاجتماعية والسلوكية

برنامج ماجستير علم نفس مجتمعي

مسارات تشكلات الهوية الفلسطينية عبر التقسيمات الاستعمارية

Trajectories of Palestinian identity formations across colonial divisions

رسالة ماجستير مقدمة من

جمان هاني جمال مزاوي

إشراف: د. لينة ميعاري

شباط 2023

كلية الآداب

دائرة العلوم الاجتماعية والسلوكية

برنامج ماجستير علم نفس مجتمعي

مسارات تشكلات الهوية الفلسطينية عبر التقسيمات الاستعمارية

Trajectories of Palestinian identity formations across colonial divisions

رسالة ماجستير مقدمة من

جمان هاني جمال مزاوي

تاريخ المناقشة: 4.3.2023

لجنة المناقشة:

د. لينة ميعاري- رئيسة اللجنة، د. سما دواني، د. علاء العزة

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج علم النفس المجتمعي من كلية الدراسات العليا في جامعة بير زيت، فلسطين.

اهداء

الى من ينتمي لكامل ترابها، إلى من يسعى ويخدم ويضحي لننعم فيها حرة مستقلة من نهرها إلى بحرها.

لكل صوت "عالي وواضح".

لكل من يرفض كل ما يسيء لهذا الوطن وشعبه.

الى روح د. إبراهيم مكاوي الذي دفعنا باستمرار نحو علم نفس مجتمعي فلسطيني، وأوصانا بالمساهمة في بناء معرفة أصلانية.

الى كل من لهم فضل في استكشافي لهويتي، إلى من صبر واحتوى ورافق وفتح أبواب من التجاور والتجارب والمعرفة والتجول في هذا الوطن، الحاضرين/ات بيننا والخالدين/ات في قلوبنا.

الى روح الجدة في برعم، التي فارق جسدها الحياة أيام قليلة بعد مشاركة حفيدها لروايتها مع التهجير.

الى الوطن، فلسطين، منها واليها.

الشكر والتقدير

إلى الأساتذة في برنامج ماجستير علم نفس مجتمعي في جامعة بير زيت، الذين جسّدوا هذا التوجه في ميادين فلسطين.

الى د. شريف كناعنة، الجد المعنوي لي في رام الله، ومن أرشدني ووجهني وأغنى معرفتي منذ بداية بلورة فكرة الدراسة.

الى جميع المشاركين والمشاركات في المقابلات على ثقتهم واهتمامهم بالمساهمة المعرفية ضمن هذه الدراسة، التي دونهم ما خرجت إلى النور.

إلى الأصدقاء والرفاق الذين لم يترددوا عن الإجابة على أي سؤال والمشاركة في التأملات.

الى كل من ساندني وشجعني ودعمني بشتى الطرق من أجل استكمال هذا المسار.

الى عائلتي السند الدائم، الأول والأخير لجميع خطواتي ورحلات استكشافي وبلورة هويتي.

ختاما، إلى د. لينة ميعاري، مشرفتي التي لم تكل ولم تتنازل. رافقت وارشدت وصبرت ودعمت، منذ اللحظة الأولى وحتى الأخيرة.

الملخص

دراسة فلسطينية تأملية ترحالية تتنقل مع فلسطينيين من مختلف أنحاء فلسطين بكامل ترابها، عبر فضاءات الزمن والجغرافيا وتتأمل في مسارات تشكلات الهوية الفلسطينية عبر التقسيمات الاستعمارية، بهدف البحث في ماهية الديناميكيات والتحوّلات النفسية والاجتماعية التي يمر بها الفلسطينيون خلال سيرورة حياتهم في ظل التقسيمات الاستعمارية وكيفية تأثيرها على تشكيل الهوية الفلسطينية لديهم. هذا من خلال أسئلة فرعية حول ما هي الآثار المرئية وغير المرئية للتقسيمات الاستعمارية على الهوية الفلسطينية؟ ما دور الأحداث والوقائع في تشكيل الهوية الفلسطينية؟ ما هو وزن الروايات الشخصية والعائلية في تشكيل الهوية الفلسطينية؟ وما هي العناصر والمركبات الجوهرية الأخرى التي تلعب دور في تشكيل الهوية الفلسطينية؟ كالعلاقات والممارسات والتنقلات العابرة للتقسيمات الاستعمارية.

في إطارها النظري، ترتكز هذه الدراسة على أسس ومبادئ علم النفس المجتمعي التحرري الذي ارتبط منذ نشأته بنصرة المستضعفين/ات وبالمشروع التحرري السياسي للأوطان والإنسان، بالتالي هي منحازة لفلسطين وتصبو لتسخير المعرفة في سبيل التحرر من الاستعمار الاستيطاني الصهيوني. وللبحث في الهوية الفلسطينية وأبعادها ومسارات تشكلاتها، لا بد من السياق الاستعماري الاستيطاني الصهيوني والتقسيمات السياسية التي يفرضها على فلسطين.

تنبع أهميتها من كونها تشاركية ترتكز بالأساس على سرديات حياة المشاركين والمشاركات في المقابلات وعلى وجهات نظرهم، تجاربهم وفكرهم ومشاعرهم ومعرفتهم، أكثر من ارتكازها على المعرفة النظرية، بالتالي هي لا تدّعي الموضوعية. هذا إضافة لكونها حديثة الزمن ولا تخضع للتقسيمات السياسية الاستعمارية المفروضة على فلسطين، لا من حيث البلدات الأم والاقامة للمشاركين/ات ولا من حيث الإطار النظري وتحليل النتائج.

لتحقيق ما ذكر أعلاه، تعتمد هذه الدراسة منهجية البحث الكيفي التأملي التشاركي وأسلوب المقابلات الحوارية الترحالية المعمقة عبر الفضاءات الزمنية والجغرافية وشمولية السياقات، من أجل التأمل والتعلم من سيرورة تشكيل الهوية الفلسطينية لدى ثلاثة عشر فلسطيني/ة من الجيل الثالث للنكبة. توفر هذه المقابلات مادة من البيانات التي يجري الاستفادة منها في عملية التحليل بهدف التوصل إلى المعرفة المشتركة، كما أنها تتيح

التأمل التي قد تؤدي الى بصيرة لدى كل من المشاركين والباحثة وإنتاج معرفة مشتركة لم تكن مدرَكة قبل ذلك.

يأتي تحليل النتائج من خلال خمسة محاور تم استنباطها من فحوى المقابلات، وهم: القيم والمبادئ، الانتماء مقابل الاغتراب، الأسرة، الألم والأمل والوعي ومن ثم العلاقات والمواقع الاستعمارية. يليه قسم الاستنتاجات الذي يستعرض ملخص مقتضب للاستنتاجات الكامنة في الدراسة، والمحصور في منظور ووجهة نظر الباحثة، فهي تحبّذ وتحث القارئ/ة على التأمل واستخلاص الاستنتاجات بأنفسهم/ن.

Abstract

A contemplative, nomadic, Palestinian study that travels with Palestinians from various regions of Palestine, through the spaces of time and geography, and reflects on the trajectories of Palestinian identity formations across colonial divisions, with the aim of researching and grasping the psychological and social dynamics and transformations that Palestinians go through during their lifetime in light of colonial divisions and how they affect the formation of their Palestinian identity.

This has been done through sub-questions about what are the visible and invisible effects of colonial divisions on the Palestinian identity? the role of events and realities in shaping the Palestinian identity? What is the weight of personal and family narratives in shaping the Palestinian identity? and what are the other essential elements and components that play a role in shaping the Palestinian identity, Such as relations, practices, and transitions across colonial divisions.

In its theoretical framework, this study is based on the foundations and principles of liberal community psychology, which has been associated since its inception supporting the oppressed and the political liberation for homelands and people. Therefore, it is biased towards Palestine and aspires to harness knowledge for the sake of liberation from Zionist settler colonialism. In order to discuss the Palestinian identity, its dimensions, and the trajectories of its formation, it is necessary to delve into the Zionist settler-colonial context and the political divisions it imposes on Palestine.

The importance of this study stems from the fact that it is participatory and based mainly on the narratives of the participants' lives during the interviews and on their points of view, experiences, thoughts, feelings and knowledge, rather than on theoretical knowledge, and therefore it does not claim objectivity. This is in addition to being recent and not subject to the colonial political divisions imposed on Palestine, neither in terms of the hometowns and places of residence of the participants nor in terms of the theoretical framework and analysis of the results.

To achieve the mentioned, this study adopts the methodology of qualitative, reflective, participatory research and the method of in-depth nomadic dialogue interviews across temporal and geographical spaces and the inclusiveness of contexts, for the sake of reflecting and learn from the process of shaping the Palestinian identity among thirteen Palestinians from the third generation of the Nakba. These interviews provide data that is being used in the analysis process with the aim of attaining common knowledge, and it also allows for reflection that may lead to insight for both the participants and the researcher, as well as the production of common knowledge that was not realized before.

The analysis of the results comes in through five axes that were drawn from the content of the interviews, namely: values and principles, belonging versus alienation, family, pain, hope and awareness, and then colonial relations and sites. This is followed by the conclusions, which presents a brief summary of the conclusions underlying in the study, and is limited to the perspective and point of view of the researcher, as it favors and urges the reader to reflect and draw conclusions for themselves.

الفهرس

الفصل الأول- أهداف الرسالة ومنهجيتها	
المقدمة	1
أهمية الدراسة	2
إشكالية الدراسة	3
أسئلة الدراسة	4
منهجية الدراسة وطريقة جمع المعلومات	4
عينة الدراسة	5
موقعية الباحثة	9
ديناميكية المقابلات	10
معضلات أخلاقية	11
فصول الدراسة	12
الفصل الثاني- الإطار النظري	
مقدمة	**13**
علم نفس مجتمعي	14
الاستعمار الاستيطاني في فلسطين	21
التقسيمات الاستعمارية الاستيطانية في فلسطين	39

الهوية الفلسطينية والأبعاد النفسية والاجتماعية لتشكيلها في ظل التقسيمات الاستعمارية	57
الفصل الثالث- عرض وتحليل النتائج	
مقدمة	85
عرض وتحليل في إطار القيم والمبادئ	87
عرض وتحليل في إطار الانتماء مقابل الاغتراب	93
عرض وتحليل في إطار الأسرة	98
عرض وتحليل في إطار الألم والأمل والوعي	103
عرض وتحليل في إطار العلاقات والمواقع الاستعمارية	108
الاستنتاجات	120
الخاتمة	123
قائمة المراجع	
المراجع العربية	125
المراجع باللغة الانجليزية	128

*** ملاحظة: هذه الدراسة كُتبت غالبا بصيغة المذكر، لكنها عن وموجهة لكل أطياف التعريفات الجنسية.**

الفصل الأول

أهداف الرسالة ومنهجيتها

المقدمة

" أنا فلسطينية" جملة قد تبدو بديهية فالهوية القومية من المفترض أن تكون واضحة، تُعرّف بحسب الوطن الذي ولدنا فيه ونعيش فيه وننتمي إليه وكذلك بحسب الأوراق الثبوتية التي نمتلكها، هكذا بشكل عام في أنحاء العالم. ولكنه ليس الحال في فلسطين، الوطن الصامد والمقاوم للاستعمار الاستيطاني الصهيوني. حيث بكل منطقة من مناطقه الجغرافية يمتلك الناس أوراق ثبوتية مختلفة منها الزرقاء ومنها الخضراء، منها الدائمة ومنها المؤقتة، منها تحمل اسم فلسطين ومنها الأردن ومنها "اسرائيل"، بعضنا كل اوراقنا بذات اللون والمسمى وبعضنا كل ورقة بلون ومسمى.

في وطننا أخذت الأرقام والألوان معاني وسياقات وأبعاد، منها تلك التي فُرضت علينا ومنها ما نختارها ونتمسك بها، بعضها يجمعنا وبعضها يفرقنا؛ "48"، "67"، " 78"، "2000"، "2022"، "6"، "أخضر"، "أزرق"، "أسود"، وألوان نُلاحق حين نجمعها "الأسود والأبيض والأحمر والأخضر"، وحتى اللغة لم تسلم من هذه التقسيمات سواء ما اخترناه منها أو ما يفرض علينا؛ هذا "ضفاوي" وتلك "غزاوية"، هو من "الداخل" وهي "48"، أنت "لاجئ"، وهي من "الشتات"، هؤلاء "شتاحيم" وأولئك "عرب اسرائيل". ولكل ما ذكر تداعيات وإسقاطات على حياتنا اليومية بمختلف تفاصيلها ومجالاتها، ولها أثر على الأبعاد النفسية والاجتماعية لذواتنا منذ لحظة ولادتنا وعلى مدار كل حياتنا.

لماذا؟ السبب واضح وهو الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، بكافة ممارساته وانتهاكاته وخططه لتحقيق أهدافه على هذه الأرض من نهرها الى بحرها، وعلى امتداد بلاد الشام والوطن العربي عامة.

لسنوات عديدة لم أعرف عن نفسي ك"فلسطينية"، ولم يكن وطني فلسطين. ليس لعدم وجودي في هذه البلاد ولا بسبب أوراق معينة، فمنذ ولدت وحتى اليوم وأنا أسكن في وطني وأملك ذات الأوراق الثبوتية. بذات الوقت لم أكن "اسرائيلية"، كنت أدرك معظم مركبات هويتي اللا الوطنية. لم أعرف من أنا! أذكر الفترة التي بدأت أشعر فيها بالحاجة الملحة لتعريف هويتي الوطنية، وقراري بالبحث عن هويتي ولكن هذه المرة بقرار واختيار واعي. أخذني سنوات عديدة من البحث، وخضت تجارب كثيرة ومتعددة، منها ذاتي ومنها مع ومن

خلال الآخرين، بالحوارات والمجاورات والممارسات والأماكن والأنشطة. كان المسار تراكمي وجوهري حتى وصلت لمرحلة أقولها بيقين وفخر واعتزاز "أنا فلسطينية ووطني فلسطين".

خلال هذا المسار لاحظت انه لدى الناس مسارات فيها تفاصيل مختلفة، دوافع متنوعة، تجارب ولحظات مفصلية متنوعة. فمنهم من يعرف عن هويته بوضوح منذ الطفولة، ومنهم منذ المراهقة، منهم من ورثها عن أجداده ومنهم من خلال تغذية فكرية ضمن نشاطات تنظيمات، ومنهم من خلال تجارب يومية مشوبة بانتهاكات الاستعمار الاستيطاني. ومن هنا أثار فضولي كيف لكل هذه الناس بسياقات حياتها وتفاصيل تنشئتها وظروفها المختلفة، ومع كل ممارسات وانتهاكات الاستعمار الاستيطاني ومحاولاته طمس ومحو هويتنا من خلال محاولات أسرلتنا وترهيبنا، أن يكونوا على يقين انهم "فلسطينيين"؟ وما هي الممارسات والتحولات التي شكلت هويتهم؟ ما هي الأبعاد النفسية والاجتماعية لتلك الهوية الفلسطينية في ظل وجود التقسيمات الاستعمارية.

انطلاقا من إيماني ببناء المعرفة من ومع الناس بشكل تشاركي، ولأهمية التجاور مع الناس والتعلم الشعبي، قررت أن أبحث في هذه التساؤلات من خلال مقابلات حوارية ترحالية مع فلسطينيين وفلسطينيات من مختلف أنحاء الوطن وعلى كامل ترابه، وأن نبني هذه المعرفة بشكل تشاركي ونتأمل سوية في مسار تشكيل هوية كل منهم وما يشمله هذا المسار من لحظات وتواريخ وأحداث وأشخاص وتجارب وأفكار ومشاعر والتي يرونها جوهرية وذات صلة. آملة أن نبني معرفة حالية من محض حاضرنا لتساهم هذه المعرفة في تعزيز الهوية الفلسطينية الصامدة في وجه الاستعمار الاستيطاني وكل ممارساته ومخططاته والتمسك فيها.

أهمية الدراسة

هذه دراسة تأملية ترحالية: تتنقل مع فلسطينيين من مختلف أنحاء فلسطين بكامل ترابها، عبر فضاءات الزمن والجغرافيا والشعور والهوية، وفق تسلسل المراحل والديناميكية لدى المشاركين بالدراسة، بهدف التعلم من تجارب الناس واستكشاف المعرفة منها وبناء المعرفة معهم بشكل تشاركي.

أن المتداول في هذه الدراسة من طرح وتحليل واستنتاجات هو ليس بمحض جهدي لوحدي وإنما هو نتاج مسار تشاركي بدأ منذ سنوات خلال دراستي في برنامج الماجستير ضمن أروقة الجامعة وخارجها من خلال حضوري ومشاركتي في مؤتمرات، ندوات، حواريات، مجاورات وتجوالات ومقابلات قمت بها كجزء من

سيرورة تشكيل هويتي وبلورة تساؤلاتي البحثية واختيار موضوع الدراسة واستمرت إلى مرحلة المقابلات وما بعدها، هي معرفة جماعية تشاركية تشكلت بفضل تعاون واهتمام ومشاركات كل من كان جزء.

إضافة لذلك؛ تصبو هذه الدراسة إلى تشكيل مساهمة معرفية في هذا المجال خصوصاً أنها تعتمد بالأساس على التجارب والآراء الشخصية للمشاركين، لا على معرفة أكاديمية علمية فحسب. وأن تكون هذه المعرفة حديثة زمنيا ومن سياق مستجدات فلسطين بالفترة الزمنية الأخيرة.

متأملة أن تساهم لاحقا في مخططات تدخلات نفسية ومجتمعية تخدم في تعزيز الهوية الفلسطينية لدى سائر الفلسطينيين الذين لا يعرّفون عن أنفسهم كفلسطينيين.

إشكالية الدراسة

من الجدير بالذكر ان هذه الدراسة تسعى للوصول الى معرفة حديثة من سياق حاضرنا والماضي القريب، وعلينا ألا ننسى أن الهوية وذواتنا ومسارات حياتنا هي ليست بالثابتة وإنما ديناميكية متغيرة وتراكمية، تتأثر بالسياق الزمني والأحداث. بالتالي لا أدعي أنها حقائق ثابتة لمدى بعيد جدا وانما علينا ان نستمر بمواكبة وتحديث هذه المعرفة مع مرور الزمن.

أن هذه الدراسة لا تدعي تعميم المعرفة المتداولة فيها على سائر الشعب الفلسطيني ولا تطرح مضمونها على شاكلة سيرورة تشكيل الهوية الفلسطينية في ظل الاستعمار الاستيطاني.

أما بما يتعلق بالتحديات التي قد تظهر في تناول هذه القضية، فقد تنبع من كون العينة عينة قصدية استهدفت أشخاص يعتزون بهويتهم الفلسطينية، فماذا عن أولئك الذين خضعوا أو هم ضحية للأسرلة وطمس ومحو الاستعمار الاستيطاني الصهيوني للهوية الفلسطينية. اضافة الى وجود الكثير من الروايات والتجارب الإضافية فلربما كلما كبرت عينة البحث توصلنا إلى معرفة إضافية.
تغطي عينة الدراسة خارطة فلسطين التاريخية بكامل ترابها، لكنها لا تشمل لاجئين ولاجئات من الشتات، وهذا جانب من الجدير العمل على تطويره مستقبلا في الدراسة بهذا المجال.
كخطوات مستقبلية أخرى، سيكون مفيدا أخذ هذه الدراسة لمرحلة متقدمة والعمل على استنباط استراتيجيات ومخططات لتدخلات مجتمعية شمولية تشاركية وتحررية تعتمد على أسس علم النفس المجتمعي من أجل المساهمة قدر الإمكان في تعزيز الهوية الفلسطينية.

أسئلة الدراسة

تتناول هذه الدراسة سيرورة تشكيل الهوية الفلسطينية لدى الفلسطينيين، ولهذه السيرورة أبعاد متعددة ومرتبطة ببعضها البعض، فهي أبعاد نفسية اجتماعية حسيّة عائلية اقتصادية جندرية وسياسية بالطبع، الهوية هي مجمل كل هذه الأبعاد والتحوّلات التي تحصل عليها، من هنا يتجلى السؤال المركزي للدراسة حول ماهية الديناميكيات والتحوّلات النفسية والاجتماعية التي يمر بها الفلسطينيون خلال سيرورة حياتهم في ظل التقسيمات الاستعمارية وكيفية تأثيرها على تشكيل الهوية الفلسطينية لديهم.

وبناء عليه سوف يستثمر البحث في الأسئلة الفرعية الآتية:

ما هي الآثار المرئية وغير المرئية للتقسيمات الاستعمارية على الهوية الفلسطينية؟

ما دور الأحداث والوقائع في تشكيل الهوية الفلسطينية؟

ما هو وزن الروايات الشخصية والعائلية في تشكيل الهوية الفلسطينية؟

ما هي العناصر والمركبات الجوهرية الأخرى التي تلعب دور في تشكيل الهوية الفلسطينية؟ كالعلاقات والممارسات والتنقلات العابرة للتقسيمات الاستعمارية.

منهجية الدراسة وطريقة جمع المعلومات

تعتمد هذه الدراسة على النهج الكيفي التشاركي، وفق أسس ومبادئ علم النفس المجتمعي التحرري الذي ارتبط منذ نشأته بنصرة المستضعفين/ات وبالمشروع التحرري السياسي للأوطان والإنسان (Martin-Baro,1994). فكما يشير فاراس-دياز وسيرانو غارسيا (2003)، علم النفس المجتمعي ليس علما حياديا ولا ينصاع لتعريف الموضوعية التقليدي، بل على العكس، هو منحاز للمستضعفين/ات والمقهورين، حيث تتداخل الخطوط الفاصلة بين العمل النفسي والسياسي والمجتمعي. بهدف فهم الحالة النفسية للإنسان، لا بد من التوجه الشمولي ومعرفة الظروف الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية التي تعبر

عن ظروف حياة المجتمع اليومية والمادية والاجتماعية (de Fatima Quintal de Freitas, M., 1998).

يعتمد أسلوب البحث على مقابلات حوارية ترحالية معمقة في سيرورة السيرة الذاتية للمشاركين/ات والتي توفر مادة من البيانات التي يجري الاستفادة منها في عملية التحليل بهدف التوصل إلى المعرفة. هذه المقابلات تتيح التأمل التي قد تؤدي الى بصيرة لدى كل من المشاركين والباحثة وانتاج معرفة مشتركة لم تكن مدرَكة قبل ذلك.

تبدأ المقابلات بالتعريف عن نفسي وإطار المقابلة ونهجها وملائمة التوقعات مع المشاركين/ات، من ثم تعريف المشاركين/ات عن أنفسهم. يلي ذلك توجيه الطلب بمشاركتي في سيرورة تشكيل هويتهم/ن وفق وجهة نظرهم/ن واختيارهم/ن من حيث الديناميكيات والتحولات التي تتعلق بالمراحل والأزمنة، الأحداث والوقائع، الأشخاص والتجارب والأفكار والمشاعر منذ بداية وعيهم/ن وحتى اللحظة والتي كانت لها دور جوهري في هذه السيرورة لبناء هويتهم/ن الفلسطينية. نستوقف ونتعمق خلال الحوار عند نقاط معينة وفق الحاجة بنظري و/ أو بنظرهم/ن.

جدير بالذكر أن ممارسة المقابلات على هذا النحو هي بحد ذاتها فرصة ومساحة تأملية واستنتاجية إضافية للمشاركين/ات في الزمن الحي للمقابلة، حيث انها تتيح لهم/ن التأمل والتفكير والتعمق بتفاصيل كثيرة في سيرورة حياتهم/ن باسترسال وتركيز عاليين، وهذا يتيح للإنسان أن ينظر لكافة سيرورة حياته من حيث الزمن والفحوى بنظرة شمولية تنسج كل مسار حياته ومراحله ببعضهم البعض.

المشاركين/ات هم بنظري شركاء في هذه الدراسة وبناء المعرفة هي تشاركية تأملية. حيث الأساس هو كل ما يشاركوني به ومن ثم تأتي مرحلة تحليل النتائج التي تنسج مجمل المشاركات وتعرضها ضمن محاور مركزية لنتوصل بعد ذلك الى الاستنتاجات.

عينة الدراسة

لكي تتمكن الدراسة من الإجابة على تساؤلاتها؛ قمت باعتماد أسلوب المقابلة المعمقة مع 13 شخص فلسطيني من مختلف أنحاء الوطن من شماله الى جنوبه بكامل ترابه وفق الخارطة التاريخية لفلسطين، والمحصورة

أعمارهم بين 27-38 سنة، وهي عينة قصدية تشمل مختلف أطياف التعريف بالهوية الجنسية، يعرّف كل منهم عن نفسه ك "فلسطيني/ة".

غطت العينة العديد من البلدات الفلسطينية ما بين البلدات الأم التي ولد فيها المشاركين/ات، وبين البلدات التي تنقلوا/ن بينها من حيث السكن والتعليم والعمل. وشملت قضاء صفد، عكا، حيفا، الناصرة، جنين، طولكرم، نابلس، يافا، رام الله، الرملة، القدس، غزة وبئر السبع. منها قرى مهجرة وغير مهجرة، مدن وقرى، وهي: المغار، برعم، عكا، شفاعمرو، حيفا، الشيخ، الناصرة، يافة الناصرة، معلول، جنين، ام الفحم، نابلس، القدس، بيت حنينا، بيت لحم، ابو ديس، اللد، بربرة، رام الله، يافا، غزة، بئر السبع، اللقية. هذه المواقع الجغرافية لا تشمل البلدات التي لدى المشاركين\ات في الدراسة علاقات معها و/أو يمارسون/يمارسن واجب وطني ومجتمعي ونشاطات فيها ومع أهلها.

من حيث الخلفية الأكاديمية، جميع المشاركين/ات أنهوا/ين التعليم المدرسي، أكاديميين/ات وغير أكاديميين/ات، في جامعات فلسطينية في الأراضي المحتلة عام 1967، وجامعات "إسرائيلية" في الأراضي المحتلة عام 1948، طلاب/ طالبات وخريجين/ات، جميعهم عاملين بمختلف المجالات والمهن، منهم/ن من ت/يعمل بشكل مستقل وبعضهم أجيرين/ات.

من منطلق الحفاظ على الخصوصية والسرية، ومن باب الحذر الأمني نظرا للملاحقات السياسية المتصاعدة بالآونة الأخيرة، لم أقم بالتعريف عن كل مشترك/ة على حدى. تم الترميز إليهم/ن بفصل عرض وتحليل النتائج بأحرف الأبجدية.

مهم التنويه الى توجه هذه الدراسة نحو "العينة"، حيث هم شركاء/شريكات في هذه الدراسة وليسوا مجرد مبحوثين/ات. لكونهم/ن الأساس في المعرفة التي نحاول التوصل إليها في هذه الدراسة، فهي مرتكزة على رواياتهم/ن وتجاربهم/ن وحياتهم/ن الشخصية، ومنظورهم/ن نحو كل ما تم مشاركته. وكذلك تأملاتهم/ن وملاحظاتهم/ن التي قمنا بتداولها واستنتاجها معا خلال المقابلات.

وجاء تحديد الفئة العمرية لسببين، الأول بهدف أن يكون المشاركين/ات في مراحل حياتية قد أتيحت أمامهم/ن الفرص لخوض تجارب أوسع من الإطار المدرسي والبلدي المحلي، وانكشفوا/ن على تجارب مهنية ومعرفية ومرحلة وعي أعمق. أما السبب الثاني فهو في سياق الدراسة والاستعمار الاستيطاني الصهيوني لفلسطين، فكما نوّهت في مقدمة الدراسة، للأرقام في بلادنا أبعاد كثيرة أحدها هو الأحداث والوقائع السياسية، فكل جيل

ولد وعايش فترة زمنية تشمل أحداث مختلفة عن جيل آخر، وكذلك أشكال وأنواع ممارسات وانتهاكات وتقسيمات استعمارية مختلفة بالكامل او على الأقل بتفاصيلها، ولهذا كله تداعيات واسقاطات وتحولات نفسية واجتماعية تتعلق وتؤثر على جميع مناحي ومجالات الحياة.

وللتوضيح؛ أعمار 27-38، يعني أن المتقابلين/ات قد ولدوا/ن ما بين الأعوام 1985-1996، وهذا يعني أنهم/ن (بحسب اجيالهم/ن) عايشوا/ن في فلسطين أحداث/ أثر أحداث عديدة، يذكر منها:

1985- تبادل الأسرى لأحمد جبريل والجبهة الشعبية والقيادة العامة والتي أسفرت عن تحرير 1200 أسير.

1986- حرب المخيمات الفلسطينية والاحزاب اللبنانية في لبنان.

1987 الانتفاضة الأولى.

1990 تأثيرات حرب الخليج على فلسطين.

1991-1992 انتهاء الانتفاضة.

1993 أوسلو- غزة اريحا اولا.

1994 مجزرة الحرم الابراهيمي ودخول جولدشتاين وقتل 50 شخص مصلي.

1996 اغتيال يحيى عياش.

1996 هبة النفق واشتباك مسلح لأول مرة واستشهاد 30 فلسطيني من أجهزة الأمن خلال الاشتباك مع الاحتلال.

1996 أحداث جبل أبو غنيم.

1998 افتتاح مطار غزة.

1999 مباحثات اتفاقية كامب ديفيد.

2000 فشل كامب ديفيد.

2000 الانتفاضة الثانية وهبة اكتوبر.

2001 اغتيال أبو علي مصطفى.

2002 بناء الجدار الفاصل العنصري.

2005 مجزرة شفاعمرو.

2006 حصار غزة.

2007 الانقسام الفلسطيني.

2008 الحرب على غزة، " الفرقان".

2012 الحرب على غزة، "حجارة السجيل".

2013 أحداث التصدي لمخطط برافر لتهجير النقب.

2014 الحرب على غزة، " العصف المأكول".

2018 أحداث "ارفعوا العقوبات".

2019 الحرب على غزة، " صيحة الفجر".

2021 الحرب على غزة، " سيف القدس".

2020 وحتى اليوم- ازدياد ملحوظ بنسبة العنف المسيّس وانتشار الأسلحة في المجتمع الفلسطيني بالأراضي المحتلة عام 1948.

2021 مظاهرات في الأراضي المحتلة ضد العنف المسيّس، أحداث الشيخ جراح والمسجد الأقصى والقدس والنقب وهبة الكرامة.

2021 أسرى النفق.

2022 الحرب على غزة، " وحدة الساحات".

2022 انتخابات الكنيست الصهيوني.

2022-2023 أحداث مخيم جنين ونابلس وعرين الأسود واقتحامات مستمرة.

هذا كله وأكثر عايشه هذا الجيل وعايش ما قبله من خلال الأهل والأجداد، وكان جزء من سيرورة تشكيل الهوية الفلسطينية وتفاصيل حياة هذا الجيل. لكل حدث من هذه القائمة تأثير وأثر على الوعي والمعرفة والممارسة، سواء كان من خلال معايشتها عن قرب وبشكل مباشر أو عن بعد وبشكل غير مباشر، فحتى الذي يشاهد الأحداث عن بعد يتأثر منها وتؤثر عليه، علما أن الكثير من هذه الأحداث كان لها صدى ميداني ومساندة نضالية في مواقع فلسطينية أوسع من موقع الحدث ذاته. وان كنا ننظر للهوية الفلسطينية كهوية جماعية وتراكمية (نتوسع عنها لاحقا بالفصل الثاني)، سيكون ذات الأمر لسيرورة تشكيلها ولأبعادها النفسية والاجتماعية. كما وان الاستعمار الاستيطاني الصهيوني كان (وما زال) يتخذ إجراءات وممارسات عقاب جماعية للدوائر المحيطة بالأشخاص المتعلقين بالحدث على المستوى العائلي والحي والبلدة والمنطقة وكذلك على مستوى المؤسسات، نذكر منها عمليات اقتحامات وهدم البيوت، سحب التصاريح، الملاحقات السياسية والاعتقالات والأسر وتضييقات على حرية الحركة المحدودة أصلا.

موقعية الباحثة

كوني فلسطينية عشت سيرورة تشكيل هويتي الفلسطينية واخترتها بشكل واعي بعد الكثير من التساؤلات والبحث والاستكشاف والتجارب، دفعني هذا الى السعي لفهم تشكيل الهوية لدى فلسطينيين وفلسطينيات غيري. في سيرورتي الشخصية كان دور ومساهمة للأشخاص والعلاقات معهم؛ للأسرة، للمواقع والأماكن، للنشاطات والتجارب التي عشتها بمختلف أنواعها ومجالاتها، للجامعة والتعليم الأكاديمي، للعمل وأماكن العمل، للمجاورات والتجوالات والتعلم بالتجربة.

ولدت في الناصرة، نشأت وتعلمت تعليمي المدرسي فيها، عملت بالعديد من مؤسسات المجتمع المدني في الأراضي المحتلة عام 1948 وأتممت شهادتين أكاديميتين في جامعات "إسرائيلية"، وبعد عدة سنوات ضمن سيرورة وعيي وتشكيل هويتي، وبعد توسيع دائرة علاقاتي وخدمة مجتمعي ونشاطاتي وعملي لتشمل الأراضي المحتلة عام 1967 والقدس وغزة والشتات، قررت الانتقال للعيش في مدينة رام الله بالأراضي

المحتلة عام 1976 ومتابعة تعليمي الأكاديمي في جامعة بير زيت والعمل في المؤسسات الفلسطينية في قضاء رام الله. عشت فيها لمدة خمس سنوات ومن ثم عدت للناصرة لظروف اضطرارية، وانتقلت بعد نصف سنة للسكن في حيفا حتى اليوم. مساري هذا بكل تفاصيله كشفني على الاستعمار الاستيطاني الصهيوني المرئي منه والمبطن وعلى ممارساته وانتهاكاته المختلفة بكافة مناحي ومجالات الحياة. انكشفت على سيرورات حياة الناس وتعمقت فيها وأدركت تداعيات وأثر العيش في ظل هذا الاستعمار وعبر الجغرافيا الاستعمارية.

هذا كان الدافع لاختياري موضوع الدراسة وسؤالها، حيث كان لكل ما سبق فضل بتشكيل هويتي وبالمعرفة التي اكتسبتها، وأردت متابعة التعمق فيه ومحاولة استخلاص العبر التي تخدم هويتنا والوطن في ظل المحاولات المستمرة لطمس ومحو وازالة هذه الهوية وحامليها. من هنا، انا لست حيادية ولا أؤمن بمبدأ الموضوعية بل أتمسك بمبادئ وقيم علم النفس المجتمعي وبأهمية وضرورة تسخير معرفتنا وثقافتنا ومهنتنا من أجل خدمة الوطن وتقديم واجبنا نحو تحريره واستقلاليته.

هذا فعلا ما عايشته خلال مسار البحث لهذه الدراسة وبشكل خاص خلال المقابلات، حيث كما ذكرت سابقا، تعاملت مع المشاركين\ات في البحث كشركاء في تشكيل المعرفة المنتجة في هذه الدراسة. حيث كانت المقابلات مصدر غني للكثير من التأملات والتساؤلات والأفكار حول هويتي وتجاربي الشخصية، الكثير من المقارنات والمقاربات حول الأدوار المختلفة التي ساهمت في تشكيل الهويات، كما وكانت محفّز لمشاعر متعددة منها التعاطف والحزن والغضب وكذلك الفرح. نتج عن ذلك قدرة على فهم وإدراك واستيعاب لما يسرده المشاركين/ات، ومسؤولية أن أكون علي الوعي مستمر بعدم إسقاط مشاعري وأفكاري عليهم/ن.

كانت المقابلات خاصة والدراسة عامة، مرحلة مكملة لسيرورة تشكيل هويتي ومعرفتي الوطنية والمهنية، عززت لدي رغبة شديدة بمتابعة العمل على الموضوع والتفكير بكيفية اتاحة هذه المعرفة للناس بشكل مختلف عن البحث الأكاديمي.

شحنتني روايات المشاركين/ات بالأمل والإصرار والصمود لمواجهة هذا الاستعمار الاستيطاني والثبات على الهوية والوطن بكامل ترابه، وتأكدتُ مرة أخرى من أهمية عدم الخضوع والرضوخ للتقسيمات الاستعمارية الاستيطانية سواء كان ضمن أبحاثنا ودراساتنا وعملنا و/أو علاقاتنا ومواقعنا وكل ممارستنا.

ديناميكية المقابلات

ساهمت المقدمة التي عرضتها في افتتاحية المقابلة، حول الحفاظ على الخصوصية وحول نوعية المقابلة وأسلوبها الحواري التأملي، في خلق وجود أجواء مريحة للمشاركة والاسترسال بها.

لم تكن صعوبة لدى المشاركين/ات في الخوض في موضوع المقابلة، نظرا لأنها تتعلق بحياتهم/ن وتفاصيلها اليومية ومواضيع تشغلهم/ن وتؤثر عليهم/ن في كافة مناحي حياتهم/ن، خاصة في ظل الأحداث السياسية الراهنة لفترة المقابلات من محاولات سن قوانين عنصرية جديدة من طرف حكومة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، والاقتحامات والملاحقات والقتل والطرد من المنازل وهدمها.

شاركني معظم المشاركين/ات أن المقابلة كانت فرصة للتأمل في هويتهم/ن ومسار وسيرورة تشكيلها، وانهم/ن عاشوا/ن بعض أجزاء وتفاصيل هذه السيرورة دون التوقف والتأمل عندها و/أو لم يتحدثوا/ن عنها، على الأقل ليس هكذا على شكل سيرورة حياتهم/ن بكل مراحلها. وعبّر جزء منهم/ن عن إدراكه لبعض الأمور من الحديث خلال المقابلة. ويعكس ذلك كيف بإمكان مقابلة بحثية أن تتحول لمساحة تفكر مشتركة بين الباحثة والمشارك\ة في البحث، وأداة لتطوير الوعي بالذات وتفاعلها مع الواقع المعاش.

لاحظت خلال كل مقابلة تقلبات المشاعر وكذلك لغة الجسد ونبرة الصوت بحسب المضمون، حيث اختلفوا عند الحديث عن جوانب مؤلمة تتعلق بمعاناتهم/ن ومعاناة الأهل والأجداد وكل من في محيطهم/ن، وكذلك عند أحداث وطنية جمعية، وعند الحديث حول جوانب تعكس الصمود والإصرار والثبات والمقاومة.

معضلات أخلاقية

هذه الدراسة، كونها تجري في فلسطين وحولها وتتعلق بهويتها، فقد انعكس واقع الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في المعضلات الأخلاقية التي واجهتها الباحثة، وأولها الحس الأمني وواجب الحيطة والحذر في ظل انتهاكات هذا الاستعمار وملاحقاته السياسية على خلفيات فكرية وتصريحات، بالتالي كان يتوجب علي كباحثة أن أسعى قدر الإمكان لتوفير المساحة الآمنة من حيث اختيار مكان وزمان المقابلات وكذلك أجواء مناسبة، اضافة الى الحفاظ التام على خصوصية المشاركات/ين بالدراسة. أيضا على الصعيد اللوجستي

واجهنا بعض الصعوبات مثل تنسيق موعد مع المشارك/ة من غزة، بما يتعلق بالقيود المفروضة على الكهرباء وشبكة الانترنت.

من هذا السياق نبع قرار عدم ذكر بعض المشاركين/ات لتفاصيل ذات صلة تتعلق ببعض الأحداث السياسية الأمنية مثل الأسر والتحقيقات، وكان القرار أن نترك الخيار للمشاركين/ات بذكر واستحضار ما يختارون، نظرا إلى تصعيد الملاحقات السياسية بالفترة الأخيرة خاصة في الأراضي المحتلة عام 1948.

برز هذا أيضا في تردد وحتى رفض بعض الأشخاص الذين توجهت إليهم بطلب مشاركتهم في الدراسة، خاصة من يعاني منهم من الملاحقة السياسية أو موجود في خضم إجراءات سياسية أمنية مثل استدعاءات ومحاكم.

أما بما يتعلق بالأدوار والديناميكية ما بين الباحثة والمشاركين/ات، لم أصادف إشكاليات في هذا السياق، ولربما يعود ذلك لطبيعة الأشخاص المشاركين في البحث وتوجهاتهم ورغبتهم بالمساهمة في الدراسة بعد إدراكهم لموضوعها، اضافة الى وجود معرفة مسبقة بيني وبينهم، يختلف سياقها ونوعها وعمقها من شخص لآخر. سبب إضافي كان له دور باعتقادي هو خلفيتي المهنية وخبرتي باللقاءات والحوارات والمجاورات الفردية والتي ارتكز عليها جو وأسلوب المقابلات، فكما ذكرت سابقا كانت لقاءات حوارية ترحالية تأملية دون أسئلة محكمة وبالطبع بدون أحكام مسبقة أو خلال المقابلات.

فصول الدراسة

بعد تناول أهداف الدراسة ومنهجيتها ينتقل الفصل الثاني لعرض الإطار النظري والذي يشمل أربعة محاور مركزية، أولها حول علم النفس المجتمعي كونه المنظور الذي تعتمد عليه الدراسة لتناول سؤالها، يليه المحور الثاني الاستعمار الاستيطاني في فلسطين الذي يتناول مفاهيم الاستعمار والاستعمار الاستيطاني، ويوضح الاختلاف فيما بينهم ليعكس بعد ذلك الاستعمار الاستيطاني الصهيوني الحالي في فلسطين، يتبعه المحور الثالث الذي انعكاس ممارسات هذا الاستعمار على التقسيمات التي يحاول فرضها على فلسطين وأهلها، لينتهي الفصل بالمحور الرابع والذي يبحث في الأبعاد النفسية والاجتماعية لتشكيل الهوية الفلسطينية في ظل التقسيمات الاستعمارية لهذا الاستعمار الاستيطاني.

أما الفصل الثالث فينبثق من تطبيق آلية منهجية الدراسة، ألا وهي مقابلات حوارية ترحالية معمقة للشركاء في الدراسة، حيث يستعرض تحليل نتائج المقابلات الثلاثة عشر ضمن محاور مركزية مستنبطة من مضمون هذه المقابلات وهي: 1- القيم والمبادئ، 2- الانتماء مقابل الإغتراب، 3- الأسرة، 4- الألم والأمل والوعي، 5- العلاقات والمواقع الاستعمارية. يلي هذا ملخص استنتاجات كل المحاور، لينتهي الفصل بالخاتمة.

الفصل الثاني
الإطار النظري

المقدمة

يستعرض هذا الفصل الإطار النظري لهذه الدراسة، وهو بمثابة المنظور الفكري والمبدئي التي ترتكز عليه أسئلة الدراسة ومنهجية البحث ويشمل كذلك السياق الذي يتم البحث في ظلّه.

من أجل الخوض والتعمق في فهم سيرورة تشكيل الهوية الفلسطينية وأبعادها النفسية والإجتماعية، لا بد أولا من فهم السياقات والظروف المُعاشة في فلسطين. ويعتمد فهم الإنسان للمعلومات والمعرفة على المنظومة الفكرية والتحليلية التي يرتكز عليها عند تلقيه وانكشافه لها، من هنا تأتي أهمية المحور الأول لتثبِّت المنظور الفكري والمبدئي الذي تعتمده هذه الدراسة في التأمل وفهم وتحليل أسئلتها، وهو علم النفس المجتمعي.

يليه توضيح السياق الاستعماري الاستيطاني الصهيوني الموجود في فلسطين حتى يومنا هذا، يتبعه المحور الثالث الذي يشرح ممارسات هذا الاستعمار والتقسيمات التي يحاول فرضها على فلسطين وأهلها، ومن ثم المحور الرابع والأخير الذي يبحث في الأبعاد النفسية والاجتماعية لتشكيل الهوية الفلسطينية في ظل التقسيمات الاستعمارية لهذا الاستعمار الاستيطاني.

المحور الأول: علم النفس المجتمعي

نبدأ بالمحور الأول مع علم النفس المجتمعي كونه الأداة التحليلية والمعرفية المعتمدة في هذا البحث, هذا المحور يشرح خصائص علم النفس المجتمعي، تاريخه ونشأته، استخدامه خلال الأزمنة العابرة والشعوب

المقهورة، وشرح خصائص علم النفس المجتمعي كأداة معرفية تحررية ودوره في فهم الوضع القائم في فلسطين.

المحور الثاني: الاستعمار الاستيطاني في فلسطين

يتناول هذا المحور تعريف مفاهيم الاستعمار والاستعمار الاستيطاني، ويوضح الاختلاف فيما بينهم آخذا بعين الاعتبار أن الحالة في فلسطين تقع ضمن التوصيف النظري للاستعمار الاستيطاني. ثمّ يتطرق إلى شرح الاستراتيجيات التي يتبعها الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين.

المحور الثالث: التقسيمات الاستعمارية في فلسطين

أما المحور الثالث فهو يستعرض التقسيمات الاستعمارية المفروضة على الفلسطينيين الاصلانيين من طرف الاستعمار الاستيطاني الصهيوني وفق التسلسل الزمني، بهدف تحقيق أجندته السياسية الاستيطانية في الاستيلاء على الأرض وشرذمة الشعب الفلسطيني ونهب ذاكرته وسرديته. تتشعب للتقسيمات الجغرافية الموقعية، والتقسيمات الكتلة البشرية الفلسطينية، وتقسيمات الإدارية والقانونية والمعرفية.

المحور الرابع: الأبعاد النفسية والاجتماعية لتشكيل الهوية الفلسطينية في ظل التقسيمات الاستعمارية

يعرض هذا المحور خصائص الهوية بتعريفها الرسمي للجماعة، ونتعمق في خصائص الهوية الفلسطينية وما يميزها عن باقي الهويات، وكيفية تأثرها من الممارسات الاستيطانية الصهيونية التي تحاول نهبها وإبادتها، كما أن الهوية الفلسطينية ذاتها تتأثر وتؤثر على الأبعاد الاجتماعية والنفسية للفرد والجماعة والكتلة البشرية المجتمعية القابعة تحت إطار الهوية الفلسطينية.

المحور الأول

علم نفس مجتمعي

يسعى علم النفس المجتمعي إلى تحرير المعرفة من التوجهات الاستعمارية وإعادتها إلى معرفتها العضوية الأصلانية. فالتوجهات الاستعمارية في إنتاج المعرفة تقوم على ترويض المناهج الاجتماعية بهدف السيطرة على أنماط حياة الشعوب المستعمرة، وفرض نزعة إنسانية جديدة هادفة لخدمة الأجندة الاستعمارية على عدة أصعدة حياتية للشعوب منها السياسية والاقتصادية وتلك المرتبطة بالنسيج الحضري الطبقي المجتمعي.

يشدد فانون (1962) على أن الخلل في الإنتاج المعرفي العضوي لكافة خصائص الحياة وممارساتها اليومية للشعوب المقهورة تنبع من توجه المستعمِر في تتويج نفسه كمرجع المعرفة والفكر والتقدم والإنسانية، بالإضافة الى نهب الشعوب المستعمرة من ذاكرتها بامتلاك هذه المعرفة، وشرذمة ثقافته وبنائه المجتمعي، حيث يعمل الاستعمار على تشويه البعد الحضاري والثقافي الذي تتميز به الشعوب المقهورة، من أجل اقناعهم انهم ليسوا ذو قيمة، وأن الاستعمار يفيد انتشالهم من الظلام. (فانون، 1962)

شرع فريري (2005) في شرح جانب آخر من هذه المشكلة وهي السيطرة على كافة جوانب حياة الشعب المستعمَر المقهور، حيث يقوم الاستعمار في نَسق المعايير والإجراءات والقواعد والقوانين التي تشكل رواية الناس ويحيك طبيعتهم في المقام الأول، ويضغط على عقولهم حتى اعتقادهم بأن الواقع المنسوج من قبل الطبقة المستعمرة هو واقعهم الإنساني. ومن هنا يسعى ذوو الاعتقاد بان واقعهم الممنهج هو واقعهم العضوي الى استعارة حلول لمشكلاتهم الحياتية من المجتمعات المستعمرة وفي هذا السياق "المجتمعات المغتربة" عن واقع هذه الشعوب، لتترسخ هذه الثقافة المغتربة في دماغ الشعب المقهور. يُقصد في الثقافة المغتربة على أنها" الثقافة الاستعمارية وانشقاقاتها وتداعياتها"، ومن ملامح هذه الثقافة الممنهجة ينتج علم النفس الغربي الذي هو بنفسه جسم دخيل على ثقافة الاصلاني. يقوم هذا الجسم الغريب بإعارة حلول لهذه الشعوب لمشاكل هو مسببها دون الاستناد إلى فحص وتحليل نقدي للسياقات التاريخية التي ظهرت وتبلورت فيها هذه المشاكل ولا هذا الواقع. تسبب هذه الظاهرة حاجة للشعوب المقهورة في التحرر، وانتاج اداة محفزة لتحرر هذه المجتمعات من القمع الاستعماري، فمن أجل استعادتها لصوتها وكرامتها ومعرفتها وروايتها، وجب على هذه الشعوب انشاء منظور التحرير المعرفي من أجل مواجهة الواقع الممنهج من قبل القوى الحاكمة، والعودة للمعرفة والتحليل في سياقه التاريخي الطبيعي لهذه الشعوب. هذه العودة المعرفية والروابط الاصلانية تتبلور في سياق علم النفس المجتمعي. (فريري، 2005)

نسترسل في فهم أداة التحفيز لتحرر الأصلاني من أجندة المستعمر التي ذكرها باولو فريري عام 1964، عن طريق فهم وتحليل الآلية التحررية في قيم ومبادئ حقل علم النفس المجتمعي، ابتداءً من الأساس الفكري الذي

تبلور من حاجة الشعوب المستعمرة اللاتينية في استعادة كينونتها ومعرفتها الخاصة بها، والتمهيد للتحرير الفعلي في ظل استعمار الولايات المتحدة. آثار هذه التدخلات والإجراءات الاستعمارية نسجت واقع طبقي مضطهد وفقير للشعوب المستعمرة، هذا الواقع ولد الرفض والسعي للتحرير. ومن هنا نبعت سيكولوجية التحرير، بما معناه إنتاج المعرفة الاصلانية للشعب المستعمر، وهذه المعرفة لا تؤخذ أو تنتج من الجسم الغريب المستعمر وثقافته العضوية، كما وصف هذه السيكولوجية التحريرية روك دالتون (1960) في إحدى قصائده عن الحالة الفكرية السائدة للشعب الأميركي اللاتيني، **"أيها الفلاسفة الأعزاء، علماء الاجتماع التقدميين الأعزاء، علماء النفس الاجتماعيين الأعزاء: لا تضاجعوا كثيراً مع الاغتراب هنا حيث تكون الأمة المغروسة هي الأمة الأجنبية".** توضح سيكولوجية التحرير صياغة فلسفة التحرير وارجاع الذاكرة والمعرفة العضوية الأصلانية للشعب المضطهد من قبل مستعمره، وتمكن هذا المجتمع من مكافحة الفقر، والدفاع عن عدالته وقيمه ونسيجه الحضري الاجتماعي، وتحافظ على كينونته الشعبية وعلاقته في أطره الجغرافية الطبيعية. وأهم أبعاد هذه السيكولوجية هو تحرير الحالة الاجتماعية للفرد كفرد، والفرد كجزء من مجموعة، والمجموعة بتكوينها الشامل. (فريري, 2005)

في نواة علم النفسي المجتمعي تجلت عدة أسس في تنظيم هذه الآلية التحررية، منها الحركة الثقافية التي أنشأها باولو فريري عام 1962 وعرفت بالبيداغوجيا التحريرية، هذه الحركة تسعى للتثقيف في التفكير النقدي، بمعنى أن يفهم هذا الشعب بشكل فردي أو كمجموعة نظرته ومنظوره للعالم بناء على تجربتهم الفردية والتجربة الجماعية وتأملها النقدي في صيغة واقعها، وكتابة روايتها الجماعية والفردية. بما معناه رواية الشعب المقهور تكتب من قبل هذا الشعب وبدعم من اكتفائه الذاتي في كينونته دون اللجوء لجسم مغترب يفرض هيمنته المعرفية.

بالإضافة للحركة الثقافية وآلية التحليل النقدي النابعة من مشاركة الشعب في معرفة واقعه القائم، تم صياغة مفهوم "علم النفس التحرري" من قبل اغناسيو مارتين بارو عام 1976، وتم استخدامه من قبل علماء نفسيين وأخصائيين ومفكرين حتى يومنا هذا. ويلاحظ بتني هذه الالية واستخدام هذا المصطلح وخصائصه وأدواته التحريرية في تثبيت وفهم الرواية الفلسطينية، من قبل الاصلانيين الفلسطينيين في بلورة نهج مقاوم، ومن قبل الأخصائيين والمفكرين في تحليل وفهم الواقع الفلسطيني، بهدف استعادة المعرفة والذكرى لأصل الأرض المستعمرَة ورواية هذه الأرض قبل صياغة الاستعمار لها. (ميمي، 2006)

يهدف علم النفس المجتمعي التحرري الى إعادة هيكلة علم النفس فيما يخص منظور المضطهد والشعوب المقموعة والعلاقة المباشرة بين نهب الاستعمار لواقع المستعمر، نتيجة فشل علوم النفس المغتربة في فهم واقع المضطهد في ممارساته اليومية وأن الحلول الناتجة من توجهات علوم النفس المستعمرة هي شمولية وجزء من الهيكليات الاستعمارية التي تسبب استمرار السيطرة والاضطهاد والتفاوت للشعب المقهور. بما معناه ان جسم غريب لا يولد إطار نظري ومنهجي في تفعيل تغييرات جذرية في هذه المجتمعات كونه غير منحاز لها وحيادي. (Harris, 2004)

الترابط الداخلي بين تجربة الشخص والبنية الاجتماعية السياسية، والبيئة الطبيعية والطبقية هو ركن أساسي يعتمد عليه علم النفس المجتمعي في تحليل واقع وتجربة المضطهد. ويشدد على أهمية اختلاف تركيب البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين الشعوب المقهورة وأصحاب السلطة القامعة، ويعتبر فهم هذا الترابط واختلافه ذو أهمية كبيرة لفهم تجارب ونفسية الشعوب المضطهدة، وبنية السلطة التي يخضعون لها، والطرق التي يتجلى فيها هذا الخضوع في سلوكهم وأمراضهم النفسية، كما فسر مارتين بارو عام 1976. بالإضافة إلى هذا، هنالك علاقة مباشرة بين المجتمع من النسيج الاجتماعي والجماعة الذين يشكلون هذا المجتمع، والذين بدورهم يتأثرون بهذا البناء، لذلك هم أصحاب الحق في انتقاده وتعديله وفرض تغييرات على بنيته، ما يعني أن كتلة جماعية من الناس التي ليست جزء من المجتمع ولا من بنيته ليست قادرة على نقده، تغييره، وتعديله. وهذا ما يقوم به علم النفسي الغربي فهو يعزل الفرد الاصلاني عن واقعه الموضوعي والعلاقات الاجتماعية التي تحيط به وتشكل وعيه، بدون فهم واقعه من منظوره الاصلاني، ويقوم بفرض حلول وتغييرات له. من هنا، يُفهم انه لا يمكن بناء تحليل وتوفير هيكلية علاجية وصحية إن كان السياق النفسي معياري ومنحاز إلى جانب السلطة المستعمرة، البرجوازية والرأسمالية، ولهذا فإن النماذج العلمية النفسية الغربية الاخرى تساهم في الحفاظ على الواقع المنهوب من الشعوب المضطهدة، بل وتصطف هذه النماذج المغتربة مع مصلحة الاجندة الاستعمارية وتنهب واقع المضطهد من تاريخه وتجربته. (De Fatima (Quintal de Freitas,1998

أتاح علم النفس المجتمعي التحرري المنصة للشعوب المقهورة لفهم هذا الترابط من تجربتهم الخاصة، فهو يجرد الواقع المغترب الناتج من أجندة قمعية من مركزيته، وينحاز لإرجاع المعرفة وبلورتها لأصحاب الحق في كينونتهم، ولهذا تنخرط الشعوب في فهم واقعهم وأنفسهم ومكانتهم في الواقع الاجتماعي الذي أنتجه الاستعمار، فالخطوة الأولى هي اشتراك الشعب في فهم واقعه و كتابة روايته الأصلانية بدون التحكم السمي النابع من جسم غريب، الخطوة الثانية بعد إدراك هذه المعرفة في النفس والمجموعة والبيئة ترتكز على

تحليلها ونقدها، أما الخطوة الثالثة هي محاولة تغييرها وسن تنظيمي للتحرر، وهكذا نرى أن الشعب المضطهد هو شريك أساسي في تحرير ذاته، فهو يمر بعملية بتغيير مكانته في المجتمع: من كونه ضحية مقموعة من قبل قوة مهيمنة إلى جسم فعال يعمل لتحرير نفسه وشعبه من هذا القمع. (بارو، 1994)

بحسب فانون (2014)، تترجم هذه العملية المباشرة بين الشعب المضطهد واسترجاع حقه في صياغة واقعية واستحداث تغييرات متلائمة وجذرية لروايته على انها رفع الوعي السياسي الاجتماعي لهذا الشعب كعملية تشاركية بين الاخصائيين والشعب المضطهد، اذ ان ظلم التهميش وشراسة المستعمر يعتمد على حلول حيادية شمولية لا تمس بواقع ومآسي الشعب الذي يسعى إلى تحقيق عدالة اقتصادية واجتماعية، ولهذا الاخصائيين في مجال علم النفس المجتمعي التحرري يجترحون نموذج لآلية مقاومة ناتجة من الشعب، إلى الشعب، ترتكز إلى تجربة هذا الشعب، بمعايير الشعب. لا يستهان في صعوبة البلورة الفكرية من ضحية بنية قمعية الى ممثل اجتماعي من قبل ذاته، فهذه البرمجة قائمة بمساعدة طرف آخر غير سامي أو مستبد وهم ذوو المعرفة في اصول التحرير ونص الأجندة، ويعتمدون على خصائص علم النفس المجتمعي. وبخلق هذه العلاقة التشاركية من فهم واقع المضطهد والسعي لتغييره يحفز على التحرير من هذا الواقع، وخلق نموذج تحرري فكري وفعلي قابل للتطبيق. فكما قال فانون في كتابه "معذبو الأرض": **" العمل ليس أمرًا بسيطًا، وأنَّ العُبُوديَّةَ لا تُتيحُ العمل، وأنَّ العملَ يفترضُ الحريَّةَ والمسؤوليَّةَ والوَعيَ"**. (فانون، 2014)

معالم علم النفسي المجتمعي تظهر في مفاهيم السلطة والإدارة الذاتية والتمكين والمعرفة، هذه المعالم متشابكة ولا يمكن فصلها عن بعضها، وهي تهدف إلى خلق العلاقات بين الفقراء والمضطهدين لمعرفة الظروف الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية التي تعبر عن ظروف حياة المجتمع اليومية والمادية والاجتماعية. ويضيف مارتن بارو (1994) أن فهم هذه الروابط من قبل الشعب والاخصائيين يساهم في خلق أدوات تحررية ومقاومة للاستعمار بقيام الشعب المقهور في تحليل أسباب مآسيه في الواقع الذي يعيشه مما يؤدي الى فهم وتفسير مصدر هذه المآسي على أنها نابعة من قوة المستعمر، وتأثير القوة البنيوية القمعية على صحتهم النفسية والاضطرابات الناتجة عن هذه الظواهر والتفاوتات الاجتماعية اللا-إنسانية، وفهم تأثير قوة الاستعمار، وعوامل العنف في إنتاج صدمات مستدامة للشعب. لكنه ينوه إلى أن هذا التوجه غير كافي، فالمختلف في الآلية التي يسخرها علم النفسي المجتمعي عن باقي الآليات النفسية النابعة من علم نفس مغترب، هي التعزيز المعرفي لهذه الشعوب المقهورة في استيعاب مآسيها وتحفيزها على تحدي هذه العوامل ومكافحة الفقر. كما أن علم النفس المجتمعي يساهم في تعزيز تواصل الفرد مع مجتمعه وتحفيز هذا الفرد لأخذ دور فعال في صياغة واقعه المستقبلي وتحقيق الذات الفردية والمصير الجماعي. وكما سرد فرانز

فانون (1962) في بيان "مزالق الشعور القومي"، **لا يكفي ان تؤلف أغنية ثورية، حتى تشارك في الثورة، إنما ينبغي أن تصنع الثورة مع الشعب ثم تأتي الأغاني من تلقاء ذاتها".** وبهذا يتميز علم النفسي المجتمعي في دراسة العوامل النفسية الاجتماعية، وتحفيز العناصر النفسية والاجتماعية على حد سواء التي تشارك بالتحديد في السيطرة والقوة التي نمارسها على أنفسنا وبيئتنا. (بارو، 1994)

بالإضافة لما ذكر أعلاه حول منهجية علم النفس المجتمعي ومقاربته النظرية لفهم ونقد وتحليل واقع المضطهد بناء على منظوره وتجاربه، تناول بارو (1994) المنهجية التطبيقية في علم النفس المجتمعي التحرري ودورها في تعزيز التفاعل والعلاقات بين الأفراد والمجتمع والبيئة لمنع الاختلال الوظيفي وتسهيل التمكين والعدالة الاجتماعية وتعزيز الصحة التي لا يوفرها الاستعمار، وهكذا يتم تحفيز الشعب المستعمَر في دوره في تغيير واقعه وسن روايته بمنظوره، كونه صاحب الحق في مصيره . في ذات الصدد توسعت De Fatima Quintal de Freitas, في سياق نهج علم النفس المجتمعي الذي يرتكز على إجراءات فعلية ونظرية: ابتداءً من الفردية أي الفرد الاصلاني من المجتمع ودراسة وتحليل حالاته الذهنية والعاطفية بناءً على تجاربه الشخصية، ثم التوسع إلى النظام الميكروي بمعنى الروابط العضوية بين الفرد والجماعة في سياقها الطبيعي، والتنظيم وهو مراجعة هذه التحاليل وفق أسس تحررية ومن أدوات معرفية، ونظام الماكرو، تكوين مجتمع باستخدام مجموعة كاملة من وسائل العلوم الاجتماعية النوعية والكمية وتكوينات عقائدية وهكذا ينتج نموذج مشترك بين الأخصائيين في علم النفس المجتمعي والشعب المضطهد، مرتكز على تجارب الشعب وحاجته للتحرر، ومن هذا النموذج يتم تحفيز الشعب بآليات السعي للتحرر وليس فقط إدراك مكانته في منظومة الاستعمار. (Burton and Guzzo, 2020)

علم النفس المجتمعي المبني على التشاركية والتحرر والمعرفة يساهم في خلق إطار ومعايير جديدة لفهم أجندات الاستعمار وظواهرها، عندما تنسج حكاية الشعب المقموع من قبله، ومن هذا الفهم المعرفي، تصاغ أداة جديدة تحررية تعاونية من الشعب الى الشعب لتشكيل مجتمع ملبي لاحتياجاته ولتفكيك القوة المهيمنة الناتجة عن الاستعمار. الإدراك المعرفي النابع من الشعب وتحليله ونقده لذاته يجسد دوراً مهماً في فهم الظواهر ذات الصلة مثل المشاعر المرتبطة بالهويات الوطنية في ظل الاستعمار وفهم الاستعمار نفسه وتأثيره على هذا الشعب. (فاراس-دياز وسيرانو غارسيا، 2003)

نلمس إشكالية الإنتاج المعرفي وشرذمة الواقع الأصلاني في الأجندة الاستعمارية في الواقع الفلسطيني، حيث تنعكس هذه الظاهرة على كافة التفاصيل الحياتية والممارسات اليومية للشعب الفلسطيني، من المؤسسات

التعليمية المسؤولة عن العلوم الإنسانية والنفسية (مكاوي، 2017)، كما وتنعكس أيضا في سلوكيات وسرديات ممنهجة، إذ تمت صياغة الرواية الفلسطينية من الانتداب البريطاني، وتلاها نهب الهوية والذاكرة والمعرفة العضوية من قبل الاستعمار الصهيوني وتبعاته في المشاريع الاستيطانية الإسرائيلية. سياق الواقع الفلسطيني الحالي في ظل هيمنة وسيطرة الاستعمار، يمكن طرحها ودراستها وتحليلها من زاوية المقاومة والمعرفة المغروسة في علم نفس المجتمعي التحرري، فهو يشدد على كون الظاهرة هي علاقة قوة وسيطرة وقمع موجهة لشعب مشوه الهوية ومكبوت الحرية وتعتبره نزعة متطرفة في وجود الإنسانية، ولهذا تشدد اليات علم النفس المجتمعي التحرري على فهم الواقع القائم من خلال تجارب هذا الشعب وروايته، وتشدد على الجانب التطبيقي الفعلي في مواجهة هذه النزعة. (فاراس-دياز وسيرانو غارسيا، 2003)

ملامح الاستعمار على الشعوب المضطهدة تقارب الواقع الفلسطيني، كونه واقع يوسم الشعوب المقهورة على أنها شعوب متلقية للتيار الاستعماري المسيطر والقوي. ولأن الواقع متقارب، فإن نموذج الاعتماد على علم النفس المجتمعي التحرري يجري في ذات السياق في الحفاظ على وتعزيز المعالم الاصلانية. علم النفس المجتمعي يعزز الحفاظ على كينونة الشعب الفلسطيني قلبا وقالبا والسعي لتحرير المعرفة والظروف بطريقة منهجية وجذرية. ونورد فيما يلي باختصار نماذج عينية من واقع الشعب الفلسطيني في ترويض علم النفس المجتمعي واستخدام خصائصه لإدراك واقعهم المنهوب، منها:

فهم التجربة الذاتية ومعرفة الذات وتحريرها من قبل الأسرى، حيث استوعبوا وفهموا أوضاعهم السيئة، وقاموا بتحليلها ورفضها، وإنتاج حلول لتحسين أوضاعهم القمعية، والتصدي لها في بيئاتهم بالاستناد على الإمكانيات المتاحة لهم، مثل الإضراب عن الطعام، ورفض مفاهيم سلم ماسلو والإطاحة بها كمنهجية معرفية نفسية متبعة ونتاج هيمنة الاستعمار المعرفي.

إدراك واقع الأطفال تحت القصف في غزة، وكينونتها المهددة المستدامة منذ ولادتهم، فلا يمكن استخدام نهج العلاج النفسي الغربي للأطفال، فواقع الاطفال مغاير وحاجتهم مختلفة، والاضطرابات النفسية متأثرة من البيئة. فلا يمكن لواقع لا يتطابق من حيث الوضع السياسي، والنسيج المجتمعي، والطبقة الاقتصادية أن يوفر حلول لمشاكل أطفال في حالة تأهب لخسارة موقع الأمان والفقدان البشري، كون المشاكل المنبثقة من هذا الواقع للشعب المقهور مغايرة لواقع الاستعمار الرأسمالي المهيمن، لهذا لا يمكن استخدام ذات الحلول. من هنا، يأتي نقد التدخلات النفسية مع الأطفال الذي تقوم بها المؤسسات التي تحصل على تمويل خارجي، حيث

تقوم بصياغة المشكلة ووصف الواقع ومضامين التدخلات بحسب توجهات فردانية تعتمد الخطاب النيوليبرالي وتعزل الفرد عن السياق السياسي المسبب للألم. (Sousa & Marshall, 2017)

هذان المثالان هما عينة صغيرة من واقع مشوه ناتج عن سردية الاستعمار حول الفلسطينيين، والهيمنة على ممارستهم اليومية، وتشويه علاقة الفلسطينيين مع أرضهم ومواردها، ونهبهم الأمان والمسكن، وتشويه ذاكرتهم المعرفية الشعبية، وسرقة تقاليدهم وخصائص مأكولاتهم. ومن حاجة التحرر من هذا الواقع، تنبثق ضرورة البحث والتشكيك وموائمة علم النفس المجتمعي ونظرياته إلى فهم الفلسطينيين لواقعهم وأنفسهم وارجاع سيادتهم لأنفسهم، والسعي إلى التحرير المعرفي والكلي من سخط الاستعمار الصهيوني.

المحور الثاني

الاستعمار الاستيطاني في فلسطين

عرف كول هاريس الاستعمار على أنه ممارسة هيمنة سيطرة الدول القوية على الشعوب الأضعف منها. تنفذ هذه السيطرة عن طريق نهب الموارد الطبيعية وخصخصتها لصالح الدولة المستعمرة لتنمية الصناعة وتأسيس التجارة، وسلب الشعوب المقهورة إرثها الحضاري والمعماري، وتشويه معرفتها وكينونتها الإنسانية (Harris, 2004). أما في مسألة العامل النظري، يشير فرانز فانون (2004) في كتابه " بشرة سوداء، أقنعة بيضاء" إلى أن الاستعمار في إطاره النظري هو استعمار تبعي، يقوم على" تزييف" الواقع واعادة صياغة كيان الشعب المقهور، وفرض ثقافة الاستعمار على أنها الثقافة الحضارية الوحيدة القادرة على نقل البلاد المستعمَرة من حالة التخلف والجهل إلى مرحلة الحضارة. يكشف فانون قناع كينونة الاستعمار ويعرفه في ثلاثة مفاهيم أساسية وهي **السلطة، والاستعباد والإخضاع**. تُنتج هذه المفاهيم مع بعضها مفهوم الاستعمار، ويضيف كول هاريس: **"استغلال الدول القوية للسلطة لفرض هيمنتها على الشعوب المقهورة واخضاعها**

لاجندتها واستعباد الشعوب بعقدة النقص بهدف الحفاظ على فوقية الدول المستعمرة في موازين السلطة بينها وبين الشعوب المستعمَرة". (Harris, 2004)

وحول النموذج الفعلي لتطبيق الاستعمار واخضاع الشعوب المستضعفة، يطرح كول هاريس (2004) في بحثه " كيفية طرد الاستعمار" أن هنالك مرحلة زمنية مفصلية غيرت استراتيجية الاستعمار وهي الثورة الصناعية، هذه المرحلة تقسم النهج العملي للدول القوية إلى نوعين:

1. الاستعمار القديم ما قبل الثورة الصناعية، وهو الاستعمار التي ولد مع تكوين البشرية للجماعات، وارتبط بحاجة المجموعات للموارد الطبيعية لتؤمن لنفسها الغذاء والمسكن والأمان، وهو نزوح طبيعي لهذه المجموعات البشرية على امتداد البقعة الجغرافية. هذا الاستعمار القديم يصل أوجه في مطلع الانفتاح الأوروبي على الدول الخارجية نتيجة النزوح والترحال والبحث، وطمع الدول الأوروبية في الموارد الطبيعية، والثروات العضوية الطبيعية مثل المعادن المستخلصة من الرواسب المائية أو التصدعات الجوفية في بقاع الأراضي الافريقية، وأمريكا اللاتينية، وأستراليا وآسيا، ويوسم كأول محاولة استيطان، ونهب واخضاع الشعوب المقهورة لسيادة الأبيض الفوقي. (Harris, 2004).
2. الاستعمار ما بعد الثورة الصناعية، هو استعمار سيادة وفوقية، اذ ان نهب الموارد الطبيعية من الشعوب الاصلانية لم ينبع عن حاجة، وإنما فرض سيطرة وهيمنة، بهدف التصنيع والتمكين في النطاق التجاري الاقتصادي، مثل استخلاص البترول وتصريف المنتجات المصنعة إلى الخطوط التجارية الدولية وغيرها من الإجراءات الاقتصادية. في هذه الحقبة الزمنية، توسع نهج الاستعمار بناءً على فكرة السيادة، بما معناه أن الفكر السائد لدى الدول المستعمرة أن لها الحق والأولوية في نهب هذه الثروات وتمكين نفسها، إذ أنها صاحبة العلم والمعرفة والنور، وهي أولى من الشعوب المستضعفة البربرية، بل إن بتفوقها الحضاري تنقذ هذه الشعوب من الظلام. وعليه فتقوم بتشويه هوية الشعوب وكينونتها، وتستعمر أرضها. (Harris, 2004)

يستند باتريك وولف (2006) في كتاباته عن نشأة الاستعمار إلى أبحاث هاريس إذ يقول" **كلمة مُستعمرة (colony) مشتقّة من الكلمة اللاتينية "colonus"، وتعني "المُزارع"، تذكرنا هذه الجذور بأن ممارسة الاستعمار تنطوي عادةً على نقل السكان الأصليين إلى إقليم جديد من النسيج الحضري والممارسات اليومية وحتى مكانتهم في أرضهم، حيث يعيش الوافدون الجدد من المستعمرين وأصحاب السلطة مستوطنين دائمين في هذه الأرض".** (Wolfe, 2006)

يتركز أثر الاستعمار على الشعوب المستضعفة في ثلاث مجالات أساسية من كينونتهم، تداول هذا الأثر العديد علماء السياسة والمجتمع، نذكر من توثيقهم:

1. **الأثر الاقتصادي**: حاجة البلاد المستعمرة لتمكين نفسها من أراضي الاصلانيين، وزيادة الموارد المالية لفرض هيمنتها على الشعوب المستضعفة، انعكست بممارسات اقتصادية عديدة، منها استخلاص الموارد الطبيعية من أراضي الاصلانيين، وسرقة معرفتهم العضوية في جغرافية أرضهم بهدف زيادة منتوجاتها الزراعية، واستخلاص الموارد لضخ عمليات تصنيعية، والتجارة في هذه الموارد وثرواتها لتضمن نفسها على خطوط التجارة الدولية. بالإضافة لذلك، يعتمد المستعمر على اخضاع الشعوب المقهورة بالاستيلاء على أملاكهم وفرض غرامات مالية، وضرائب وجمارك بادعاء أنها واجبة على الشعوب المقهورة مقابل حماية المستعمر لهم من أنفسهم والأجسام الغريبة من دول مستعمرة أخرى. إن التقدم المعماري واستقطاب السياح والتجارة الى هذه الأراضي تنتج من الأيدي العاملة الأصلانية المستضعفة، وهكذا تطبق الدول المستعمرة سيادتها على كينونة الاصلاني من حيث استغلال الموارد الطبيعية والبشرية إلى آخر رمق، حيث لا يتبقى لهذه الشعوب أي ركن اقتصادي غير خاضع للهيمنة الاستعمارية. (فيراسيني، 2011)
2. **الأثر السياسي:** يسند باتريك وولف التقسيمات الجغرافية في هذه المناطق الاصلانية على أنها أثر الخلافات الناتجة بين الدول المستعمرة. حيث قامت الدول المهيمنة بتقسيمات فيما بينهم دون موافقة أصحاب الأرض، ومن أجل ضمان استدامة هذه التقسيمات، قامت الدول بإجراءات وممارسات عديدة مثل تشريع القوانين والدستور واستخدام قوات عسكرية وسياسية والتحكم في كل ما يخص الممارسات اليومية لهذه الشعوب. (حباس، 2017)
3. **الأثر الاجتماعي**: تضمن الدول المستعمرة مركزها السلطوي عن طريق فرض انضباط طوعي من قبل الشعوب المستضعفة. تهدف الدول المستعمرة على امتلاك الموارد المادية والمعنوية من الشعب الاصلاني، ولهذا فهي تقوم أولا بالسطو على معرفته وذاكرته العضوية في ممارسات حياته وتقاليده وثروات أرضه، ثم تدمر البنى التحتية لحضارة الشعوب من تمسكه بالمبادئ والقيم، وتقوم بصقل لغته الأم وتروج لغتها كاللغة السائدة في أرضه، واستبدال ملامح الفئات الدينية الاصلانية واستبدالها بدين القوي. كما ولا تكتفي هذه الدول المستعمرة في شرذمة الحياة السابقة للاصلاني بل وتفرض حضارتها وثقافتها كينبوع المعرفة والعلم لهذه الشعوب. وتقوم هذه الدول المهيمنة بسرد رواية الاصلاني من منظورها حتى يقتنع بها المضطهد، وتشبعه بعقدة نقص لذاكرته ومعرفته حتى يخضع

تماما لما ينتجه المستعمر من معرفة وحضارة. عقدة النقص المتشكلة لدى الشعوب المستعمَرة تقييد إمكانات المناهضة الاصلانية للاستعمار، فهم يعتقدون أنهم دونيون منصاعين لهذه الدول، وللمنظومات الاجتماعية المتعلقة برضا المستعمر وليس برغبة أو حاجة الشعب ذاته، مثل المؤسسات التعليمية، الجمعيات، مؤسسات العلاجات النفسية والطبية وغيره من نسيج حياة الشعب الاجتماعية. (فانون, 1962)

أما فيما يخص أنماط الاستعمار الحديث، أي ما بعد الثورة الصناعية، فيتشعّب الخطاب الاستعماري في أنماطه وصوره التطبيعية وأهدافه. وقد صاغت أني كومبو (حباس، 2017) أصول الاستعمار كالتالي:

1. **استعمار الحماية**: سيطرة المستعمِر على دولة أخرى من خلال إجبار حاكمها على توقيع معاهدة لحمايتها، حيث يزعم المحتل أن الهدف منها هو تحقيق الحماية للشعوب المستعمَرة داخل أراضيهم، دون أن تطلب منهم الحماية، وتبدأ بموجب هذه المعاهدة السيطرة تدريجيا على البلاد بأكملها، وعلى النواحي السياسية والمالية والأسلحة العسكرية. تم صياغة نمط هذه الاستراتيجية الاستعمارية من قبل بريطانيا عندما استعمرت الخليج العربي أوائل القرن التاسع العشر.
2. **الاستعمار العسكري**: قيام جيش أو دولة ذات قوة وسلطة بالسيطرة فجأة بدون مقدمات على دولة ضعيفة لا تملك سلاح قوي وشعبها ضعيف لا يقدر على الدفاع عن بلده، والبدء في سرقة كافة الثروات والموارد الموجودة فيها، كما قامت فرنسا في استعمار كل من تونس والجزائر.
3. **استعمار الوصاية**: قيام الدولة المستعمِرة بأخذ جزءً من ثروات البلاد التي تستعمرها بحجة الحفاظ عليها واستثمارها وازدهارها، حيث تقوم مع مرور الأيام بالسّطو عليها والسيطرة عليها والتحكم بها وجعلها أرض من أراضيها، كما قامت هيئة الأمم المتحدة بوضع ممتلكات الصومال وليبيا المهزومة في يدها واصبحت المسيطر والمرجع لهذه الممتلكات. يُعتبر هذا النوع من الاستعمار بمثابة إجراءات تمهيدية قبل الاستعمار الفعلي ويعرّف أيضا بمصطلح "الانتداب". يمكننا اعتبار الانتداب البريطاني كنموذج لهذا الاستعمار، حيث اعتبر نفسه وصي على أرض فلسطين وشعبها ومهّد للاستعمار الاستيطاني الصهيوني الى أن سلّمه الاستعمار من بعده.
4. **الاستعمار الاستيطاني**: تقوم الدول المستعمِرة بتشجيع رعاياها على الهجرة إلى الدولة المراد نهب خيراتها ومواردها وسلب حرياتهم واحتلال مجموعة من الأراضي، حيث تبدأ تلك المجموعة في التكاثر والتملك والاستثمار في هذه الأراضي، حتى أن الأمر يصل لقتل السكان الأصليين أو

تشريدهم خارج بلدهم مثلما فعلت الحركة الصهيونية في أرض فلسطين.
(حباس، 2017)

يتناول هذا الجزء من المحور الثاني تعمق في الاستعمار الاستيطاني، من حيث نشأته كمصطلح سوسيولوجي، وتاريخه، علاقته مع الشعوب التي يستعمرها، أثاره واستراتيجيته كنموذج مهيمن وسائد في الواقع الحالي.

الاستعمار الاستيطاني (Settler colonialism) هو أخطر وأقسى ألوان الاستعمار. بدأ تبلور مفهوم الاستعمار الاستيطاني في المجتمع الأكاديمي ورسم ملامح إطاره النظري وخصائصه منذ منتصف التسعينيات من القرن الماضي. وبينما تتمثل خواص الاستعمارات ما بعد الثورة الصناعية عبر وجه استغلالي في اقتطاع فائض قيمة الموارد الطبيعية، ونهب المعرفة الاصلانية واستغلال الشعوب المقهورة وفرض الهيمنة المستمرة من حيث المعرفة والتجارة وتطبيق ثقافتها والمواصفات الاخرى التي ذكرت أعلاه، فإن ملامح الاستعمار الاستيطاني تتجلى في الحصول على أرض الشعوب المقهورة وتدشين تشكيلة رأسمالية جديدة لا مكان فيها للسكان الاصلانيين. يشدد وولف أن هذا الاستعمار الاستيطاني لا يكتفي باستغلال السكان وإنما يقتلعهم من أرضهم وديارهم بالإبادة أو التهجير، فهو يحول البلاد التي يستعمرها إلى **"أرض بلا شعب"** ليجعلها أرضا خالصة له من دون أهلها. (وولف، 2006)

الاختلاف البنيوي بين الاستعمارات الاستغلالية والاستعمار الاستيطاني يتمثل بخمسة خصائص ركزها لورينزو فيراسني (2011) على النحو التالي:

1. علاقة الاستعمار الاستيطاني مع الأصلانيين، وإزالته لهذه الشعوب واقصائهم من أرضهم.
2. علاقة الاستعمار الاستيطاني مع المركز الإمبريالي، المستعمِرين في الاستعمار الاستيطاني يهاجرون بلا رجعة.
3. علاقة الاستعمار الاستيطاني مع الأرض المستعمرَة، فإن الاستعمار الاستيطاني يعيد إنتاج الزمان والمكان لتصبح ملك المستوطنين الجدد.
4. علاقة الاستعمار الاستيطاني مع الخطاب الأيديولوجي والإقصاء الذي يوظف لخدمة أجندته.
5. علاقة الاستعمار الاستيطاني وإنتاج المعرفة في أرض الاصلانيين، وهندسة الاستعمار الاستيطاني الدقيق للأقطاب الاجتماعية-السياسية -الاقتصادية وتبلور نضجها في سبيل مصلحته.

ينبع من معالم الاستعمار الاستيطاني مصطلح "مستوطنة"، **و**هو مصطلح يستخدم للإشارة إلى تجمع سكاني تاريخي تلقائي، ويعني تجمع سكاني دائم في منطقة ما لتلبية حاجتهم من المأكل والمسكن والأمن، أما استخدام مصطلح " مستوطنة" من وجهة استعمارية فهو توسع استعماري مخطط غير تلقائي واستيطان على أرض غريبة وفق أهداف محددة والاستيلاء عليها واتخاذ هذه الأرض موطناً، دون اعتبار لسكان الأرض نفسهم.

استفتاحًا بالخاصية الأولى للاستعمار الاستيطاني:

وهي علاقة الاستعمار الاستيطاني مع الاصلانيين ومنطق "**الإزالة**"، فقد عرف باتريك وولف (2006) "الإزالة" بأنها تهدف إلى إزالة السكان الاصلانيين عن أرضهم لتنفيذ أجندة المستعمر المستوطن، وتعتبر الإزالة مبدأ منظم في الاستعمار الاستيطاني. هذا المبدأ يطَبق في اتجاهين، قام بتناولهم العديد من الباحثين والمحللين على النحو التالي:

رفع الاستعمار الاستيطاني الشعار **"أنت أرحل من هنا"** ووجهه نحو الشعب الاصلاني، وبهذا ترجم التوجه الأول على نحو الازالة الجسدية، فشمل التهجير القسري، أو الإبادة، أو العزل في محميات. حيث فرض الاستعمار الاستيطاني إجراءات وتضييقات قانونية وفعلية أجبرت الشعوب المقهورة إلى النزوح من أراضيهم، وهذا بهدف ضمانه استدامة نهج الإزالة الجسدية. (فيراسيني، 2011)

انعكس توجه **"الإزالة الجسدية"** تاريخيا في المستعمرات البريطانية والاوربية في أرخبيلات أوقيانوسية، وينبع هذا النمط من الاستعمار من التمدد الجغرافي والاستيلاء على الأراضي. عجز السكان الأصليون عن التصدي للتوسع الاستعماري واحتلال جزرهم لضعف مقاومتهم للغزاة. وقد انحدر المُستوطنون الأوروبيّون من مجموعات اجتماعيّة ودينيّة متنوعة، منها المُغامرون والمزارعون والخدم المُتعاقدون والتجّار وقلّة من الطبقة الارستقراطيّة، وقامت البعثات الاستعمارية بإبادة الأصلانيين، واستعبادهم، والتجارة بهم، والتعامل معهم كمستورد بشري لدراسة ماهيتهم وحضارتهم وأجسادهم، والتنكيل بوجودهم، الأمر الذي أدى إلى مقتل الملايين، وإزاحة ملايين أخرى من الأصلانيين إلى ما وراء الحدود، حتى الان مُحي اسم المنطقة ما قبل الاستعمار الاستيطاني وباتت تعرف في اسمها المستغرب "نيو انجلاند". (Hughes, 2012)

أما المنحى الثاني من توجه الإزالة، يتمحور حول الإبقاء على الاصلانيين في أرضهم لكن بشرط خضوع هذه الشعوب لمبدأ الإزالة وعُرف على انه "**إزالة اجتماعية**"، وتنعكس في إزالة اجتماعية، أو ثقافية، أو معرفية، أو قومية، أو دينية. وأسوأ نمط منها كان الإزالة البيولوجية حيث قامت الجماعات المستعمرة في تلقيح الدم، فقام المستعمر المستوطن في عزل نساء السكان الأصلانيين في معسكرات وخلطهم من خلال

التزاوج مع المستعمرين وخاصة الفئة العسكرية للتخفيف من فصيلة دم الأصلانيين. بالإضافة إلى ذلك، استغلت المنظومة الاستعمارية الايادي العاملة من الشعوب المقهورة لضمان تطورها، وازدهارها واستيلائها على هذه الأراضي الغريبة عنها، بحيث يبقى مجتمع السكان الأصلانيين دون أن يكون لهم دور في صياغة والتأثير على التكوين الاجتماعي للمجتمع الجديد للمستوطنين الجدد. (فيراسني، 2011)

يُظهر فيراسيني (2017) هيئة نمط **"الإزالة الاجتماعية "**القابعة على كينونة الاصلاني في وسمة التاريخ البشري, ففي عام 1770 قام الاستعمار الإنجليزي في غزو بقاع أراضي أستراليا، ينوه بالذكر أن نموذج الاستعمار الانجليزي الأستراليين الأصلانيين هو عينة من تاريخ الاستعمار الانجليزي وأهمية هذا المثال الاستعماري تقع على استخدام الإنجليز لنوعين من الإزالة الاجتماعية. بالمرحلة الأولى من نهج هذا الاستعمار؛ قام الاستعمار الاستيطاني الانجليزي في رشق أستراليا في دماء شعوبها الاصلانية في عدة صور من **"الإزالة الفعلية"** ومنها: المذابح الجسدية والمجازر البشرية للشعب الاصلاني الأسترالي التي كانت ممنهجة من العملية الاستعمارية الانجليزية، ونشر الأوبئة والأمراض الجديدة التي أودت بمقتل العديد والعديد من الأصلانيين. يقتبس فيراسيني (2017) من مفكرة المؤرخ ريتشارد جوناثان الذي يبرر وحشية الاستعمار الانجليزي ويكشف وجهة نظرهم تجاه الأصلانيين بقوله: **" معظم البيض مقتنعون بأن الرجال الذين قُتلوا ينتمون إلى عرق أدنى، محكوم عليهم عاجلاً أو آجلاً بالاختفاء"**. إن الاستعمار الإنجليزي لم يعتبر السكان الأصلانيين " بشر" ولهذا تلذذت القوات العسكرية الاستعمارية في إبادة الأستراليين الأصلانيين بأشنع الطرق مثل تسخير الرياضة للقتل وصيدهم كما يصيدون الحيوانات البرية، بالإضافة الى اذلال الاصلانيين واجبارهم تحت تهديد السلاح على قتل بني جلدتهم. وكان هذا القتل محركاً بدوافع عنصرية. (Veracine, 2017)

أما المرحلة الثانية من الاستعمار الاستيطاني الانجليزي على استراليا، تتمثل في **"الإزالة الاجتماعية"** ففي هذه المرحلة لم يبقى من السكان الأصلانيين غير 40 بالمائة من كتلتهم البشرية قبل بطش الاستعمار الإنجليزي، ولهذا تم التصدي لهذا الاستعمار دوليًا، رغم التصدي الدولي بعدم ابادة الشعب الاسترالي واستخدام نهج الازالة الفعلية الا لعنة الاستعمار الإنجليزي على السكان الأصلانيين لم تنته بل غيرت صورتها الى منحى جديد. من هنا، بدأوا المستعمرين الإنجليز بتفعيل نموذج الأيادي العاملة والإخضاع، ومحو الثقافة الأصلانية وغسلها بالثقافة المستعمرة، ونهب الحضارة واستبدالها بحضارة غريبة ودخيلة على المنطقة. كما وان الاستعمار أصر على استخراج المعرفة العضوية من الأصلانيين فيما يخص الثقافة، والتقاليد، والتراث، والموارد الطبيعية، والجغرافية. (Osterhammel, 2000)

لم يكتف الاستعمار الإنجليزي في نهج الإزالة الثقافية والمعرفية والاجتماعية، بل وقام الاستعمار في اعادة صياغة هذه الموارد المادية والثقافية من أجل خدمة الاجندة الاستيطانية التي تهدف إلى فرض سيادتهم وإخضاع الأصلانيين لهيمنة استعمارهم، نهج إعادة الصياغة تمثل في خلق الاستعمار الانجليزي الى رواية جديدة للأرض وللشعب الاصلاني مغايرة ودخيلة له، يقدم لنا فيراسيني (2017) نموذج فرض واقع جديد للاصلانيين ممنهج من الاستعمار: **" قام الاستعمار الاستيطاني بتفعيل عمليات التزويج البيولوجي للاصلانيين، ورسم عرق جديد كلي، المنتوج البشري من الجيل الثاني والثالث من الأطفال تم وضعهم في أحياء مخصصة في شتات البقعة المستعمرة، استعدادًا لاستيعاب الجيل الرابع منهم داخل المجتمع المستعمِر بعد التأكد من تبييضه ليس فقط بيولوجيًا وإنما ثقافيًا"** وهكذا تمكن الاستعمار الاستيطاني في ضمان وجوده وهيمنته، و خلق واقع جديد لا يمكن للاصلانيين معارضته اذ كونهم جزء منه ومن استمراريته. (Veracini, 2017)

الهدف من الاستعمار الاستيطاني هو الأرض ولهذا يعتبر سكان هذه الأرض الأصلانيين فائض يجب إزالته، بالتالي من أجل ضمان وصول الهدف وتحقيق المشروع الاستيطان يتم الاستناد على ممارسة مبدأ الإزالة بكل مناحيه، تشدد هنيدة غانم (2013) على نجاعة هذه الممارسة الى خدمة الاجندة الاستعمارية الاستيطانية وترسم لنا ما يقبع وراء هذه الممارسة كآلية استعمار من منظور المستعمر على النحو التالي: **"آلية الإزالة من قبل المستعمرين لا تهدف فقط إلى أبعاد الأصلانيين عن الأرض للحلول مكانهم فحسب، بل ابعاد اسمهم وذكرهم من الفضاء الزمكاني"**، فإن استعمار الاستيطاني يتمثل في استعمار التاريخ والمكان وفضاؤه وأسمائه وصولًا إلى محو الإيحاءات الرمزية المطوية في ثنايا التسميات واستملاكها، ليس الاسم الاصلاني وحده ما يراد محوه، وتضيف غانم : **" بل "الذكر" على ما يستدعي طبعا من ذاكرة وتذكر وذكريات، اي روايته لنفسه، وماهيته، ومعرفته، الشعب بلا اسم يكون نكرة، أما بلا اسم وبلا ذاكرة فلا يكون"** وبهذا يتم تشريع الاستيطان على انه نزوح سكاني الى أرض بلا شعب ولا يعرف على انه استعمار استيطاني. (غانم، 2013)

الخاصية الثانية من الاستعمار الاستيطاني هي المحور الاقتصادي:

انبثق مصطلح الإمبريالية في مطالع القرن السابع عشر، واشتقت من الكلمة اللاتينية إمبوريوم (imperium) والتي تعني القوة العليا، أو السيادة أو ببساطة الحكم، وهي سياسة أو أيديولوجية تهدف لتوسيع نطاق حكم الشعوب والدول الأخرى بغية زيادة فرص الوصول السياسي والاقتصادي وزيادة السلطة والسيطرة،

وتمارس هذه السياسة غالبًا من خلال استخدام القوة الصارمة، وخاصة القوة العسكرية، ومن خلال القوة الناعمة. (Osterhammel, 2000)

يشرح فيراسيني (2011) الهيئة الاقتصادية للاستعمار الاستيطاني، يقوم الاستعمار الاستيطاني في إنشاء شبكة ثلاثية-العلاقة تضم المركز **الإمبريالي، والمستعمِرين المستوطنين، والسكان الأصلانيين،** على اختلاف العلاقة الثنائية التي تنتج من الاستعمارات الاستغلالية، هذه العلاقة الثنائية تكون مباشرة بين الأمم المستعمرة الامبريالية والشعوب المستعمرة، ما يميز الاستعمار الاستيطاني هو أطراف العلاقة الثلاثية وكيفية بنيتها، الاختلاف بهذه البنية يتوضح على النحو التالي:

1. العلاقة الامبريالية الثنائية المنتوجة من الاستعمارات الاستغلالية: أن الدولة الإمبريالية أي الدول الأم المستعمرة هي التي تتحكم بالقرارات التي تخص حياة الشعوب المستعمَرة، وهي المستفيد المباشر من دمج قوة عمل السكان الأصلانيين بالخيرات المادية التي تتوفر عليها المستعمرَة، وهكذا تعمل الدول الإمبريالية على احتجاز التطور الاقتصادي والاجتماعي للسكان الأصلانيين، عبر نهب فائض الأصلانيين الاقتصادي، لتضمن استمرار العلاقة الاستعمارية أطول مدة ممكنة. (Veracini, 2011)

2. العلاقة الثلاثية الناتجة من الاستيطان الاستعماري: تعتبر البنية أكثر تعقيدًا، يهاجر المستعمر الاستيطاني من الدولة الإمبريالية الأم ويبقى على علاقة استراتيجية معها إلى حين توطيد مجتمعه الاستيطاني الجديد، اضافة الى هذه العلاقة بين المستعمر و دولته الامبريالية الام، يبني المستعمر علاقات إستراتيجية مع دولة إمبريالية غير التي خرج منها لتصبح الدولة الأم الراعية للمشروع المستعمر الاستيطاني، بالرغم من كون علاقته المباشرة مع الدولة الامبريالية آلام مؤقتة كونه ينسلخ عنها عندما يمكن نفسه في الأرض الجديدة، الا ان المصالح المشتركة تبقى قائمة بينهما ويستغلها الاستعمار الاستيطاني عندما يحتاج لها. (2011 (Veracini,

يستكمل فيراسيني (2011) تحليل الخصائص النابعة بين علاقة المستعمر المستوطن في دولته الامبريالية الأم، يقوم منطق المستعمر المستوطن على الوصول بأسرع وقت ممكن إلى الاعتماد الذاتي، والاستمرارية الذاتية، سواء في الاقتصاد، أو في التركيبة الديمغرافية، فمعنى الاستيطان الدائم، يعني أن الكف عن تلقي مساعدات خارجية، وان كان هنالك تضارب بالمصالح بين المستعمر المستوطن ودولته الامبريالية الأم في ما يخص أجندته في إزالة الأصلانيين من أرضهم، هذا التضارب يؤدي إلى علاقة أكثر تعقيدا، مما يضع

المستعمر المستوطن في مكانه تهديد، من جهة أول هو معتمد على تلقي مساعدات من الدولة الأم، ومن جهة ثانية هو مقيض من إزالة الشعب الاصلاني من الأرض ليمكّن نفسه من الحلول مكانه. شعور المستعمر في التهديد يكمن بكونه بمكانة عجز، أن المستعمر الاستيطاني لا يصل إلى الأراضي ليكون مندوباً للدولة الأم الرأسمالية، وإنما ليُنشئ مجتمعه الرأسمالي الخاص به. أما علاقته بالدولة الأم فتكون نفعية ومؤقتة، وتتحول في مرحلة ما إلى معيقة بالنسبة لبناء مشروعه الاستيطاني، وبالنسبة للسكان الأصلانيين فإنهم يدخلون رغما عنهم في علاقة مع المستعمِر الاستيطاني. (Veracini ,2011)

نتعمق في دخول السكان الأصلانيين في علاقتهم المباشرة مع المستعمر الاستيطاني رغما عنهم، هذه العلاقة لا تتمثل في الاستغلال الاقتصادي كما في حال الاستعمارات الاستغلالية المذكورة أعلاه، إنما بُنية هذه العلاقة مختلفة جذريًا، علاقة السكان الأصلانيين مع المستعمرين الاستيطانيين هي علاقة صراع وبقاء على الأرض نفسها، وقد لخص فيراسيني (2011) هذه العلاقة بقوله إن الاستعمار الاستيطاني يخلق ظروفا بحيث تتم ممارسة الفعل الاستعماري من داخل الكيان السياسي المستعمر الاستيطاني فهو ينفذ متروبول مرتبط جغرافيًا واقتصاديًا وسياديًا في قبل المستعمَرة التي هو بنفسه ككيان متواجد فيها، لا خارجها مثل الاستعمارات الاستغلالية، كون الاستعمار الاستيطاني هادف للبقاء ولا لكونه حدث مؤقت. (2011 (Veracini,

الخاصية الثالثة للاستعمار الاستيطاني هي علاقة الاستعمار الاستيطاني مع الارض الجديدة:

علاقة الاستعمار الاستيطاني مع الأرض المستعمرَة تنبع من أجندة المستعمر المستوطن التي تنوه على البقاء، ولهذا يجب على المستعمر المستوطن فرض تغيير جذري بمكانته هو في هذه الأرض الجديدة، وليس فقط بمكانة الاصلاني فيها. فعليًا، فإن صراع البقاء على الأرض يتمثل بتغيير مكانة المستوطن هو نفسه من مستعمر إلى أصلاني، وفي المقابل، يجب على المستوطن تغيير مكانة الأصلاني إلى كائن غريب عن هذه الأرض، عابر عن أرضه، هذه العلاقة بين المستعمر والمستعمَر هي علاقة مستدامة ولا تزول. يعمل المستوطن على إعادة إنتاج الإنسان المستعمَر لكي يزول وإعادة إنتاج نفسه الى البقاء، وكلما دامت مدة الإنتاج فشل الاستعمار الاستيطاني. يطرح فيراسيني (2011) هذه العلاقة كالتالي: **" أنه من وجه نظر المستعمَرين، يعني تفكك/إنهاء الاستعمار الاستغلالي إنهاء علاقة المستعمِر بالمستعمَر؛ أما تفكك/إنهاء الاستعمار الاستيطاني فيعني إبقاء العلاقة حية قدر المستطاع".** (Veracini, 2011)

تحقيق هذا التغيير في مكانة المستعمر المستوطن والشعب الاصلاني في الأرض تُطبق بإجراءات فعلية التي تؤدي إلى طرح بنية جديدة في واقع هذه الأرض وسردياته، فيقوم الاستعمار الاستيطاني في إعادة إنتاج

الزمان والمكان ليصبحن من الآن فصاعدا ملكًا للمستوطنين الجدد، وليس لحقبة زمنية ما قبل الاستعمار، وصياغة هذه الرواية يقوم الاستعمار الاستيطاني في كتابة تاريخ هذه الأرض، وفبركتها بمهمات دينية وعرقية، ويقوم بمحو وجود الاصلانين وكيانها، هذا الاستيطان ينتقل في الزمان والمكان بهدف فرض وجوده. (غانم، 2013)

خاصية الاستعمار الرابعة الاستيطاني وهو الخطاب الأيديولوجي:

علاقة الاستعمار الاستيطاني مع الخطاب الأيديولوجي والإقصاء تتمثل في توظيف هذا الخطاب لخدمة أجندة الاستعمار في الاستيلاء على الأرض ومحو ما كان قبله، تعتبر الخطابات المستخدمة في سياق الاستعمارات الاستغلالية استعلائية وفوقية وعمودية، أن هذه الممارسة في الخطاب الأيديولوجي ممنهجة إلى خلق عقدة النقص لدى المستعمَر، لكن هذه الفوقية تؤدي الى فهم الذات، فلا يمكن للمستعمَر أن تكتمل صورته مع ذاته دون الاعتراف بوجود الآخر وصراعه مع فوقيته، وشرحها فانون في كتابه " بشرة سوداء وأقنعة بيضاء" (2004): **"بأنّ عقدة الدونية عند الأسوَد المستعمَر هي المقابل للفوقية الاستعمارية عند الأبيض، العنصري هو الذي يصنع الدوني، فقيمته وحقيقته الإنسانيتان تتوقفان على هذا الآخر، على اعتراف الآخر به، إن معنى حياته يتكثف في هذا الآخر"** هذه العقدة تنتج علاقة ثنائية بين المستعمر والمستعمَر وتتمثل في علاقة "الحداثي- البربري" طرحتها انا لومبا (1998) على انها : **"هيئة متبادلة، إذ عبر تطوير خطابات عنصرية تفوقية يحافظ الاستعمار على ديمومة العلاقة مع المستعمَر، بينما أن الأخير يعمل على قطع العلاقة عبر تقويض رواية المستعمِر"** هذه العلاقة تتمثل في إعطاء الشرعية لتحويل مكانة المستعمر الى اصلاني وبينما في ذات الوقت الاصلاني يصارع في فهم روايته من خلال الرواية الاستعمارية. (فانون، 2004 ؛ لومبا، 1998)

يختلف الخطاب الأيديولوجي ببنائه وكينونته في إطار الاستعمار الاستيطاني، كون هيئته لا تعتمد على زرع شعور الدينونة في قلب المستعمَر وإنما إقصاء وجودة الكامل، المستعمِر في عملية تمكين نفسه في الاستيطان لا يرتكز على إعادة الإنتاج بينه وبين الأصلانيين، فهو يعتبرهم فائض يجب زواله. لهذا، فإن الخطاب الأيديولوجي المستعمر المستوطن يرتكز على **الأنا -الآخر** في نمطية أفقية، أي أن الجانبين لا يجب أن يتواجدوا في نفس البقعة، فوجود احد من طرفي العلاقة يعني زوال الطرف الثاني، كون علاقتهم علاقة صراع على الأرض، وولف (2011) قد استخلص تشخيص علاقة "الأنا -الآخر" في تيارها الأفقي ووصفها ب **" الموت الاجتماعي للسكان الأصلانيين يعني ولادة المستعمِر الاستيطان"**، أما في تفعيل الخطاب الأيدلوجي للمستعمر المستوطن يتم في ترميز الإزالة والاستبدال، يظهر الاستعمار الاستيطاني نفسه

على أنه تجمع سكاني صاعد وواعد لتطوير الأرض، بينما أن السكان الأصلانيين لهذه الأرض يبدون مجتمعًا في طريقه إلى الزوال والاندثار، بالإضافة إلى هذا، تجند هذه الخطابات إلى تبرير الأبعاد السوسيولوجية والاقتصادية والأمنية التي يقبع على أطرافها بنية مجتمع الاستعمار الاستيطاني. (وولف، 2011)

سخر هوكسين الاختلاف بين الخطاب الأيدلوجي في نموذج الاستعمار الاستغلالي ونموذج الاستعمار الاستيطاني عبر لمحة تاريخية وقعت في معالم الاستعمار الأبيض الذي وسم أميركا الشمالية التي كرست عدة خطابات ايدلوجية تختلف في مضمونها ، ففي أميركا الشمالية تم ترميز المستوطنين الجدد، والعبيد الأفارقة والسكان الأصلانيين بناء على **مقولات عرقية** هي **البيض، والسود، والحمر**، ومن هذا التقسيم اختلفت الخطابات الايدلوجية في مضمونها وخدمة أجندة استعمارية مغايرة لكل فئة : كان الخطاب الأيدلوجي اتجاه الرجل الأسود استعلائية، وما يجمعه بالأبيض هو واقع استغلالي-اقتصادي ويستقطب عرق الرجل الاسود للعمل، واقع نسجه له المستعمر الأبيض، أما علاقة الأبيض مع الأحمر هي علاقة وجود على الأرض، ولهذا كرست خطابات ايدلوجية هادفة لإبادة هذه الكتلة البشرية وشرعنة وجود الابيض لإنقاذ الارض، ولهذا فأن آلية تسخير الخطابات الأيديولوجية الممنهجة من قبل المستعمر هي متغيرة بحسب علاقته المباشرة مع المستعمَر. (حباس، 2017)

خاصية الاستعمار الاستيطاني الخامسة:

هي استخدام الاستعمار الاستيطاني للإنتاج المعرفي وهندسته لمحاور الأرض في عوالمها الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية بهدف خلق نفسه على هذه الأرض الجديدة، كون الاستعمار الاستيطاني هو مشروع قيد التطوير وغير مكتمل وعلاقته مع التمكين الذاتي في أوائل نضجها، لهذا يتميز مفهوم "الرأسمالية الاستيطانية" بكونها مشروع قيد الإنتاج يهدف لتأسيس نفسه كمشروع دائم على الأرض. حيث يبدأ الاستعمار الاستيطاني بإزالة السكان الأصلانيين، مما يعني إزالة أنماط إنتاجهم، وعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية والمؤسسات السياسية والمعرفة العضوية مع ذاته ومع الأرض، وهكذا، يحظى المستعمر المستوطن على أرض "خالية" من أي شيء سبقه. (حباس، 2017)

الاختلاف البنيوي ما بين الاستعمار الاستغلالي والاستيطاني، تتمثل بهدف أجندة الاستعمار، فالاستعمار الاستغلالي يهدف إلى الاستحواذ على الأرض واستغلال سكانها الأصلانيين، أما الاستعمار الاستيطاني يهدف على الاستحواذ فقط وتدمير كل أنماط الحياة التي سبقته على هذه الأرض، واعتبار ما سبق الاستعمار الاستيطاني غير مؤهل حتى لتشكيل إدارة عمل رخيصة كجزء من الهيئة الاستعمارية الاستيطانية الجديدة.

يشدد أوسترهامل على هذا الاختلاف: **" قامت مشاريع الاستعمار الاستيطاني الانجليزي والفرنسي والامتداد الأوروبي في أرض أفريقيا تحتاج إلى قوة عمل السكان الأصلانيين كحالة استثنائية، قامت بالإبقاء على أنماط الإنتاج الافريقية الما- قبل رأسمالية لكنها ربطتها بنمط الإنتاج الرأسمالي للمستوطنين الجدد، لكي تعمل على خدمته. ففي النهاية، تعتبر تشكيلة الاستعمار الاستيطاني مركزاً رأسمالياً بالنسبة لأنماط الإنتاج الأصلانية التابعة لها في حال كانت الإزالة اجتماعية وليست جسدية، مما يعني المركز والتابع يتعايشان على نفس الوحدة الجغرافية في تشكيلة الاستعمار الذي هو بنية وليس حدث".** (حباس، 2017)

الإنتاج الاجتماعي والاستعمار الاستيطاني:

الإنتاج الاجتماعي في الاستعمار الاستيطاني يتكون من كتل بشرية التي تخلق النسيج المجتمعي في الأرض المستعمَرة، تتركب هذه الكتل البشرية من ثلاث فئات أساسية، يطرحها هيكسون على النحو التالي:

1. الكتلة البشرية الأولى هي المستعمرين المستوطنين، ويقوم الاستعمار الاستيطاني في تحويل كتلته البشرية الاجتماعية إلى الكتلة المعيارية، تقوم الهندسة الاجتماعية في تشكيلة الاستعمار الاستيطاني على شرعنة المستعمِرين على أنهم الأصلانيين لهذه الأرض، أثناء الاستحواذ على الأرض وإزالة السكان الأصلانيين، يقوم الاستعمار الاستيطاني في ذات الوقت ببناء ورباط كتلته البشرية كجماعة اجتماعية ذات هوية واحدة ومتماسكة.

2. الكتلة البشرية الثانية منسوجة من السكان البرانيين اي المستقدمين الجدد لهذه الأرض لغايات اقتصادية، هذه الفئة تنتظر انضمامها اجتماعيًا وثقافيًا إلى كتلة المستوطنين أثناء مساهمتهم في بناء مجتمع الاستعمار الاستيطاني، وهي تسعى الى توفير أيدي عاملة رخيصة، هؤلاء "الآخرون" يشكلون بعد جديد من التجمع الحضري، فهم لا ينتمون لفئة المستعمرين ولا ينتمون إلى السكان الأصلانيين، تقوم الهندسة الاجتماعية على خلق تعايش بين المستعمر المستوطن والآخر، الهندسة الاجتماعية الممنهجة من قبل الاستعمار الاستيطاني تعيد ادراج البرنيين على انهم آخرين باستدامة الحفاظ على الخط الفاصل بينهم وبين كينونة المستوطنين، فبينهما علاقة مصلحة، تضمن فئة الآخرين وضع أمني واقتصادي أريح من بلدهم الأم، وبالمقابل تدرج أجندة الاستعمار الاستيطاني أيدي عاملة رخيصة لا تشكل تهديدا وجوديا لمجتمع الاستعمار الجديد، لأنهم لا يرفعون ادعاءات حول أحقيتهم بالأرض مثل السكان الأصلانيين.

3. الفئة البشرية الثالثة مكونة من السكان الأصلانيين أصحاب الأرض الذين يألفون الكتلة البشرية الثالثة في النسيج الحضري الاجتماعي في نطاق الاستعمار الاستيطاني، وهم الأهم في الهندسة الاجتماعية. وجود

مكانتهم وإزاحتها متعلق بشرعنة المستوطنين، وسيادتهم وإجراءات إدارة الأصلانيين إقرار "مبدأ الإزالة" في كل مناحيها. (حباس، 2017)

الإنتاج المعرفي والاستيطان الاستعماري:

تصيغ هنيدة غانم (2013) مواصفات الإنتاج المعرفي التي تعتمد على نهج الزمنكية، الاستعمار الاستيطاني يستند على محو الكينونة الاصلانية عن نفسها، وبهذا المحو يشرع الاستعمار الاستيطاني نزوحه إلى أرض الاصلاني ويقوم في طرح سردية تاريخية جديدة الى هذه الأرض، على سبيل المثال يقوم الاستعمار الاستيطاني في فبركة رواية المعالم التاريخية الموجودة في الأرض، كما ويقوم باستحداث معالم تاريخية التي تحمل معرفة تخص المستعمر المستوطن وليس الاصلاني، ويقتنع في هذا الإنتاج، وبعد ذلك يطلق رواية هذه المعالم إلى الأرض ويعرضها للاصلاني حتى يقتنع فيها الاصلاني ايضًا. لهذا، نرى أن الاستعمار الاستيطاني يغزو الأراضي ببعثات دينية أو بدائل قومية، الاستعمار الاستيطاني يتبنى نهج إزالة الكينونة الاصلانية من أثرها على الأرض، فهو يهجر السكان ويرفض عودتهم، ويخفى أي أثر لوجود شواهدهم، وهكذا لا يعود يذكر ما يخص الاصلاني أو الاصلاني ذاته، تشد على هذه الآلية هنيدة غانم:

"محى السكان أولاً من خلال تهجيرهم ورفض عودتهم، ثم تُمحى بيوتهم وتُال قراهم إلى أكوام ركام، ثم تُسوّى الأكوام بالأرض، وفي النهاية تُمحى الأسماء من السجلات: فيُمحى اسمهم وذكرهم فعلياً".- (غانم، 2013)

الاستعمار الاستيطاني في خمسة خصائصه ومقوماته يعتمد على محو المشهد الأصلاني واستبداله بآخر استعماري، ولا يكتفي الاستعمار الاستيطاني بالمحو والنهب بل انه يقوم بإنتاج سردية قومية ودينية وتاريخية جديدة تشرع العلاقة بين المستعمر وبين المكان، يشدد فلاح (2001) على هذا الانتاج الجديد: **"ينهب الاستعمار الاستيطاني الأرض وينتج ديباجة روحانية تبرر سعيه في الاستقلال والاستيلاء على أرض مغتربة ليست من حقه،"** عبر اتفاقيات رأسمالية وقوانين اقتصادية، إجراءات وخطابات اجتماعية وعادة صياغة المعرفة العضوية والسوسيولوجية, وبلورة زمنكية جديدة فيما يخص أقطاب الأرض، ينجح الاستعمار الاستيطاني في نهب المعرفة والكينونة من الاصلاني ويقوم في إزالته الفعلية والنظرية. (فلاح، 2001)

تدرج فلسطين في إطار الشعوب المستعمرة "استعمار استيطاني" وهو استعمار شنته الحركة الصهيونية بتمهيد وعون من الانتداب البريطاني ومن ثم بدعم دولي، يمتد الى السيطرة على الأراضي وخصخصة الموارد ونهب الرواية الاصلانية. بالاستناد على علم النفسي المجتمعي، نتعمق في فهم الإجراءات والاستراتيجيات القابعة تحت نموذج استعماري سوسيولوجي قائم وفعال على أرض فلسطين ويلامس الاصلاني الفلسطيني، كل ما ذكر انفا ينعكس بالاستعمار الاستيطاني الصهيوني ومنهجيته في إزالة الفلسطينيين وهويتهم، وصياغة روايتهم الاصلانية وتاريخهم المعرفي وذاكرتهم العضوية لأنفسهم وكيوننتهم الوجودية.

كثر المقيمون والعابرون على جلد هذا البلد، الذي كان مسرحا حيويا للحضارات على مر العصور، كانت فلسطين نقطة استهداف أساسيّة في حملات الفاتحين شرقاً وغرباً، إلا أن استلاب الأرض من قبل الاستعمار الاستيطاني الصهيوني تجسد بكيان مختلف، إذ لم تسلب الأرض فقط، بل تاريخها وشعبها وذكرى وجودهم وكيانهم. أسهب وولف بعرض هيئة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني باقتباس من كتاب ثيودور هرتسل بعنوان "الأرض القديمة الجديدة"، حيث قال فيه هرتسل: **"إذا كنت أرغب في استبدال مبنى قديم بجديد، فعلي أن أدمر القديم قبل أن أبدأ بالبناء".** (وولف، 2006)

وبحسب غانم (2013)، تبنى نموذج الاستعمار الاستيطاني الصهيوني مبدأ الازالة بكافة معالمها، استهلالًا بمنطق **ابادة الأصلانيين**، مارَسَ الاستعمار الصهيوني استراتيجيّة ثابتة تهدف إلى تنظيف أرض فلسطين من "الأفاعي والبَرابرة"، تبعاً لقول بن غوريون المعروف. يَعتبر الغاصب الإسرائيلي أنّ الفلسطيني هو "الغونيم" أي اللّاإنسان الذي لا حُرمة له ولا حقّ له في الوجود، حيث يُنظر إليه "من فوهة البندقيّة" أي من منظور إبادة ومحو الفلسطينيين الأصلانيين عن الوجود. ارتكب الاستيطان الصهيوني أكثر من 75 مجزرة بحق الشعب الفلسطيني، وتم تدمير المئات من القرى وطرد السكان منها ومن منازلهم، إذ طرد الاستعمار الصهيوني سنة 1948 نصف الأصلانيين من بقعته التاريخية فلسطين.

عمل الاستعمار الاستيطاني الصهيوني على تحويل **"العداء المستديم"** الى سمة شخصية وجوهرية يحملها فلسطينيين ضد اليهود والصهاينة بهدف تبرير كل سياسات القوة والقمع التي يقوم بها ضدهم، بحيث يصوّر الصراع كصراع وجودي بين "طرفين"، بالتالي فهو "مضطر" على التطهير والطرد كضرورة قصوى من اجل البقاء. طرد الاستعمار الاستيطاني الصهيوني 85% من الفلسطينيين أهل هذه الأرض والتي كانوا يعيشون عليها قبل التقسيمات الاستعمارية واعلان الاستعمار الاستيطاني الصهيوني لكيانه ب- "دولة

إسرائيل". بالإضافة الى تدمير وشرذمة 418 قرية فلسطينية، جرى تفريغ خمس مدن، هي: صفد، وبيسان، وطبرية، وبئر السبع، والمجدل من سكانها الأصلانيين بشكل تام، وتم تبديل السكان الأصلانيين بنازحين مستعمرين مستوطنين للحلول مكانهم واستبدالهم والتوسع بأرضهم. (غانم، 2013)

تعهد الاستيطان الاستعماري الصهيوني على محو كيان الأصلانيين وذكرياتهم، وجودهم وتاريخهم، وبحسب غانم (2013)، توغل الاستعمار في ترجمة الازالة من فكرة رمزية إلى فعل تطبيقي حيث لم يكتفي الاستيطان الصهيوني بتهجير السكان الأصلانيين وإزالتهم من بيوتهم وقراهم ومنع عودتهم بل وكان مصّر أن **"تُمحى بيوتهم وتُحال قراهم إلى أكوام ركام، ثم تُسوّى الأكوام بالأرض، وفي النهاية تُمحى الأسماء من السجلات: فيُمحى اسمهم وذكرهم فعلياً، واعادة تسميتهم بأسماء توراتية وعبرية، وفي مقابل محو المشهد الفلسطيني، كان يعلو بسرعة مشهد إسرائيلي يهودي جديد."**- (غانم، 2013).

المحو هو ليس ممارسة اعتباطية في المجتمعات الاستعمارية الاستيطانية، وإنما هو كما يكتب باتريك وولف "مبدأ منظم"، وهكذا فإن المستعمر عندما يقوم بمحو الأسماء والسكان، لا يفعل ذلك بسبب نزوة، او لأن هؤلاء قاوموه، فلو كان الأمر كذلك لما أبيدت القرى التي استسلمت ورفعت الرايات البيضاء، وإنما لأنه يريد الأرض جاهزة لمشروع الاستيطان ولبناء بيته، وقد وصف موشيه دايان عملية المحو والإحلال في محاضرة له أمام مجموعة من الطلبة في معهد التخنيون بتاريخ 19/ 3/ 1969، والتي نشرت صحيفة "هآرتس" تقريراً عنها في 1969/4/4، كما يلي: **"لقد حلت القرى اليهودية القرى العربية، وليس في استطاعتكم اليوم أن تعرفوا حتى أسماء تلك القرى العربية، وأنا لا ألومكم، فكتب الجغرافيا لم يعد لها وجود، بل القرى العربية ذاتها لم يعد لها وجود، لقد حلّت نهلال مكان معلول وجبعات مكان جبع، وسريد مكان خنفيس، وكفار يهوشواع مكان تل الشمام."**. (غانم، 2013)

تتم الإبادة الثقافية والاجتماعية بحذف الأصلانيين كذوات سياسية و جماعات قومية سياسية من تعدد الجماعات، تتوسع غانم (2013) في هذه الظاهرة وتشدد على نهج الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في الإبادة الثقافية والفعلية للشعب الاصلاني الفلسطيني وعملية إنكار هذا الاستعمار لوجود الاصلانيين يتعدى "الوجود الطبيعي" الذي يتخطى إشباع حاجاتهم البيولوجية. وبهذا السياق ايضا تسمية الفلسطينيين ب "الطوائف الغير يهودية" مقابل تسمية اليهود ب "الشعب اليهودي" في نص وعد بلفور (نذكره بتوسع في المحور الثالث)، يغير الاستعمار مكانة الكتل البشرية في الأرض، ويمركز نفسه على انه الأصلاني لهذه الأرض يؤدي لشرذمة الثقافة الأصلانية ونهبها وإحلالها من نواتها، تتشعب هذه الظاهرة الى عدة معالم:

1. إلغاء لغة سكان الأصلانيين، وفرض لغة المستعمرين بمثابة "لغة الأم" لهذه الأرض.
2. منع ممارستهم لشعائرهم الدينية والاجتماعية من خلال استهداف هذه المراكز عسكريًا، وتدشين مقابر الأصلانيين والتربع على عاداتهم وتقاليدهم.
3. تقييد وفرض تضييقات أكاديمية، حرم الأصلانيين من فرص التقدم والتطور او العودة الى ارثهم الثقافي وكل ما يشير لتاريخهم ومعرفتهم الفلسطينية.
4. نهب معرفتهم في الارض واعادة صياغة مواردها على أنها ملك لهم، من المأكولات، والنباتات والرواسب وثروات الأرض.
5. التحكم في الوضع الاقتصادي وموارد العيش اليومي، إذ تضطّر نسبةٌ مهمّة من القوى العامِلة التي فقَدت مَوارِد رزقها في أرضها للعمل في المُستعمرات يحيط بهذا العمل الكثير من العقبات والمنغّصات لجهة التصاريح المُسبقة وإمكانيّة إلغائها في أيّ وقت.

هذا الواقع المسرود للفلسطينيين المنسوج من هيمنة الاستعمار الصهيوني يجرهم إلى عقدة النقص، والإخضاع واليأس، والجهل من هذه الممارسات طمس وقمع وملاحقات للأصلانيين بحيث توجد علاقة وظيفية بين المحو والجهل لدى أجيال الاستعمار من أجل ضمان استمرارية المشروع الاستعماري، إذ أن الواقع عقب على خلص جيل لا يتواصل مع اسمه وذاكرته ووجوده. (غانم، 2013)

تفنن الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في أساليب الاستيلاء على الأرض وتنفيذ هذه الاستراتيجيّة. ولم يَترك وسيلة إلّا ولجأ إليها: احتلال الأرض، وتهجير سكّانها ومصادرتها، بدعوى أنّها أصبحت ملكيّة الدولة ولا يسمح لهم بالعودة إليها، أو بدعوى أنّها مناطق عسكريّة أو محمية طبيعية. عمل الاستعمار الاستيطاني الصهيوني على تغيير معالم الأرض واستقطاب ثرواتها العضوية وتوظيفها لتمكين استقلال استعمارها، وتمكين مستعمراتها وتغيير منتوجاتها. لم تبن الحركة الصهيونيّة مستوطنات فحسب، بل خطّطت دولة بكامل مركّباتها على أرض فلسطين. حيث حمل مهندسيها القادمين من الغرب، والّذين لم يعيشوا المكان، الخرائط والأقلام، ورسموا خطوطًا على الورق. خلال بضع سنوات، تتحول هذه الخطوط إلى مشاريع مياه وشوارع وأراضٍ زراعيّة ومناطق صناعيّة، تشقّ وجه الأرض من شمالها إلى جنوبها، لتؤمّن الهيمنة العسكريّة والسياسيّة للمشروع الصهيونيّ. يؤكد (ميرون بينفيتيستي) رئيس بلدية سابق للقدس المحتلة، على سياسة التغيير الجيولوجي بكلامه: **"كأحد أعضاء حركة الرواد الشباب، انا نفسي جعلت الصحراء تزدهر، اقتلاع**

أشجار الزيتون القديمة لإعداد الأرض لزراعة الموز، كما تطلبت منا مبادئ التخطيط الزراعي الذي أنتمي له، روش هنيكرا". (موقع عرب 48، 2022 ؛ دريني، 2020)

يذكرنا سلامنكا (2013) أن منهجية الاستعمار الاستيطاني الصهيوني هو استذكار من المد الاستعماري الاستيطاني الأوروبي، هذه الاستراتيجيات طبقت فعليًا على بقاع جغرافية أخرى وعلى أطلال سكانها الأصلانيين، إلا أن تطور الاستراتيجية يستند على التبرير في حق الاستيطان الصهيوني. دعم البلاد الأم قوميًا، ماليًا، وتمهيد الدولة الامبريالية الأم من حيث الاستيلاء على مستندات الأراضي الاصلاني ووضعها تحت الامن العسكري سهل على الاستعمار الاستيطاني من بلورة نهج "الاعادة"، الذي بحسب رغبة (بن غوريون) ينطوي على فعل مزدوج، يشمل بالضرورة محو وانشاء وقتل واحياء. حيث أن الاعادة المقصودة لا تتمحور فقط على إعادة طقوسية ولا حجًا روحانيًا يسعى الى الوصول الى الهيكل المقدس، وانما اعادة خطية وعكسية للميثولوجيا والسردية باعتبارهما حقيقة تاريخية. فيتم انتزاعها من عالم المتخيل وعرضها عنوة في عالم الممارسة، وهكذا يكون فعل الاعادة هو الدينمو للمشروع الاستعماري الاستيطاني. (سلامنكا، 2013)

لقد رأت الصهيونية نفسها كحركة عودة وإحياء، لا حركة استعمارية استيطانية، شدد على هذا النهج بيتربيرج (2008): إن مفردات الإحياء والإنقاذ والاعادة كانت مفردات ثابتة في خطاب منظّري الصهيونية أولا، وفي برنامج عملها السياسي ثانيا والذي تضمّن "إحياء" اللغة العبرية و"إحياء" الأسماء التوراتية وعبرنة أسماء "القادمين"، بل "إنقاذ" أي أثر يهودي وعبري وتوراتي ونشله من غابر الزمان، ووضعته على سطح البلد. وطبعا كان الهدف إعادة كل شيء إلى ما كان في لحظة محددة من تاريخ المكان، بحيث يكون كل ما بعدها فراغ وخواء، وكل ما قبلها الحكاية لا غير، هذا يمكنهم من التغني بتاريخهم وانجازاتهم. (Piterberg, 2008)

" يُقابِل هذه الاستراتيجيّة الإلغائيّة للكيان الفلسطيني تفنُّنٌ في أساليب المُقاوَمة والصمود من قبل الفلسطينيّين، تتجلّى في طاقات الحياة التي تُعبَّأ وتُستَنفَر في أقصى مداها، دفاعاً عن حقّ الوجود. ومن المعروف أنّ طاقات الحياة تُستنفَر في أقصى حيويّتها في الظروف الاستثنائيّة، ف ما يُعرَف بردّ الفعل الحَرِج". (حجازي، 2018)

استراتيجيّات المُقاوَمة الشعبيّة والمُقاتِلة في التشبُّث بالأرض والكيان والهويّة والتراث والذاكرة، وجمْع الشمل العائلي و"إعادة إنتاج الاجتماعي المحلّي والعالَمي، أي العمل على تأمين استمراريّة الوجود الاجتماعي وتجديده وإعادة تنظيم الحياة، والتحوّل إلى حياة الطوارئ المديدة، هذه الاستراتيجيات تستند على الاستذكار،

استذكار المعرفة والذاكرة والتذكر يبقوا عصيين على الاستعمار الاستيطاني ما لم يتخلص هذا الاستعمار من السكان الأصلانيين. فهو لا يستطيع أن يغزو ذاكرتهم بشكل مباشر كما فعله في المجازر والتهجير والهدم وغيرها من ممارسات. من هنا تبع قيمة وأهمية الاستذكار كفعل مقاومة يخرّب المحو يعيق للمستعمِر حكاياته التي استبدلها للرواية الحقيقة الاصلانية، واعمق من ذلك ان للاستذكار قيمة معنوية باستعادة مشاعر الالفة والحميمية لدى اللاجئين تجاه الماضي وبلداتهم والمشاهد قبل ان يتحولوا الى لاجئين فهو دليل على أن حياته كانت ستكون مختلفة لولا اللجوء. هو قوقعة اللاجئ وآخر معاقله التي يحتمي فيها من الاستعمار الاستيطاني. اللاجئ يستخدم السرد والتذكر للحفاظ على المكان الاصلاني في مخيلته وذاكرته. (غانم، 2013 ؛ حجازي، 2018)

ختاما لهذا المحور، تذكرنا غانم (2013) بأهمية الاستذكار واستخدام المفكرين والأدب لهذا السياق للحفاظ على الذكرى الفلسطينية وتاريخ هذه الأرض وشعبها، وكما تشدد على أهمية هذه الآلية في المقاومة وفهم الواقع وعلاقة الفلسطينيين مع أنفسهم كأصلانيين ومع أرضهم المحتلة، ومن هنا تنطلق شعلة التحفيز على التحرر الفكري الذي يجر خلفه التحرير الفعلي، ومن هذه المقتطفات الراسخة في الأدب الفلسطيني وارثه:

طه محمد علي (1989) يحي الحاضر بواقع ماضي الأرض والشعب الذي يجاور كل فلسطيني:

" الماضي يغفو بجانبي

كما يغفو الرنين

بجانب جدّه الجرس

والمرارة تتبعني

كما تتبع الصيصان

أمها الدجاجة"

محمود درويش (1999) يحثنا على اهمية الاستذكار واستعادة ماضينا ومعرفتنا، وعند استعادة الذكرى نبني التحرر والمستقبل:

" والآن وأنت مُسَجًّى فوق الكلمات

وحيداً، ملفوفاً بالزنبق، والأخضر

والأزرق، أدركُ ما لم أدرك:

إن المستقبل مُنْذُئذٍ،

هو ماضيك القادم! "

المحور الثالث

التقسيمات الاستعمارية الاستيطانية في فلسطين

نرفض في هذه الرسالة جميع المصطلحات التقسيمية لفلسطين وهويتها، سواء كانت تخص المناطق الجغرافية في أرض فلسطين وتسميتها، و/أو والتقسيمات الهوياتية في تعريف السكان الفلسطينيين، فهذه المصطلحات هي مصطلحات الاستعمار الاستيطاني الصهيوني وتخدم مصالحه. لكن وجب عرض هذه المصطلحات في غاية توضيح استراتيجية التقسيمات على الصعيد الجغرافي والبشري.

استخدم الاستعمار الاستيطاني الصهيوني أدوات مختلفة لفرض سيادته على أرض فلسطين عبر التاريخ وصولا لواقعها الحالي، نسلط الأضواء على الأساليب الاستراتيجية والإجراءات الممنهجة التي اتبعها الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في الاستيلاء على الأرض وفرض حياة على الفلسطينيين تشمل تقسيمات عدة فوق مساحة أرض فلسطين وصولا الى مخيمات اللجوء في الشتات، وإلى اللّاحياة واللّاوجود (حجازي، 2018). تتشكل هذه الممارسات من أربعة أقطاب:

1. التقسيمات الجغرافية، والاستيلاء على الأرض.
2. التقسيمات الاقتصادية، ونهب الثروات الطبيعية.
3. التقسيمات الإدارية، والقانونية، والسياسية.
4. التقسيمات الاجتماعية، والثقافية، والمعرفية.

تأسست التقسيمات الجغرافية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية عبر عدة مراحل تاريخية، وصولا إلى الوضع القائم لتقسيمات الأرض والحدود، وشرذمة الرواية الفلسطينية. أنشأت هذه المراحل واقع الفلسطيني

الحالي، هويته، مكانته الجغرافية، وضعه الاقتصادي، ومستواه المعرفي. نلخص أهم المراحل الزمنية لهذه التقسيمات على النحو التالي:

الوضع القائم← 2006 ← 2000←1993 ← 1987←1967 ←1948←1917

الوضع القائم← حصار غزة ← الانتفاضة الثانية ←اتفاقية أوسلو ←الانتفاضة الاولى ← النكسة ← النكبة ← بلفور

برزت الحركة الصهيونية وانتشرت بين يهود أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، واعُتبرت الدول الأوروبية "دول الأم" للحركة الصهيونية والداعمة الاقتصادية والاجتماعية الأولى لفرض الاستيطان الصهيوني على أرض فلسطين. حيث قام الامتداد الأوروبي في التمهيد لعملية الاستيطان التي وقعت على أرض فلسطين، وتجميع المجتمعات الصهيونية في فلسطين تحت إطار **"شعب واحد، وقومية واحدة"**، ومن هنا، تنسج التقسيمات الجغرافية رواية الأرض وشرذمة الفلسطينيين الأصلانيين عبر التسلسل التاريخي والأحداث التي أدت لنضج الاستعمار الصهيوني وتمكين سيادته على أرض فلسطين. (بيان موقع وفا، 2014)

برزت أطماع الحركة الصهيونية في أرض فلسطين عام 1897 في اجتماع الحركة الصهيونية الأول "بازل" وكانت احدى اولوياته إقامة وطن للشعب اليهودي في فلسطين: بحسب لينا قبها (موقع مركز القدس) **"كان الأساس الذي تسعى إليه الحركة الصهيونية بالإضافة إلى السيطرة على الأرض، هو استعمار الأرض بأكبر عدد من السكان اليهود المستوطنين القادمين من الخارج، أي أن نجاح مشروعها يكمن في مدى قدرتها على اجتذاب المهاجرين اليهود ونجاحها في استيعابهم في فلسطين".** (موقع مركز القدس، 2022)

بدأت الحركة الصهيونية بتحفيز اليهود في الهجرة إلى فلسطين والنزوح في إطار مجموعات تمهيدا إلى يوم استيلائهم على الأرض وإعلان استقلال الحركة الصهيونية كدولة قومية واحدة. حوت فلسطين ما يقارب أربع هجرات يهودية صهيونية عادلت 40 ألف يهودي حتى ما قبل الانتداب البريطاني وإخضاعه لفلسطين تحت حكمه العسكري، بينما تداولت بلدان الام والحركة الاستيطانية الصهيونية نضوج الإجراءات السياسية في تطبيق الاستيطان الشامل. كانت الفئات المهاجرة الصهيونية القابعة في أرض فلسطين تمكن نفسها اقتصاديًا وجغرافيًا وتشبع معرفتها في الحيز، والموارد، والأرض تمهيدًا لفتح أبوابها للوافدين من الحركة الصهيونية، حتى بلوغ الفكرة السياسية في استيطان أرض فلسطين أوجها عام 1917 في وعد بلفور الذي تم بين الحركة الصهيونية والامتداد الأوروبي ونص على النحو الآتي (بيان موقع وفا، 2014):

"وزارة الخارجية

2 تشرين الثاني / نوفمبر 1917

عزيزي اللورد روتشيلد: يسرني جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلال الملك التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على اماني اليهود والصهيونية وقد عرض على الوزارة وأقرته.

أن حكومة جلال الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، ستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليًا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه الإخلال بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين ولا بالحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلاد الأخرى.

وسأكون شاكرًا لو تكرمتم بإحاطة الاتحاد الصهيوني علمًا بهذا التصريح

المخلص

آرثر جيمس بلفور"

وقعت لعنة الاستيطان الاستعماري الصهيوني على أرض فلسطين وشعبها الأصلاني عقب هذه الاتفاقية، فبدأ تقسيم أرض فلسطين إلى قسمين: الأول منهما إنشاء دولة يهودية في القسم الشمال الغربي تمتد على ساحل حدود لبنان إلى جنوب يافا وتشمل عكا وحيفا وصفد والناصرة، أما الأراضي الفلسطينية فهي تشمل القسم الجنوبي الغربي وتمتد على حدود الأردن وتشمل مدينة يافا، أما الأماكن الدينية والمقدسة فتقع تحت حكم الانتداب البريطاني. أما تقسيم الشعب الأصلاني والمستعمر ينص على تبادل بين حدود الدولتين التي أقرها الامتداد الأوروبي البريطاني، في هذه الحقبة الزمنية كل من "الدولتين" المستوطنين والأصلانيين تلقوا قرارات سلطوية مختلفة وكل منهما قام بمواجهة هذه القرارات بنهج مختلف:

1. أراضي المستوطنين قامت بتمكين نفسها ماليًا وجغرافيًا من مساعدات وتسهيلات أصدرتها الحكومة العسكرية البريطانية، من خلال إنشاء مشاريع الري واستقطاب الموارد الطبيعية، وتأسيس مراكز للمستندات وتوثيق الأراضي، كما أنها عززت واستقبلت كمية من الوافدين المستوطنين والنازحين من الحركة الصهيونية حتى وصلت اعدادهم الى 56% من أرض فلسطين.

2. أراضي الأصلانيين كانت مشتعلة بالثورة إذ لم يؤيد الشعب الأصلاني فكرة التقسيم والاستيلاء على أراضي وقامت بمقاومة هذه النزعة، بينما قامت الحكومة العسكرية البريطانية باحتواء الثورة، وكانت تعمل بالتوازي على سرقة المستندات وتطويق الأراضي وتضييق الموارد المالية من حيث العمل، وتشريع اللغة الانجليزية والعبرية بجانب العربية، اضافة الى السعي الى ترحيل وتهجير الفلسطينيين من أراضيهم، من خلال ممارسة السياسات التهجيرية، المتمثلة بالقتل والهدم وارتكاب المذابح، وتنفيذ الحروب العدوانية، التي كانت تهدف إلى تشريد الفلسطينيين وتضييق الخناق عليهم. (بيان موقع وفا، 2014؛ موقع مركز القدس، 2022)

تم خلق مشكلة في كل منحى من حياة الأصلاني الفلسطيني حتى تم تشريع استقلال دولة الحركة الصهيونية دوليًا وعُرفت في "دولة إسرائيل" عام 1948، وتم تتويج هذا العام بلقب النكبة ويعني لغوياً ‘‘المصيبة أو الكارثة’’ من قبل الأصلانيين الفلسطينيين، إذ أنه في هذا العام تغير كل واقع الأصلاني الفلسطيني من كونه صاحب الأرض إلى كونه فائض يجب التخلص منه. أدى هذا العام إلى انهيار واضح وتفكك في تركيبته الاجتماعية وفقدان الهوية الخاصة، وتشريع المستوطن على أنه الأصلاني الجديد لهذه الأرض. (بيان الجزيرة، 2022)

يصف مركز المعلومات الوطني الفلسطيني النكبة بأنها " شكلت أكبر عملية تطهير عرقي شهدها القرن العشرين"، والتي كان ضحيتها تهجير نحو 950 ألف فلسطيني من مدنهم وبلداتهم الأصلية، من أصل مليون و400 ألف فلسطيني كانوا يعيشون في 1300 قرية ومدينة في كل فلسطين من النهر الى البحر. وشهد عام النكبة أكثر من 70 مجزرة نفذتها الحركة الصهيونية، للنكبة في معناها البسيط والمباشر هي الاقتلاع والطرد ومن ثم الإحلال، وهي جريمة إنسانية بكامل المعاني والمعايير، فقد استشهد أكثر من 15 ألف أصلاني، واعتقل أكثر من 47 ألف منهم، وهجّر الاستعمار الصهيوني ما يقارب المليون لاجئ إلى الدول العربية والضفة الغربية وقطاع غزة، أما من تشبث في الأرض وبقي من الأصلانيين الفلسطينيين تم إخضاعه إلى الاحتلال وقوانينه، وفقد هويته. (بيان الجزيرة، 2022)

السيطرة على الأراضي الفلسطينية وصلت الى 85% من حيز الأرض أجمعه، **"تم القضاء على 774 قرية ومدينة فلسطينية، وتم تدمير 531 منها بالكامل"** (بيان موقع وفا، 2018)، وأنشأ الكيان الصهيوني مستوطنات على أراضي تلك القرى ليفرض أمرا واقعا عن فكرة "لا مكان للعودة إليه" بعد أن تُبنى المستوطنات على الأراضي المغتصبة، واحتُلت المدن الكبيرة وشهد بعضها معارك عنيفة بين الحركة

الصهيونية والامتداد الأوروبي من جهة والدول العربية والمقاومين الأصلانيين من جهة أخرى، وتعرضت معظم القرى الأصلانية لقصف احتلالي أسفر عن تدمير أجزاء كبيرة منها، ومنها اليوم ما تحول إلى مدينة يسكنها مستوطنون صهيونيون فقط، وأخرى باتت مدن مختلطة بين المستوطنين وما تبقى من الأصلانيين. (بيان موقع موفا، 2018)

نشأ وضع غير المستقر بعد النكبة شكلت قضايا الفلسطينيين الأكثر أهمية من دون حل، ما ضاعف حجم الخسائر الكارثية لسنة 1948 على الفلسطينيين، مثل **قضيتي اللاجئين الفلسطينيين والتمثيل السياسي للشعب الفلسطيني.** ولدت النكبة أول تصدع في هوية الفلسطينيين فهناك قسم هاجر للدول العربية المجاورة وال- 23 في المئة المتبقية من أرض فلسطين تحت سيطرة القوات العسكرية العربية: فكانت القوات المصرية تسيطر على غزة، فيما احتفظت القوات الأردنية والعراقية بالضفة الغربية وشرقي القدس، وتم تصنيفه على أنه **لاجئ** في هذه الدول، أما الأصلانيين الذين بقوا صنفوا كفلسطينيين ضمن الأراضي المحتلة عام 1948، تم تصنيفهم تحت إطار **"عرب الداخل"**، التسمية تتجلى بالتشديد على القومية العربية بدل الفلسطينية لمحو أي صلة من ذاكرة فلسطين، ولكلا التصنيفان لم يكن ممثل سياسي وحكومي له. (موقع مركز القدس، 2022)

النكبة الفلسطينية في جوهرها إشارة لسرعة انهيار المجتمع الفلسطيني تحت ضربات الهجوم العسكري الصهيوني ونزوح الشعب وتشتته في العالم العربي وسقوط المقاومة، ولم تنته النكبة الفلسطينية عام 1948، بل تبعها نكبات أخرى مرورًا بنكسة عام **1967**، وهي تنص على تقسيمات جغرافية جديدة في فلسطين، التي باتت تعرف في هذا التاريخ **"بأرض إسرائيل"**، عقب الصراعات بين الكيان الصهيوني والدول العربية والمقاومين الأصلانيين، شنت حرب دامت ستة أيام إلا أنها كانت كفيلة بخدمة أجندة الكيان الصهيوني في التوسع الديموغرافي، فقام الكيان الصهيوني بمفاجأة الجبهات العربية ورفع ميزان القوى الى صالحه. أضاف الاستعماري الاستيطاني الصهيوني إلى مستعمراته الاستيطانية 69347 كلم، ضمت هضبة الجولان، وشبه جزيرة سيناء، وقطاع غزة، والضفة الغربية، والقدس، بالإضافة الى ذلك، ضمت الضفة الشرقية والغربية ذات الإطار، وشيعت القدس كعاصمتها الشرعية. (بيان الجزيرة، 2018)

ادى هذا التقسيم لخلق معضلة جديدة في تشرذم الشعب الفلسطيني، حيث نجحت القوات الصهيونية بتهجير 88 بالمئة من الأصلانيين الفلسطينيين للمرة الثانية من مناطق الضفة وغزة والقدس، وأدخلت إلى حدودها الاستعمارية عرب غير الأصلانيين الفلسطينيين مثل السوريين، اللبنانيين والمصريين، كما وفرضت القوات الصهيونية سيادتها على سكان القدس الفلسطينيين الأصلانيين، من هنا نتج عدة تقاسيم للهوية، منها مهجرين

ولاجئين للمرة الثانية، والتي عملت على تصفيتهم وإنكار عليهم حقهم في العودة وتقرير المصير الذي يستمد مشروعيته من حقهم التاريخي في وطنهم، أما العرب الجدد وسكان القدس فلم يدخلوا نطاق "الهوية الاسرائيلية"، وما تبقى من مستندات الفلسطينيين الأصلانيين لم يعترف بها وتم اعادة صياغتها تحت إطار "الهوية الاسرائيلية". (بيان الجزيرة، 2018)

بالرغم من كل التضيقات والابداعات والعديد من الحوادث التي أدت لخسارات بشرية للشعب الاصلاني، إلا أن الفلسطينيين لم يخضعوا بالكامل، اشتعلت الانتفاضة الاولى عام 1987 ودامت ثلاث سنوات، ومن أهم انجازاتها كان الاعتراف بالفلسطينيين، والاعتراف بسكان الضفة والقدس والقطاع على أنهم جزء من الشعب الفلسطيني وليسوا أردنيين، وتم إنشاء "السلطة الوطنية الفلسطينية" التي أصبحت لها السيادة مكان الإدارة المدنية الإسرائيلية تنفيذاً للاتفاقات الموقعة، ومن هنا، نتج لهوية الفلسطينيين ثلاثة تيارات، التيار الأول فلسطينيي الداخل أي داخل الحدود الجغرافية للاستعمار الاستيطاني الصهيوني، أشار إليهم الاستعمار الصهيوني ب"عرب الداخل" بهدف تجريدهم من ذكرى وجدانهم الفلسطيني والتركيز على قوميتهم العربية المختلفة عن قومية "الأصلانيين المستوطنين" ، التيار الثاني هم اللاجئين الفلسطينيين، ثالث تيار هم الفلسطينيين في الضفة والقطاع تحت الاتفاقيات بين السيادة الفلسطينية والكيان الصهيوني على الأراضي المحتلة عام 1948. (مجلة المعرفة، 2020)

أما ما تلى الانتفاضة الاولى فقد صقل حدود جغرافية جديدة لأرض فلسطين، وتجزئة جديدة للشعب الفلسطيني، اتفاقية أوسلو، نصت الاتفاقية عام 1993 على الاعتراف بوجود الطرفين المستعمر الاستيطاني الصهيوني والفلسطيني، وإنشاء سلطة فلسطينية مستقلة عن الصهيونية، نصت الاتفاقية على انسحاب القوات العسكرية تدريجيًا من غزة، والضفة، وأريحا، تشكيل صندوق طوارئ يمكن الولوج إليه من الطرفين، أما بالنسبة للأمن الداخلي فسيكون من مهام السلطة الفلسطينية، يتم تشكيل سلطة فلسطينية مكونة من مجلس منتخب. تنص الوثيقة كذلك على أن لهذا المجلس حق الولاية على كل الضفة وغزة في مجالات الصحة والتربية والثقافة والشؤون الاجتماعية والضرائب المباشرة والسياحة إضافة إلى الإشراف على القوة الفلسطينية الجديدة، ما عدا القضايا المتروكة لمفاوضات الحل النهائي مثل: القدس، والمستوطنات، والمواقع العسكرية، والمستعمِرين المستوطنين الصهيونيين المتواجدين في الأرض المحتلة. (مجلة المعرفة، 2020)

امتداد لاتفاقية أوسلو، طُرحت اتفاقية مطولة عام 1995 عرفت باتفاقية أوسلو الثانية، التي لم تعد بدولة فلسطينية مستقلة بل وضعت الاتفاقية تصوراً لتأسيس حكومة ذاتية انتقالية فلسطينية في الأراضي الفلسطينية،

ديباجة الاتفاقية عن التعايش السلمي، الكرامة والأمن المتبادلين، بينما تعترف بالحقوق الشرعية والسياسية المشتركة للطرفين، ونصت على عدة بنود نذكرها بدون تعمق (مجلة المعرفة، 2020):

- إعادة الانتشار.
- الترتيبات الأمنية.
- عقد انتخابات.
- تنظيم الشؤون المدنية.
- تنظيم الشؤون القانونية.
- العلاقات الاقتصادية.
- برنامج التعاون الصهيوني- الفلسطيني.
- الإفراج عن سجناء وموقوفين فلسطينيين.

أما فيما يخص تقسيم الأراضي، فقامت هذه الاتفاقية في شرذمة المناطق والشعب الفلسطيني بشكل متزايد عما كانت عليه قبل هذه الاتفاقية. على الرغم من تعقيدات وصعوبة الشرذمة الجغرافية آنذاك، عقدت اتفاقية أوسلو الثانية (1995) 3 تقسيمات الأراضي تحت سيطرة السلطة الفلسطينية على النحو التالي:

منطقة أ: هذه المنطقة تحت سيطرة مدنية وأمنية كاملة من قبل السلطة الفلسطينية، حوالي 3% من الضفة الغربية، باستثناء شرقي القدس (ما يعرفه الاستعمار ب "القدس الشرقية")، وتشمل هذه المنطقة جميع المدن الفلسطينية والمناطق المحيطة بها، مع عدم وجود مستوطنات إسرائيلية. ويُعد الدخول إلى هذه المنطقة محظورًا على جميع المستوطنين بموجب قانون الكيان الصهيوني. (مجلة المعرفة، 2020)

منطقة ب: هذه المنطقة تقع تحت السيطرة المدنية الفلسطينية والسيطرة الأمنية الصهيونية الفلسطينية المشتركة، هذا يعني أن جيش الكيان الصهيوني لديه الحق في الدخول لهذه المنطقة لأسباب تهدد أمنه، وهناك شرعية للقوات العسكرية المستوطنة لمداهمة المنازل في هذه المنطقة واعتقال الأفراد. (بيان الجزيرة، 2019)

منطقة ج: المنطقة ج تشمل غالبية قضاء الضفة الغربية، وتقع تحت سيطرة مدنية وأمنية صهيونية كاملة، ما عدا على المدنيين الفلسطينيين، تضم أيضا الغالبية العظمى من المستوطنات الإسرائيلية غير القانونية في

الضفة الغربية، والتي يزيد عددها عن 200 مستوطنة، يعيش بها أكثر من 400 ألف مستوطن. (بيان الجزيرة، 2019)

يجدر الذكر، أنه على مدار السنوات شيدت انتهاكات قانونية من قبل القوات العسكرية الصهيونية والاجراءات القانونية والادارية من قبل الكيان الصهيوني لهذه الاتفاقية، وشكلت مد ديموغرافي للمستوطنات في هذه الأراضي. (بيان الجزيرة، 2019)

التقسيم الناتج عن اتفاقيات أوسلو الأولى والثانية شرذم الهوية الفلسطينية، وجزئها إلى مناطق جغرافية متعددة، وساهم في هذا التصدع الاجراءات الادارية المرئية التي شرعها الكيان الصهيوني من معابر وحواجز، التي صعبت التواصل بين الأصلانيين، وخلقت لكل منهم سردية وواقع مغاير، تجزأت هوية الاصلاني الفلسطيني لعدة اجزاء وهي الأصلانيين داخل حدود الاحتلال، الأصلانيين القابعين تحت السلطة الفلسطينية في تجزئته المنطقية، اللاجئين والمهاجرين الذين نزحوا لبلاد أخرى واعتبروا من الشتات الفلسطيني، كما أن هذه الاتفاقية ابعدت الانتماء القومي العربي، الفلسطيني بكل تجزئته لم يعد بعلاقة وطيدة مع البلاد العربية المجاورة. (موقع مركز القدس، 2022)

المرحلة الاخيرة من التقسيمات الجغرافية القابعة على أرض فلسطين نتيجة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني تبلورت عام 2006، حيث شن الاحتلال عملية عسكرية وفرض حصار شامل على قطاع غزة وغلفه في جدار يمنع المرور منه، ردا على حركات المقاومين من غزة، وهكذا جزء الاستعمار قسمًا آخر من تقسيمات فلسطين، فقامت بفصل غزة عن السلطة الفلسطينية لأسباب أمنية، ولأسباب داخلية نتجت من السلطة الفلسطينية ذاتها، وهكذا نتج تقسيم جديد يشمل: الأصلانيين داخل الحدود الجغرافية للاستعمار الاستيطاني، الأصلانيين تحت السلطة الفلسطينية في مناطق الضفة مع تجزئتها الإدارية والجغرافية الى مناطق أ، ب، وج، وقطاع غزة الذي يقع تحت حصار فعلي على يد الكيان الصهيوني، والشتات اي اللاجئين الفلسطينيين الذين نزحوا عن الأرض الاصلانية لهم ومنع عودتهم. (موقع مركز القدس، 2022)

ما ذكر في هذا القسم من المحور الثالث هو ملخص مركز من عينات التقسيمات الجغرافية وسن الحدود والفصل في مناطق محددة، هذه العينات من المراحل التاريخية ذُكرت بإطارها العام دون التعمق في كل نهجها، الهدف من هذه الاستراتيجية في عرض العينات هو فقط التشديد على تاريخ التقسيم الجغرافي المرئي، الذي ساهم في وقف التطور الطبيعي للشعب الفلسطيني ومن ثم تشويهه وتشريده، وتحويله من شعب مستقل وحرّ، ويقع في كتلة بشرية واحدة في أرضهم، الى شعب مقسم ومتشرذم، وجماعات من الملاحقين والجياع

في منافيهم القريبة والبعيدة، فتحول في معظمه إلى أفراد بلا هويات وبلا روابط، ليصبحوا فجأة لاجئين، وأصلانيين في أرض شرعت على أنها غير قابعة تحت سيادتهم واعتبروا فائض بشري فيها، ومحاصرين عليهم أن يطوروا مجتمعاً آخر في الهواء لا يصله أي مورد بشري وغذائي، والشرذمة الأخيرة تقع تحت السلطة الفلسطينية غير المستقلة عن احتياجها للكيان الصهيوني كي تحيا.

التقسيمات الاقتصادية وخصخصة الموارد الطبيعية هي جزء من التقسيمات الجغرافية، فهي إما آثار لهذه التقسيمات او عززت في انشائها، هذا القسم يتناول عينات وأمثلة معينة تقع في البعد الزمنكي في استخلاص الموارد الطبيعية وثرواتها، من أجل تمكين الكيان الصهيوني الاقتصادي الإنتاجي الاعتماد على النهج الاستراتيجي في نهب الذاكرة والمعرفة الفلسطينية للأرض ومستخلصاتها، وكبح انتاجهم الاقتصادي، بالإضافة إلى اعادة صياغة هذه المعرفة وسلم الموارد الطبيعية العضوية لخدمة رواية الاستيطان الصهيوني. (شحادة، 2019)

تخطيط المياه، واستخلاص الموارد الطبيعية، وتشييد البنى التحتية، شكلوا ادوات مركزية للإجراءات السياسية في أجندة الاستيطان الاستعماري الصهيوني، وأثرت على عدة مناحي من حياة الفلسطيني، نذكر منها:

1. منهج امتلاك الأراضي، لكي تضمن عدم امتلاك الاصلانيين لهذه الأرض فقامت بصنع غطاء استيطاني يصنف الأراضي المستولى عليها تحت إطار "أراضي خضراء" غير صالحة للبناء والمسكن، تصنيفات هذا الإطار: محميات طبيعية وحدائق وطنية ومناطق زراعية. هذه الاراضي كانت قابعة تحت السيادة الاصلانية إلا أن ملكيتها تشرذمت عبر التاريخ بسبب الاستيطان الصهيوني وتمهيدادته، وظلت الزراعة ركيزة أساسية في المشروع الصهيوني ومرتبطة بالاستيطان وتوسيع حدود دولة الاحتلال حتى اليوم، فميزانية وزارة الزراعة الإسرائيلية تُنفَق في دعم البؤر الاستيطانية وضم مساحات جديدة من أراضي الفلسطينيين في الضفة الغربية، ويحظى منصب وزارة الزراعة بأهمية كبرى في دولة الاحتلال. هذا النهج المستدام في المناطق الزراعية يمكن الاستيطان في ثلاث اتجاهات: الاول منها الاستيلاء على اراضي الاصلانيين المتبقية تحت إطار السلطة الفلسطينية، حيث يزرعون الأشجار في الضفة الغربية، وبعد غرس الأشجار يُستَولَى على الأرض ويُوسَّع نطاقها تدريجيًّا لإنشاء مستوطنات جديدة. الاتجاه الثاني يتمثل في استقطاب الوافدين من الحركة الصهيونية والايدي العاملة الخارجية غير الفلسطينيين، هكذا يهيئ الاستيطان العمل والمسكن

والثبات الاقتصادي والاجتماعي للوافدين ويقطعه عن الاصلانيين ويمنع اصحاب الارض من حصاد محاصيلهم. اما الاتجاه الثالث هو تمكين الاستعمار الاستيطاني في الإنتاج والتجارة والمقابل الاقتصادي، قام الاستعمار الاستيطاني في زراعة الارض وتصدير منتوجاتها من الحمضيات والتمور والاستخراجات العضوية مثل الزيت والمجففات وصدرها دوليًا ومحليًا على انها منتجاته الاصلانية. (بيان موقع وفا، 2020)

2. عرقلة النمو الطبيعي ونسيج حياة المتبقيين من الفلسطينيين الأصلانيين داخل حدود الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، وتضييق التمدد والممارسات اليومية للاصلانيين الفلسطينيين تحت السلطة الفلسطينية والمناطق المقسمة، كون المياه قد حوّلت إلى ملك عامّ للدولة، تدير شؤونها سلطة المياه الحكوميّة، ويمنع استعمال أيّ مصدر مياه بلا موافقة السلطة، **"وسن القانون عام 1959 وتمكن الاستعمار الاستيطاني الصهيوني من إحكام سيطرته على مصادر المياه الجوفية والسطحية ومياه الأمطار، وصدرت في أعقاب إصدار أوامر بهدم جميع المنشآت المائية الخاصة، وأصبح جميع السكان يشترون المياه من الدولة، التي لم تقم بتوزيع هذا المورد الطبيعي الأساسي بشكل عادل بين العرب واليهود، إذ ما زال يُحرم الآلاف من القرى العربية غير المعترف بها في النقب من وصول المياه إلى بيوتهم، مثلما تُحرم مساحات شاسعة من الأراضي العربية من مياه الري".** (شحادة، 2019)

من هنا، نرى بأن هذا التقسيم يطغى على الممارسات اليومية الاساسية، وايضا مشاريع التنمية والمباني وتطوير بيئتها ونسيجها الاجتماعي بحيث أن أولوية حياة الأصلانيين هي الحصول على أساسيات المعيشة لهذا تبني حياتها من خط ما تحت الصفر. اضافة الى كل هذا فقد قام الاستعمار الاستيطاني الصهيوني برمي نفاياته في الموارد المائية الجارية للبلدان الاصلانية خارج إطار حدودها الجغرافية، وهكذا رسمت واقع أن ما هو داخل حدود الاستيطان نظيف وما خارجه ملوث. (شحادة، 2019)

تُوضح الفكرة بتأثر أريحا من استراتيجيات الاحتلال منذ عام 1967 لجعل غور الأردن بكامله من البحر الميت حتى بحيرة طبريا كتلة استيطانية واحدة تشكل حزام أمني متصلا ولا يجوز لأي قوات عسكرية عبوره، ويعود ذلك لموقعها الجغرافي الكاشف لكل مدن الغور والطرق الجبلية. كان ذلك على خلفية مشروع غولدا مئير رئيسة الحكومة الاستيطانية الاستعمارية الصهيونية (يسرائيل غليلي) الذي يحول الاهتمام بالمنافذ البحرية والمائية لتحقيق أهداف استراتيجية الأمن القومي لدولة الاستعمار في المجال الجيوسياسي على

حساب تشويه البنية التحتية والبنية الزراعية للسكان في منطقة أريحا والبحر الميت. "الحزام الأمني" فعليا يخنق الضفة الغربية ويفصلها عن الأردن حيث خُطط في مخطط " ألون" منطقة زراعية عازلة في نهر الأردن لتوسيع الاستيطان الزراعي وسد جريان المياه للبلدات الفلسطينية. (بيان موقع وفا ،2021)

3. تغيير معالم الأرض وتغيير روايتها تنبع من الممارسات الممنهجة النابعة من الأيديولوجية الصهيونية للاستيلاء على الأرض والسيادة عليها وفبركة روايتها باستخدام مشاريع مائية "حديثة" لا علاقة لها مع كينونة الموارد الطبيعية في ماهيتها العضوية في الأرض، أي بمجرى المياه الطبيعي، لتسقي المستوطنين في البلاد على حساب طرد نمط الحياة والمعرفة العضوية المتوارثة الاصلانية في البلاد، تستخدم دولة الاحتلال استراتيجية فبركة سردية تاريخية لمحاولة إثبات رواية كينونتها التاريخي في فلسطين واستحقاق نزوحهم وسلب ومحو الرواية الاصلانية. تستخدم دولة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني البنية التحتية القديمة في البلاد عن طريق علم الآثار لتخصخص من خلالها المادة الثقافية والملموسة للبنية التحتية القديمة للمياه وتتاجر بها دوليا بهدف نيل استحقاق وجودها في أرض فلسطين، بموازاة ذلك، تغير المبنى العضوي للأرض، وحصل تغيير بيئي عميق؛ يتم تجفيف ينابيع وبحار، تخسر الطبيعة جميع الأنماط التي تعيش حول هذه الينابيع والبحار، وعندما يتم تغيير مجرى الأنهر، فإن ذلك قد يؤدي إلى سيول وفيضانات. وتضيف شحادة (2019) مثالين آخرين على تغيير الهيئة الطبيعية وكينونة الأرض: "عندما يتم استهلاك كل المياه الجوفية تبدأ منابع الأنهار بالنضوب وتتسرب مياه البحر إلى الآبار الجوفية وتلوث الأرض بملحها وكما تستهدف إقامة المستوطنات الزراعية وتشجير الصحراء السيطرة على الأرض وهو ما يغير من البيئة الصحراوية وتفاقم الخلل في التوازن البيئي." (شحادة، 2019)

لم تقتصر ممارسات الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في التقسيمات الجغرافية، والتقسيمات الاقتصادية، وتغيير هيئة الأرض الطبيعية، ونهب ثرواتها بل أصدرتها تحت إطار تقسيمات ادارية قانونية وسياسية ومنها:

1. فرض الحواجز المرئية لتحديد حدود الدولة الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية، وإحاطة هذه الحدود بقوات عسكرية لضمان أمن المستعمرة، والجدار لفصل الأصلانيين عن أرضهم وإحاطتهم بالبقعة المحددة لهم. كما أن المعابر التي تفصل أراضي السلطة الفلسطينية ومناطقها المقسمة والأرض المستوطنة، **"وكذلك تقسيم مَناطق الاحتلال والقرى من خلال شبكة الطرق الالتفافيّة التي تصل بين المستوطنات، وبحيث تتحوّل المناطق الفلسطينيّة وقراها إلى نَوعٍ من الكانتونات، وتُفْصَلْ القرى عن أراضيها بحيث تتحوّل إلى غيتوهات فاقدة للأرض ومَوارِد الرزق. توَّج الجدار هذه "الكَنْتَنَة"**

بمُصادَرة أكثر المناطق الزراعيّة خصوبة ومَوارِد المياه الحيويّة للزراعة ومقوّمات العيش. ورافَق الجدار خطّة دائمة لاقتلاع أشجار الزيتون والكروم والأشجار المُثمرة من خلال التجريف وتحويلها إلى أرضٍ بور توضَع اليد عليها" (حجازي، 2018). هذه العناصر المعمارية تغزل مشهد استعماري استيطاني باستخدام عناصر معمارية ممنهجة تشدد فيه على علاقة مستعمر ومستعمَر. (حجازي، 2018)

2. شرعنة مصادرة البيوت والمنازل وهدمها ان لم تكن تحمل أي مستندات موثقة في أرشيف الاستعمار، وشرع الاستعمار الاستيطاني الصهيوني هذه المنهجية على كامل التراب الفلسطيني، وأكثر من ذلك، فهي تفرض التهجير القسري. ويرسل الاستعمار الصهيوني فئات من المستوطنين ليتوغلوا في البيوت الفارغة أو بجانبها لضمان امتداد الكيان الصهيوني ووصم هذه المنطقة على أنها لهم. لا يكتفي الاستعمار الاستيطاني الصهيوني بطابعَ الهدْم المُنتظَم للمنازل وتشريد السكّان، بل**" تغلغلت في الاستراتيجيّة من خلال فرض العِقاب الجماعي والحرمان من مقوّمات الحياة من ماء وكهرباء، ومَرافق صحيّة، ومَدارس، من خلال قوانين جائرة وتعقيد الوصول إلى خدمات الصحّة والتعليم"**. (حجازي، 2018) على سبيل المثال لا الحصر قضية الشيخ جراح، إذ تهجرت 28 عائلة بعد النكبة ولجأت لحي الشيخ جراح بالقدس، إلا أنه عام 2020 ادعى مستوطنون انهم اشتروا عقارات بيوت الشيخ جراح من جمعيات يهودية والتي بدورها قامت بشراء هذه العقارات منذ قرابة عقد، وقامت هذه الجماعة المستوطنة في التغلغل بقلب الحي، وفرض مسكنها بدون موافقة او مرجعية من أهل الحي، وشرع الاستعمار الاستيطاني الصهيوني هيمنته العسكرية والجيش بهدف حماية المستوطنين وتوفير المسكن لهم في هذا الحي، على اثر الأهالي الذين ولدوا وترعرعوا بالشيخ جراح، ولم يرضى الاستعمار في شرعنة المستندات الملكية كونها أردنية، فهذا يخلق مشاكل دولية بالرغم من كون هذا الحي أنشأ ما قبل عام 1967 حيث كانت الضفة الغربية قابعة تحت سلطة الأردن، وهكذا خلق صراع بين الأهالي الأصلانيين للحي ودفاعهم عن ملكياتهم ومنازلهم. قام الكيان الصهيوني المستوطن في تطويق منازل أهل الحي وفرضوا مسكنهم في الحي على الرغم من رفض أهالي الحي، والاستعمار الاستيطاني الصهيوني في قواته العسكرية ونهجه بالاقتحامات وتطويق الحي حتى يومنا هذا. (حجازي، 2018 ؛AA website article, 2021)

3. سن قوانين الهوية بحسب المناطق والتقسيمات، تنصب حقيقة هذه التقسيمات وتفرض هوية متغايرة لكل كتلة بشرية أصلانية بحسب موقعها الجغرافي الذي فُرض عليها، ويرتكز سن هذه القوانين على الظواهر الديموغرافية- الاجتماعية التي تلعب دور أساسي في تغيير المركبات السكانية الفلسطينية من حيث الحجم والتركيبة النوعية والعمرية بالإضافة إلى الآثار الاجتماعية، الاقتصادية، الصحية، السياسية، الثقافية و النفسية التي تولدها هذه المركبات في خلق علاقة مباشرة مع الهوية المغشوشة التي أنشأها الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، وكانت أبرز آثار هذه الهوية المغشوشة هو تجزيء الكتلة البشرية الفلسطينية، هذه الهوية المغشوشة صنفت بطاقة الهوية للأصلاني الفلسطيني حسب المناطق الجغرافية، تتوافق كل معالم الهوية في بنيتها في جميع البطاقات الهوياتية على النحو التالي: اسم صاحبها، واسم عائلته، والمنطقة، والحارة، وموعد الولادة، والوضع الاجتماعي، والدين، وتاريخ إصدار بطاقة الهوية، ومدة صلاحيتها، أما الفوارق بين بطاقات الهوية تنص على القومية، ومدة المواطنة، ونوعها، والحقوق المجزئة التي يحظى بها حامل البطاقة، ويُفرق بينها حسب لونها. لون البطاقة يدل على الصلاحيات المتاحة للمنطقة الجغرافية والقوانين المفروضة عليها من قبل الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، ونطرحها على النحو التالي (هيلجا، 2011):

- الهوية الزرقاء: هوية الكيان الصهيوني "الهوية الاسرائيلية"، لا يوجد مدة محصورة على المواطنة، تُمنح الهوية لكل من يولد في الحدود الجغرافية للاستعمار الاستيطاني الصهيوني ويسجل في أرشيفها السكاني، من العرب واليهود ويُفرق بينهم وفق خانة القومية، أما للنازحين الجدد من الحركة الصهيونية على شرطين، الأول منهما القومية اليهودية، ويجب إثباتها حسب شجرة العائلة، الشرط الثاني هو اعلان الولاء لدولة الاستيطان بالوقوف أمام علم الدولة الاستعمارية المستوطنة وشدو نشيدها الوطني. (هيلجا، 2011)
- الهوية الزرقاء- الخضراء: هذه الهوية أُصدرت عام 2002، وهي تُمنح للفلسطينيين في شرقي القدس، قبل صدورها اعتبرت الكتلة الفلسطينية في شرقي القدس تحت إطار الاردن، خانة القومية تنص على القومية العربية، شأن خانة المواطنة تبقى فارغة ولا يعتبر حاملوها مواطنين في أراضي الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، مما يعني انه لا يوجد مدة للمواطنة، ولا تُمنح حقوقهم الكاملة لكونهم غير مواطنين، يمكن للمواطنين الفلسطينيين تقديم طلب للإدارة المدنية القابعة تحت الاستعمار الاستيطاني اليهودي وعليه اعلان موقع وفاء لدولة الكيان الصهيوني، ولهذا الاكثرية من سكان شرقي القدس الفلسطينيين لديهم هذه البطاقة الخضراء-الزرقاء. (هيلجا، 2011)

- الهوية الخضراء: تُقدم هذه البطاقة للفلسطينيين الأصلانيين تحت السلطة الفلسطينية، مع تقسيمات مناطقها الثلاثة، ولا يمكن لحاملي هذه البطاقة المطالبة ببطاقة زرقاء أو بطاقة زرقاء-خضراء، كما ولا يمكنهم عبور الحدود الجغرافية باتجاه أرض فلسطين القابعة تحت حدود الاستعمار الاستيطاني الصهيوني حتى ولو ولدوا في مناطق ضمن تقسيم الاستعمار الاستيطاني وهجروا بسبب المعارك، أو كان أصل عائلة حامل الهوية الخضراء من المناطق القابعة هناك. أساس هذه البطاقة يقع في خانة المواطنة ويحتفظ حامل بطاقة الهوية الخضراء في مواطنته الفلسطينية إلا أنه لا ينتمي لأي مواطنة مدرجة دوليًا أي "دولة" على غرار حاملي البطاقة الزرقاء. إجراءات منح هذه البطاقة تنص على ثلاث حالات من التقسيمات البشرية: 1. لمن تواجد وأقيم في مناطق الضفة قبل سنة 1993، 2. لمن ولد في هذه المناطق، 3. لمن ولد لأهل يحملون بطاقة الهوية الخضراء، ولا تمنح لأي أحد خارج هذا النسيج البشري. (هيلجا، 2011)
- الهوية البرتقالية: تمنح هذه البطاقة لسكان قطاع غزة، وتختلف عن سائر البطاقات الفلسطينية المصنفة تحت قومية عربية مثل الهوية الخضراء والزرقاء -الخضراء، بسبب التقسيمات الجغرافية. وُزعت هذه البطاقة البرتقالية على سكان محافظة غزة حتى قبل الحصار العسكري الممنهج من الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، وذلك بسبب خروجها عن نطاق الضفة بعد وعد أوسلو الثاني اثر خلافات سلطوية فلسطينية. إجراءات منح هذا النوع من البطاقات مطابق تماما لإجراءات منح البطاقة الخضراء، ينوه بالذكر أن محافظة غزة تحت الحصار العسكري ولا يمكن استخدام هذه البطاقة من أجل العمل أو المطالبة بالسفر. (هيلجا، 2011)

ظاهرة تجزيء الكتلة البشرية الفلسطينية لجماعات متعددة ومتفاوتة في حقوقها، تسلبها من الجماعة ومن النحن، وتفصل واقع والممارسة الحياتية لكل جماعة منهم وهكذا تتشوه الهوية الفلسطينية العامة وتتشرذم الكتل على مواجهة الاستعمار، ويصيغ حجاري هذه الظاهرة على النحو التالي: **"انفصام التاريخ والديمومة إلى ما قبل التهجير وما بعده، ومع انفصام الديمومة يختلّ التوازن الوجودي، وتضطرب الهويّة الكيانيّة، ونرى التشرذم في المواطنة والهوية للسكان الفلسطينيين الأصلانيين."** (حجازي، 2014)

4. سن قوانين "التصاريح" من أجل العبور عبر التقسيمات الجغرافية، يحظر على حاملي البطاقة الزرقاء بعبور المناطق القابعة تحت السلطة الفلسطينية من أجل الإقامة، والدراسة، والتدريس،

والتطوّع، والعمل. كما قال إريك غولدستين، نائب مديرة قسم الشرق الأوسط في هيومن رايتس ووتش: **"تزيد إسرائيل صعوبة قضاء الوقت في الضفة الغربية، وهي بذلك تتخذ المزيد من الخطوات لتجعل الضفة الغربية مثل غزة، حيث يعيش 2 مليون فلسطيني فعليا في عزلة عن العالم الخارجي منذ أكثر من 15 عاما. صُممت هذه السياسة لإضعاف الروابط الاجتماعية، والثقافية، والفكرية التي يحاول الفلسطينيون الحفاظ عليها مع العالم الخارجي"**. تسمح تعليمات الدخول إلى الضفة الغربية بمنح التصاريح لفئات محدودة من الزوار فقط. بعض المؤهلين للحصول على تصاريح، مثل الأقارب المباشرين للفلسطينيين، يستطيعون الحصول على تصريح لمدة تصل إلى ثلاثة أشهر، أما الأكاديميين والطلاب والمتطوعين والخبراء، عليهم التقدم بطلب للسلطات الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية للحصول على تصريح لدخول الضفة الغربية وفقط بعد موافقة سلطة الاستعمار، يصرح لحاملي البطاقة الزرقاء بالذهاب إلى المناطق القابعة تحت السلطة الفلسطينية، وتنطبق هذه الإجراءات على السياح والخارجين من الصراع المستعمِر والمستعمَر القائم على تراب فلسطين. أما حاملو البطاقة الخضراء- الزرقاء يحظر عليهم التنقل إلا بتصاريح استثنائية تتطلب العديد من الإجراءات والوقت، شأن العبور من المناطق الواقعة تحت السلطة الفلسطينية إلى أراضي فلسطين الواقعة تحت إطار الاستعمار الاستيطاني الصهيوني يتطلب العديد من الإجراءات التي تنصها الادارة المدنية في القطاعين ب وج وحتى قطاع أ، إذ أن من يعبر إلى حدود أراضي الاستعمار الاستيطاني الصهيوني يجب أن يمر بموافقة من الادارة المدنية، وهذه الادارة مسؤولة عن كافة الأقطاب الحياتية للفلسطينيين في هذه المناطق. ومن وظائف الإدارة المدنية إصدار تصاريح دخول إلى "إسرائيل" لحاملي البطاقة الخضراء من أجل العمل أو للحصول على علاج طبي أو استصدار تصاريح بناء. وتستخدم "الإدارة المدنية" نظامين محوسبين من أجل إدارة حياة السكان الفلسطينيين في هذه المنطقة. بواسطة نظام "حجر الحكماء" وهو مصطلح أُطلق على عملية إصدار التصاريح. والنظام الثاني، "معلومات عن مقيم"، يشمل المعلومات الموجودة في سجل السكان ومعلومات أخرى زودت سلطات الاحتلال النظام بها بكافة تفاصيل حياة الفلسطيني وتحركاته وحالته الصحية، كما وأن السلطات الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية تتحكم في التصاريح بين محافظة غزة والمناطق الواقعة تحت السلطة الفلسطينية، وهذه المعالم تظهر بسبب علاقة السلطة الفلسطينية وسلطة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني ببعضهما والمعاملات بينهما، أن عملية العبور من منطقة لأخرى حسب تقسيمات الحدود الاستعمارية لا تقتصر فقط على طلب التصاريح التي يعطي منها بشكل اعتباطي ولا على اجراءات اصدارها او موافقة الادارة المدنية لهذا التصريح، بل تشمل

عمليات تنكيل وتضييقات عند الحواجز والحدود من قبل القوات العسكرية الاستعمارية. (human rights watch, 2023 ؛ حجازي، 2014)

بالإضافة إلى ذلك، رفضت السلطات الإسرائيلية في يوليو/تموز 2022 منح مدير شؤون إسرائيل وفلسطين في هيومن رايتس ووتش عمر شاكر تصريح لدخول الضفة الغربية لمدة أسبوع بغية إجراء أبحاث ولقاءات مناصرة، مشيرة إلى السلطة الواسعة التي يمتلكها الجيش على الدخول، ورفض منح الموافقة لأشخاص معروفين أو يشتبه في مشاركتهم في المناصرة المؤيدة للفلسطينيين، يحتدى بذلك مثال بسيط :"**ألغى وزير الأمن الإسرائيلي، يوآف غالانت، تصاريح دخول ثلاثة مسؤولين في السلطة الفلسطينية إلى أراضي الـ48، وذلك في أعقاب لقائهم بالأسير المحرر كريم يونس في بلدة عارة بمنطقة المثلث الشمالي"**. (مقال عرب ثمان وأربعين، 2032)

تباعا لمحو الذكرى الفلسطينية ووجودها، تحظر دولة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني بأي محاولة في زعزعة مكانتها السلطوية أو أجندتها في تمكين نفسها أو تبرير استيطانها، لهذا تمنع من يناصر ذكرى الاصلانيين او وجودهم، سواء كان من يعارض من الكينونة البشرية الفلسطينية أو خارجي مدافع عن وجودهم وحقوقهم. (human rights watch, 2023)

5. سن قوانين السفر وتشريع الحركة، ذكرنا في البند الأخير صعوبة التحرك في بقعة فلسطين الكلية بعد التقسيمات، وكيفية التحكم في الفلسطينيين وتصنيفهم تحت أطر بطاقات تسيطر على كافة الممارسات الحياتية للفلسطينيين، بسبب تبني الحركة الصهيونية منذ نشوئها أيديولوجية طرد، وترحيل، وتهجير الفلسطينيين بالطرق المباشرة، وغير المباشرة بهدف محو وطمس القضية الفلسطينية من أجل تحقيق دولة الكيان اليهودي في أرض فلسطين. هذا النهج لا يستثني التضييقات على حرية السفر للفلسطينيين، إذ يتم منح جوازات السفر والتسهيلات في الحركة بالاستناد إلى نوع بطاقة هوية الفلسطيني، وهكذا تصنف إجراءات السفر في كل أشكالها، على النحو التالي:

- حاملي البطاقة الزرقاء: تسهيلات التنقل، تُمنح هذه الفئة من السكان الفلسطينيين جواز سفر ازرق موسوم بختمة دولة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، ويسهل التنقل دوليًا إذ هنالك ثلاث مطارات في أرض فلسطين الواقعة تحت حدود الاحتلال الصهيوني. أما لحاملي هذا الجواز، فيمنع السفر للدول العربية التي في صراع مع دولة الاستعمار او التي لا تعترف بوجودها.
- حاملي البطاقة الزرقاء-الخضراء: لا تحظى هذه الكتلة السكانية بجواز سفر ازرق، اذ انهم غير مواطنين، الإجراء الأول للسفر هو الحصول على موافقة سلطة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في

الخروج من شرقي القدس، الإجراء الثاني ينص على اختيار بديل لجواز السفر والإمكانيات المتوفرة هي: بطاقة إذن بالسفر موقعة من قبل سلطة الاحتلال لمدة ثابتة أي هجرة أو لمدة مؤقتة، جواز سفر أردني يطالب به من قبل حامل البطاقة الخضراء- الزرقاء ولها إجراءاتها الخاصة بين حامل البطاقة والسلطة الأردنية.

- حاملي البطاقة الخضراء: جواز السفر فلسطيني، او جواز سفر أردني يطالب به من قبل حامل البطاقة الخضراء ولها إجراءاتها الخاصة بين حامل البطاقة والسلطة الأردنية، أو توثيق سفري ينسق في السلطة الفلسطينية، ويمر عبر نفس الإجراءات للحصول على التصريحات.
- حاملي البطاقة البرتقالية: محافظة غزة واقعة تحت حصار لا يوجد لسكانها أي علاقة مع العالم الخارجي، إلا أنه قبل حصارها من قبل القوات العسكرية الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية عام 2006، كانت إجراءات السفر تطابق إجراءات سفر ذوو البطاقة الخضراء، عبر جواز السفر فلسطيني، او جواز سفر مصري يطالب به من قبل حامل البطاقة البرتقالية ولها إجراءاتها الخاصة بين حامل البطاقة والسلطة المصرية، أو توثيق سفري ينسق في السلطة الفلسطينية، ويمر عبر نفس الإجراءات للحصول على التصريحات.

في هذا القسم ذُكرت عينات من هيمنة السلطة الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية وممارستها في تضيق كل حيز ومنحى من حياة الفلسطيني،هذا كله أدى الى وجود واقع حياتي يومي مختلف لشكل الاستعمار والقضايا الملحة التي يعاني منها الفلسطيني في كل منطقة ان كان في غزة أو الضفة الغربية أو الشتات ومخيمات اللجوء أو الأراضي المحتلة عام 1948. وعندما يجتمع الواقع اليومي مع الحدود والأوراق والوجوه يكون واحد من مخلفاته هو مسميات متعددة للهوية الفلسطينية، ونقع في فخ "التحول" من فلسطينيين إلى فئات متعددة من "لاجئين" و "غزاويين" و"ضفاويين" و"فلسطينيي ال- 48" وجاليات فلسطينية في دول العالم، من هنا تتشرذم الكينونة الفلسطينية وتقع تحت حقوق مجزئة من ممارستها الحياتية. (العزة، 2015)

لم تنفذ من ايادي السلطة الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية الجشعة التقسيمات الاجتماعية وهي طبقة إضافية مارس عليها الاستعمار الإجراءات لتضييق منحى حياة الفلسطيني ذكرت في السابق ببعض نقاط هذا المحور، ونضيف على ما ذكر 3 نقاط إضافية شرذمت في النسيج الاجتماعي الفلسطيني وضاعفت تصدعات:

1. منهجية فرق تسد: تقسيم حاملي البطاقات وجوازات السفر المصنفة أدى لتكبير الفجوات بين الكتل البشرية حتى نصت على خلق رواية مغايرة لكل كتلة. التسهيلات التي فُرضت على فلسطينيين ذوي البطاقة الزرقاء بالمقارنة بالتضييقات التي يواجهها حاملي البطاقات الأخرى خلقت تجزيء أساسي بين الكتل الفلسطينية ومنع التواصل نسج خرافات للممارسات اليومية لكل من الكتل، وساهمت السلطة الاستيطانية الصهيونية في توسيع الفجوات وخلق هذه الروايات المتغايرة. لم تكتفي السلطة الاستعمارية الاستيطانية في هذا التجزيء بين النسيج الاجتماعي للشعب الفلسطيني داخل الضفّة وبينها وبين فلسطينيّي الجليل بل واتجهت بنفس الأجندة للكتل البشرية الفلسطينية الواقعة في حدودها الجغرافية. استندت هذه الاجندة بشكل خاص على الأسرلة والاحتواء بهدف الاخضاع للاحتلال، وعلى تفكيك الهوية الجمعية الفلسطينية وتعزيز الهويات الضيقة مثل الحمائلية، المناطقية، الدينية، المذهبية والطائفية والطبقية. هذا بالإضافة الى عزلهم عن الشتات وعن المحيط العربي. كما وعملت على محو مظاهر الهوية والكيانية الفلسطينية ومنعت تكوينها من جديد. هذا خلق واقع حياتي يومي مفروض عليهم. كما سنت قوانين التجنيد الإلزامي للعرب الدروز في القوات العسكرية التابعة للاستعمار الاستيطاني الصهيوني، وخلق تجزئة بين الفلسطينيين بحسب ديانتهم. (أبو ندا، 2014)
2. التهجير غير المباشر: تشير الدراسات الى استهداف فئة الشباب بشكل عام وهجرتهم بشكل خاص كونهم فئة لها وزن ودور مركزي، فيتداول العزة (2015) في طرحه حول وهم "الشباب" أن الإدارة الاستعمارية العسكرية لا تعتبر الشباب تصنيفاً اجتماعياً مرتبط بالعمر وإنما وحدة تحليلٍ سياسية في الصراع مع الهيمنة الاستعمارية وإستدخالها في البنية الاجتماعية. فالفرد يصبح من الشباب في حال انخراطه في العمل السياسي. عبر السنوات، تغيّرت هجرة الفلسطيني من كونها قسرية مكروهة إلى أن باتت غالبها بمحض قرار خاص لكنه مرتبط بتفسيرات اضطرارية ذات علاقة بمتطلبات الحياة السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، النفسية والعائلية ونلاحظ خاصة لدى فئة الشباب من كافة أنحاء الوطن، كل الممارسات الممنهجة ومنها؛ الحصار، الاغلاق والخنق الاقتصادي، مصادرة الأراضي وتدمير البنى التحتية. **"ما يقود الفلسطيني الى هجرة قد تبدو طوعية ولكنها بالحقيقة قسرية".** (عياش، 2016 ؛ العزة، 2015)
3. التفكك الاجتماعي لمكانة الأسرة: استهداف الشباب من الجيل الصاعد وأسره في سجون الاستعمار الاستيطاني الصهيوني لعدة سنوات، مما ينهي شجرة عائلته وتأطير مستقبله على عدة أصعدة، وتهدف هذه الاستراتيجية الى تصديع الأُسَر ونِظام علاقاتها والأدوار فيها من خلال اعتقال الذكور، بحيث تضطرّ نساء الأسرة إلى القيام بأدوارهم في تحمُّل أعباء الأسرة واستمرارها، يسهب مصطفى

حجازي (2018) في تعزيز هذه الفكرة: **"مع تمزيق النسيج الاجتماعي، وفصْل التجمّعات والعائلات الفلسطينيّة بعضها عن بعض وكذلك عن منازلها وأراضيها، وعن الخدمات اليوميّة الضروريّة. ذلك فضلاً عن البوّابات واعتباطيّة فتْحها وإغلاقها، بحيث تجعل حياة الأسرة عناءً مُقيماً وصولاً إلى اللّاحياة"**، لا يمكن للأسرة أن تستمر في أدوارها الطبيعية أو في تطوير نفسها، فهناك فرد توقف حاضره عن المضي قدما، ولا يمكن للأسرة نفسها ان تمضي في حياتها فهي بمواجهة دائمة مع التضيقات الأمنية والفاجعة الاجتماعية. (حجازي، 2018)

إن ما ذُكر في هذا المحور، ما هو إلا عينة صغيرة من رواية الشعب الفلسطيني وأرضه المسلوبة، أصبحت سردية فلسطين منوطة بمصطلحات باتت من مركبات تاريخها وهوية شعبها، مصطلحات تجتمع تحت مظلة تغيير مكان التواجد الجغرافي والسكن، هذه المصطلحات بدأت بالتهجير، والمطاردة، والملاحقة، واللجوء، والنزوح، وحتى الهجرة والانتقال. لكن الشعب الفلسطيني أصر على الإبقاء على وجوده وذكرياته وذكرى الأرض، والحِفاظ على هويّتها وعروبتها في ظروفٍ في منتهى القسوة والشراسة. لترتبط هويّة الفلسطيني بالانتماء إلى أرض فلسطين، وليس بالهوية المروضة له، فكل من الكتل البشرية سواء في داخل حدود الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، واللاجئين في الشتات والمخيمات، وفي الضفة، وفي غزة، تحتذي بكيان الأرض والتراب الوطني.

"علاقة الإنسان بأرضه ومجاله الحيوي ليست مسألة شعارات كرامة وطنيّة أو مَشاعر رومانسيّة، وحنين وجداني وتغنٍّ بأرضِ الأجداد، وإنّما هي من صلب الوجود ذاته. فالوجود الحيّ يُشكِّل وحدةً كيانيّة مع أرضه ومَجاله الحيوي" (حجازي، 2018)

المحور الرابع

الهوية الفلسطينية والأبعاد النفسية والاجتماعية لتشكيلها في ظل التقسيمات الاستعمارية

مفهوم الهوية في مدلولاته الحديثة هو التشخّص والشخصية، وبحسب ما ذكره ابن حزم في الفصل بين الملل والنحل: **"هو أن كل ما لم يكن غير الشيء فهو هو بعينه، إذ ليس بين الهوية والغيرية وسيطة يعقلها أحد البتة، فما خرج عن أحدهما دخل في الآخر"**، الهوية إذن تتحقق في مجال الاتصال بالآخرين، حتى يصح القول إن هوية الفرد الواحد تتبدل حسب اتصالاته ومواقفه ومواقعه الجغرافية المختلفة، فالهوية معطى من الآخرين وانعكاس ظاهر ومبطن لموقفنا منهم وردود فعلنا تجاههم. كون الهوية معطاة من الآخرين لا ينفي أساس تشكلها ذاتيًا ولا يتعارض مع سيرورة تطورها المرتبطة بتطور الجماعة الإثنو- اجتماعية البنيوي، فهذا التطور هو شرط البناء الذاتي لكل العناصر المكونة للهوية والقابلة لخلق ذات وهويتها في مواجهة الآخرين. لذلك، الهوية رغم ثباتها فهي صيرورة في التاريخ كذلك. (القلقيلي وابو غوش، 2012)

لا شك أن الإنسان من حيث الجوهر هو ذاته في كل مكان وزمان، ولكن الذي سيختلف حتما هو الظروف والبيئة المحيطة، والنظام السياسي الذي يخضع له والظروف الاقتصادية التي يتأثر به، ومن هذا المنطلق ينتج نوعان من الهوية التي يتعرف بها الإنسان، **الهوية النخبوية** وهي الهوية السياسية المستندة على الورق الثبوتي والمستندات والبطاقات كما ذُكر في المحور الثالث في التقسيمات الإدارية والقانونية وهذا النوع من الهويات لا يمثل اعتناقها من قبل حاملها بل هي مستند يُفرض عليه، أما الشق الثاني من الهوية فهو **الهوية الوطنية العامة**، وهي هويات "واقعية" يفرضها يمليها الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي، على المنتمين لها، ويعتنقها ويعتز بها الانسان فهو اختارها من آثار حياته وهو يُعّرف كينونته بها، وهذا النوع من الهويات لا يرتكز على المستندات والورق بل على اختيار ثابت من قبل من يقع تحت تعريفاتها. (بيان موقع اضاءات، 2015)

من الهويات العامة التي ما زالت تناضل لتحقيق ذاتها السياسية هي الهوية الفلسطينية، اذ ان هوية الشعب الفلسطيني مستهدفة من عدو استعماري استيطاني، يرتكز وجود هذا الاستعمار الاستيطاني على مرتكزات أساسية أهمها: أن **"فلسطين وطن بلا شعب لشعب بلا وطن"**، ويمارس سياسات التطهير العرقي والإحلال وطمس رواية الأرض الاصلانية وتصنيف هوية الفلسطينيين وحقوقهم كما ذكرنا

خلال المحورين الثاني والثالث، ولهذه الممارسات أثر على تكوين الفلسطينيين هوية لنفسهم، وهكذا يندفع الشعب الفلسطيني في اتجاه إدراك هويته والانتماء لها والتمسك فيها وبجذوره، والحفاظ عليها أمام محاولات التصفية، ويتجلى هذا الحفاظ على الهوية وخلقها بعدة مناحي منها الاجتماعية والنفسية والسياسية، توضح ممارسات النهب والمقاومة الوجودية والتشبث بالهوية من قبل غانم (2013):

"الفلسطيني في الظل يسكن وفي الاستذكار يحيا يمحو الاستعمار الاستيطاني الصهيوني المكان ويمحو الأسماء، لكن مع ذلك ثمة دوائر تبقى عصيّة على المحو ما دام لم يتخلص من السكان، وهذه الدوائر، على الأقل، تنتمي إلى حيّز التذكر والأفكار الذي يقع خارج دائرة الغزو الاستعماري المباشر. فالمستعمِر يستطيع أن يمحو بيت الأصلاني لكنه لا يستطيع أن يمنعه من تذكره ما دام بقي في قيد الحياة، ولا أن يجبره على نسيانه، ويستطيع أن يسكن بيته وينام في سريره لكنه لا يستطيع أن يمنعه من الإيمان بأنه، وإن ترك البيت، فإن ظلّه بقي يحرس المكان في غيابه. وهكذا لا ينفك الأصلاني الفلسطيني الخارج من المكان من العودة إليه، ف "يخرّب" على المستعمر مشروع "المحو والإنشاء"، ويتحايل عليه حتى لو تخيل المستعمر أنه تخلّص منه إلى الأبد.". (غانم، 2013)

تداعيات واثر مواجهة سياسة طمس الهوية وإجراءات الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، سعى الشعب الفلسطيني كباقي الشعوب لبلورة هوية جماعية له، يعرف بها ذاته ويميزها عن الآخرين، في عملية بناء نفسه وحماية ذاته وتحقيق الوحدة والتكامل بين الفرد والمجموعة وبين الجماعات المختلفة في داخله، إلا أنه في سيرورته لبلورة هذه الهوية، تعرض لعدة عوامل ذُكرت اعلاه، التي أثرت في صعود وهبوط واضعاف وتقوية الهوية الفلسطينية وبنيتها، الا ان هنالك ركن راكز يعتبر اسمنت الهوية وعنوانها رافق هذا الشعب الفلسطيني في مطباته التاريخية، وهذا الركن هو الانتماء إلى الأرض والجماعة المتشبّثة بها، ومقاومة الواقع المغصوب على الشعب الفلسطيني هو اول اثبات للوجودية، واسمى مقاومة للفلسطيني هو اعتناق هويته، ومن هنا، كلما ما زادت همجية وتضييقات الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، كلما اشعل الاستعمار الوقود للرغبة والدافعية للفلسطيني لبلورة هويته واكتشاف تاريخه. (أبو ندا، 2014)

"تتمثل خصوصية الهوية الفلسطينية في أن تبلورها ارتبط بمواجهة نكبة تعرضوا لها من طرف غزو أجنبي استهدفهم في وجودهم الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والحضاري والإنساني بشكل عام. يصح القول أن هذه الهوية تشكلت في خضم صراع مرير خاضه هذا الشعب لإثبات وجوده في هذه المعركة القاسية وغير المتكافئة مما جعل من المقاومة في طور تشكل الهوية الوطنية الفلسطينية اطارا ناظما لها". (القلقيلي و ابو غوش، 2012)

تعريف الهوية الفلسطينية ومسار بلورتها

إذا كان لكل شعب من الشعوب خصائصه المميزة له التي تجعل منه شعباً في مقابل شعب آخر، وهي ميزة تنطبق على الشعب العربي الفلسطيني مثلما تنطبق على أي شعب آخر، فإن للفلسطينيين قيم مضافة وخصوصيات تشكل هويتهم نذكر منها:

- **اللغة:** اللغة هي أقدم معالم الهوية، وهي أول قطب من نسج كتل بشرية تحت إطار الهوية القومية، تدرج فلسطين بهويتها القومية إلى القومية العربية، نتيجة صيرورتها التاريخية وموقعها الجغرافي، هذا البعد القومي لا يلغي تجزئ الهوية الجماعية المنشقة من الهوية الكبرى، فلكل من حاملي القومية العربية كتل جماعية تميزها مميزات ومواصفات خاصة فيها كجماعة. (القلقيلي و ابو غوش، 2012)

- **الجماعية:** تتأطر الهوية الفلسطينية من الهوية الجماعية، وهي عبارة عن قواسم مشتركة بين الكتل البشرية حتى ولم تقطن هذه الكتل في ذات الموقع الجغرافي، القواسم المشتركة تتحدد بمفهومها التاريخي، الاجتماعي، السياسي، والاقتصادي، وبحسب ما ذكر في المحاور السابقة، فإن أسمى بعدين للمحاور المشتركة بين الفلسطينيين هما: التاريخ المنهوب وتداعياته، واستراتيجيات الاستعمار الاستيطاني في شرذمة واقع الفلسطيني والسيطرة على كافة ممارساته اليومية ومناحي حياته، بالإضافة الى كون أثار هذان البعدان تتعدى أذية الفدر نفسه بل تؤذي الجماعة التي ينتمي إليها مثل العائلة والحمولة وكل ما فرد يدرج تحت إطار الهوية الفلسطينية، بالتالي" **نُظم التعاضُد والتسانُد"** روح التضامن والتعاضد التي توفِّرها "النحن" الجماعيّة، يوضح حجازي (2018) هذه الهوية الجماعية: **"نعم نحن نستطيع". فالفاعليّة الجماعيّة، "النحن"، في حالة الشعب الفلسطيني، تُعبِّئ الطّاقات وتَشحذ الهِمَم وتُعطي شعوراً بالقوّة والمنعة في نَوعٍ من التشجيع ورفْع المعنويّات المُتبادَل وصولاً إلى كسْر "حاجز الخوف".** وتبلغ الفاعليّة الجماعيّة أقصى مداها حين يعطي الإيمان بقضيّة كبرى معنىً للوجود ويجعل التضحيات وتحمُّل المعاناة تبدو بمثابة ثمنٍ معقول، والتي وفَّرت

الأساس المتين للمُقاوَمة الشعبيّة، هكذا تشعر الجماعة أنّها أقلّ رضوخاً وتزداد صعوبة السيطرة عليها، مع اكتساب الجرأة على المُجابَهة. (حجازي، 2018)

- **الاجتماعية:** هوية الفرد وكينونته داخل إطار وهوية المجموعة الكلي، فالفرد يتفاعل مع فرد آخر ليس بكونه فردا، إنما على مستوى النحن لكليهما، تُضيف لنا أبو صبح (2011) هذا التفاعل على النحو التالي:" **فكل إنسان توجد لديه خارطة إدراكية؛ بمعنى صورة عن العالم الذي يحيط به وعلاقته بكل أجزاء هذه الخارطة ويكون لهذه العلاقة استمرارية عبر الزمان والمكان وذلك قدر الإمكان. الفرق في علاقته مع أجزاء الخارطة المختلفة تكون انتماءاته لوحدات أو إجزاء هذه الخارطة، حيث يفهم طبيعة أجزائها. وخلال هذا الفهم، يفهم طبيعة الإنسان والمجتمع ويبني توقعاته لسلوك الآخرين ونتائج سلوكهم وعليه يبني فهمه لسلوكه وردود فعله نحو الآخرين، فالإنسان يكون هويته بشكل أساسي من خلال الانتماء لأطر اجتماعية**." من هذا المنطلق، يُقدر تأثير الجماعة على الفرد الفلسطيني، وفهمه لذاته من خلال تشرذم الجماعة القابعة تحت ذات الهوية، فهو يُدرك سلوكيات الفلسطينيين وأسبابها وآثارها نتيجة الحفاظ على كينونتهم، بحيث تشكل الذات الجماعية اتحاد لمجموعة من الذوات الفردية في إطار معين، فالمقاومة الوجودية الفلسطينية تتشكل نتيجة تكافل وتكاتف جهود مجموعة من الأفراد الذين يكونون على وعي بذاتهم ومصالحهم الجماعية؛ بحيث أن الذات التي تقاوم تشعر أن الاستعمار الاستيطاني الصهيوني يعتبر الشعب الفلسطيني موضوعًا وجد لخدمة مصالحه، فهو مستهدف للاضطهاد من قبله ككل، كوحدة جماعية وليس كأفراد بعينهم. (أبو صبح، 2011)

- **المتوارثة:** توارث الهوية الفلسطينية أصبح بفعل صدمة قاسية جسدها المشروع الاستعماري الاستيطاني في نهب الذاكرة، مع نهب الذاكرة وحظر ذكرها، قام الفلسطينيون بتأسيس استراتيجية الذاكرة الشفوية المتناقلة من جيل لجيل لحفظ الذاكرة المنتزعة، فيما يخص التسلسل الزمني، والأحداث الغير مفبركة، والقرى المهجرة خاصة التي أُبيدت عن بكرة أبيها، المأكولات الفلسطينية، التقاليد والعادات، أصبحت الذاكرة الموروثة سردية تُمارس من

الجيل إلى جيل بهدف الحفاظ على الكينونة الفلسطينية ، خاصة وأن الفلسطينيين ليسوا كتلة بشرية في ذات المنطقة، كما ذُكر في المحور الثالث، التقسيمات الجغرافية والهوياتية تنتج كتل في بقاع جغرافية مختلفة وقليلة التواصل، ومن هذه الكتل جماعة لاجئة في بلاد غريبة تنتج جيل لا يمس في تراب الأرض ولا يمتلك أي ذكرى عنها لحظره من زيارتها ويعرف أرضه من سردية أجداده، يشدد حجازي (2018): **"يتعلَّم الطفل الفلسطيني، تحت الاحتلال كما في الشّتات، منذ سنّ السادسة تاريخ قريته وانتمائه إليها. كما يتعلّم التمييز بين المُدن وخصائص كلٍّ منها، تاريخ فلسطين وجغرافيّتها، فضلاً عن الأغاني والقصص الشعبي والأكلات، والفنون والرموز (الشال بمثابة رمز للهويّة المُقاوِمة التاريخيّة والرّاهنة). وبالتالي "فنحن لا نذوب ولا نُذاب، ونحن لسنا هنوداً حُمر"** - من مقابلته مع المُناضل الفلسطيني قاسم عينا. (القلقيلي وأبو غوش، 2012 ؛ حجازي، 2018)

- **التراكمية:** الهوية تنشأ وتتبلور، ثم تتطور بفعل تفاعل عوامل داخلية، وتفاعلها مع عوامل خارجية، فهي تبدأ عند الولادة وتنتهي عند الموت لكونها فعل تراكمي، لا يوجد فلسطيني بمعزل عن ممارسات الاضطهاد الاستعمارية الاستيطاني الصهيوني، هذه الممارسات تنطبق على كافة مناحي حياة الفلسطيني، من التنغيص اليومي على صعيد الإجراءات الإداريّة من قبيل تسجيل مولود جديد، وسردية العائلة والتشبث بالأرض، وعيش حياة مغايرة عن السردية في البيت فمنذ الطفولة حتى البلوغ يتأثر الفلسطيني من منهج المدارس التي هي من الانتاج المعرفي أما الاستعماري أو المغترب في الشتات، والتضييقات الأكاديمية، والمعابر والسفر، فكل حدث يجر حدث آخر لتشبّث الفلسطيني بهويته كونه تحت قمع بسبب كونه في إطارها ولكونه مستنفذ من المقاومة في سبيل وجوده ومن أجل أخذ حقوقه الانسانية او جزء من هذه الحقوق. (دريني، 2020)

- **النضالية:** هوية الفلسطيني الحقيقية، تتمثّل، أولاً وأخيراً، في استعادة هويته المسروقة، الفلسطيني موجود اذا هو يقاوم الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، إزاء هذه المِحن والكوارث والاعتداءات التي تصل حدّ عدم الاحتمال التي ذكرناها بتوسع عبر المحاور

السابقة، فليس هناك وجود من دون انتماء يعرِّف الذّات: انتماء إلى أسرة وعائلة وجماعة وعشيرة، وقرية أو مدينة، ومَجالٍ حيويّ، وكيان الأرض اسمى عن باقي دوائر الانتماء. وتتشكل كل هذه الانتماءات لكي تصنع الكيان والمصير للفرد والجماعة والكتلة البشرية الفلسطينية. تلك هي هويّة الفلسطيني المُقاوِم تحت الاستعمار الاستيطاني وفي الشّتات. تلك هي الهويّة الفاعِلة التي يختارها ويعتنقها الشعب الفلسطيني لتمثيله في مقابل الهويّة الاسميّة المعطاة من قبل الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، وهي بالتالي هويّة صناعة الوجود والكيان، يقاوم الفلسطيني اختلال كيانه بشتى الطرق، نستحضر مثال على ممارسة المقاومة والوجودية :**" طُرِد سكّان قرية "معاوية" بالقرب من مدينة أمّ الفحم قَسراً، وهُدِّمت بيوتهم، ومُنِعوا من أخذ حاجيّاتهم، لكنّ الأهالي رفضوا الرضوخ للأمر الواقع، واستعملوا الماشية كوسيلة للعودة الى الأرض من خلال رعي الماشية فيها، والاقتراب التدريجي من المنازل واسترداد حاجيّاتهم، ومن ثمّ تمَّ التحوُّل إلى البقاء التدريجي هناك، وزراعة الأرض وإعادة بناء منازلهم.".** (حجازي، 2018)

الأبعاد الاجتماعية للهوية الفلسطينية

نهب الهوية الفلسطينية نتيجة هيمنة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني برز في خلق أبعاد اجتماعية في عدة مناحي من حياة الفلسطيني وممارسته اليومية ومادي، وهذه الأبعاد بلورت، وغيرت، وعززت مفاهيم كيانية جذرية وعامة للفلسطيني في مكانته الاجتماعية كفرد وكجزء من النسيج الاجتماعي الفلسطيني، نذكر من هذه الأبعاد:

- **المكانة الاقتصادية:** ملامح الاستعمار الاستيطاني الصهيوني سطت على الموارد المادية في الارض، أفقد الاستعمار موارد الرزق للفلسطينيين، اما بنهب الموارد والاملاك من الفلسطينيين، وهدم هذه الموارد المادية، او تغيير المكان الجغرافي للمورد البشري وابعدته عن المكان الذي استرزق منه، نستقطب مثالين: الأول منهما قرى العراقيب التي تم هدمها ما يقارب 144 مرة من قبل الاستعمار الاستيطاني الصهيوني بشراسة بقوات عسكرية، وهدمت منها المنازل، والاماكن التجارية، أملاك المواطنين الاصلانيين، بيوت المواشي واراضي الزراعية، افقد الاستعمار بتكرار الموارد المادية، وتلقى المواطنين الخسائر الجمة من عمليات الهدم، إلا أن الشعب الفلسطيني الاصلاني القابع في العراقيب، ما يقارب 700

نسمة، لم يخضعوا للواقع المفروض عليهم وواجهوا بنفس الشراسة الموجهة إليهم، تضامنوا وخلقوا استراتيجية بناء القرى في كل مرة هُدمت، عززت من تشبثها في أرضها ومكانهم فيها، المثال الآخر هو سردية اللاجئ المُهجر قسريًا وأُجبر للخضوع لهيمنة الاستعمار الاستيطاني وأُرغم على ترك قريته التي كانت جزء من تحصيله المادي و تثبيت مكانته الاجتماعية، ويتم تعريته من كل ما يملك من مكانة اجتماعية واقتصادية وموارد مادية الى موقع جغرافي آخر، وعليه ان يبدأ بتأسيس ذاته و إعالة نفسه من خط ما تحت الصفر، حيث تتلاشى الفرص للعمل والتشبيك في المكانة الاجتماعية ومنصبه كما عُرف في أرضه الاصلانية، عُرضَ في المحاور السابقة واقع الفلسطيني المليء بشتى وسائل الترهيب النفسي، وهنالك البعض من الشعب الفلسطيني الذي يخضع لهذه الوسائل لضمان حياة كريمة ووضع اقتصادي ثابت، يستدرج الاستعمار الاستيطاني الصهيوني فئة من الشعب المهمش الذي ليس له وسيلة اخرى لكسب العيش، يستعرض لنا حجازي (2018) نموذج لهذه الظاهرة: **" تعرَّض الكثير من القرى والبلدات المسيحيّة في بَيت لحم والقدس (بيت جالا، وزاخور) لمشروع تهجيرٍ شرس، وإغراء المسيحيّين ببيع أراضيهم وأملاكهم بالمال السخيّ، ولكنّ هذا المشروع لقي مُقاوَمة عنيدة، وأَظهر الفلسطينيّون تشبّثاً عنيداً بالأرض، وباعَ أحد المقدسيّين بيته، وما لبث أن توفّي بعدها بقليل. رَفَضَ أهله وجيرانه دفْنه في مَدافنهم، وإقامة العزاء له."** يتشعب هذا النموذج إلى منحيين، الأول منهما خضوع الفرد لوسائل الترهيب والاستدراج من قبل الاستعمار الاستيطاني الصهيوني ومحاولاته لتفريق الفرد عن جماعته وفصل الجماعة التي ينتمي لها عن الكتلة البشرية الفلسطينية الكاملة وفي هذا النموذج الفصل ديني، المنحى الثاني من هذا النموذج هو تعامل الجماعة مع الحالة، رفضت الجماعة تقبل خضوع الفرد منها لترهيب الاستعمار الاستيطاني، واستثنته من عاداتهم وتقاليدهم وكتلتهم الاجتماعية، كما أنها لم تحذو في مثله، بل تابعة مقاومة الترهيب ككتلة جماعية اجتماعية. من هنا، يُفهم أن الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية متفاوتة ومتغايرة ولا يمكن عرضها بمثالين أو أكثر، لهذا ان عينة الامثلة هي فقط لتوضيح مدى اختلاف رد الفعل الفلسطيني عند تعرضه لقمع وتضييقات جمة فيما يخص رزقه ونهب فرصه وموارده لإعالة نفسه وعائلته. (القلقيلي و ابو غوش، 2012 ؛ حجازي، 2018)

- **المكانة العائلية:** هي الإطار الاجتماعي الأول الذي يتفاعل الطفل فيه ويبني صورعن شكل الحياة وعن ذاته وعن "الآخر" المستوطن المستعمر، ويتبنى معاني للمفاهيم والأشياء والاغراض والأشخاص في العالم، يعرف المجتمع الفلسطيني تمام المعرفة أن ما وقع عليه جاء نتيجة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، فالإنسان الفلسطيني ليس لديه سلطة سياسية بالمعنى التقليدي والحقيقي، مما أدى إلى وجود معيقا إستراتيجيا إزاء المؤسسة العائلية الفلسطينية في كيفية أدائها لواجباتها ومكانة الأفراد داخلها، نتوسع في نقطتين في إطار العائلية، الأولى منهما هي **تبني الرواية الفلسطينية وعرضها للجيل الصاعد من قبل الوالدين أو العائلة المكبرة،** كون الشعب يقع تحت مواجهة واضحة لمنح كيانه ووجوده وتاريخه بفرض تضييقات وعقوبات من قبل الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، فهناك عائلات تتشبث في المواجهة وتعززها في المنزل وتحافظ على تناقل الذاكرة الشفهية والمأكولات والعادات التقليدية و تتوارثها، وتنمي في الجيل الصاعد آلية بلورة الهوية الفلسطينية، نستحضر مثال من مقابلات دريني (2020): **"انا جاي من بيت كثير وطني، امي وابوي كثير وطنيين، وانا وصغيرة كنت اروح مظاهرات ضد الاحتلال ضد العنصرية ومش عارفة شو، واكلت قتلة من بوليص... ما اجاش الاشي بس من اهلي، كمان من حالي، يعني انا بحب ابحث، ومن وأنا طفلة في الجو الوطني عنا بالبيت يعني كل الوقت في مقاومة، كمان سيدي وستي عندهن قصص مرقوها بالنكبة، وفي كثير قصص الي سمعتها بتشحن وبتعملك مشاعر جياشة وفياضه، فبطلع عندك ردة فعل هالقد قوية تجاه المستطونين الصهيونيين."** هنالك سردية أخرى في الأطر العائلية في توعية الاهل لاولادهم في إطار استعمار استيطاني من قبل الفلسطينيين، وهي توعية الحقيقة الفلسطينية وذكراها بجانب تداعيات هذا الوعي وخطورة التصرف كفلسطيني في حدود الأراضي المستعمرة الاستيطاني الصهيونية وخارجا بالشتات كلاجئ لا ينتمى للدولة ولا يأخذ كل حقوقه، وهذا النهج يتبلور في مقاومة حذرة وغير مباشرة، توضحها لنا دريني في إحدى مقابلاتها (2020): **" كمان بيتي بيت وطني، مدموج بالخوف بس في وعي، وهن مش رح يفهموا انه صح عندي موقف بس مش مستعدة اضيع حياتي، لازم اكون ذكية بتصرفاتي ... أبوي بدخلش كثير بس بضل يقولي ديري بالك، وانا بعرف انه معهن حق كثير، وانا بعرف حالي مش جاي اعمل اشي مش قانوني واكثر اشي ممكن اعمله زي اسا انه اعبر عن رايي بالفن وبطريقة سلمية".** وهنالك عائلات تخضع تمامًا للممارسات الموحشة في

نهب الذاكرة، ولا تتوارث الهوية الفلسطينية وروايتها ولا تكبد العناء المحافظة عليها من محاولة الحفاظ على سلامة الفرد والعائلة وتنصهر في الأسرلة وأجندة الاستعمار فقط لصيانة نفسها، فتولد جيل ينظر للقضية الفلسطينية من نظرة مُستعمَرة وليس كجزء منها، وينوه بالذكر أن هذا النهج نابع من يأس التعامل مع صعوبات كينونة الهوية الفلسطينية وتداعياتها، أما الجيل المتربي على هذا المنهج اما يستمر به، أو يتحرر منه ويتبلور تصوره الذاتي للقضية إما من مواقف أو من تأثير نسيج اجتماعي مغاير بالرؤية عن نواة المنزل، نستحضر مثال آخر من مقابلات دريني (2020): **"إذا بدي احكي انا كانسان تعرف عحاله، كنت كثير كبيرة نسبيا لشخص يفهم شو الهوية تبعته...وكنت شايفة الاشي كتير واو انه اه هاي احنا عايشين مع بعض وفش مشاكل ومتأقلمين، بس بحمد ربي اني اجيت عالقدس عشان أفهم الشي هاد الي قبل ما كنت فاهمته، برفض، بس ما بحس كمان اني انا تربيت عالموضوع هاد وانه هاد اليهودي غير عني، واضطريت اختلط فيهم عشان اعرف شو هم... وهالحين انا بعطي اخوتي كلشي ما اعطاني اياه المجتمع"**، نرى أن للعائلة دور أساسي في فهم السردية والهوية الفلسطينية لكن تأثير العائلة غير مطلق، فمع مراحل البلوغ وبلورة الذات، التعرف على الهوية وخلقها تتعلق بالفرد ذاته، واختياراته في انتسابه لإطار للجماعة التي توافق مساره الفكري وهكذا يتقرب من هويته. النقطة الثانية في أطر العائلية هي : **تفكك العائلة وتغيير المكانة الفردية في النسيج العائلي،** تُظهر الامثلة السابقة مكانة الوالدية، ان الخوف من التضيقات والترهيب يرغمهم على صيانة مواقفهم السياسية والاجتماعية، خوفهم على أنفسهم وعلى افراد عائلتهم من عواقب تصرفهم كفلسطينيين يحثهم على العيش بحذر من حيث مواقفهم أو ما يعلمونه لأولادهم من حيث المعرفة والمنهج السياسي، كون الشعب الفلسطيني ملاحق في محاولات تهجيره، وقتله، أو أسره فهو يهدد مكانته العائلية و مصيره ومصير عائلته في ذات الوقت، فعند اعتقال الأب فهو يخسر مكانته كأب، ويفكك أسرته من ترابطها الطبيعي فيغدو الابن رب المنزل مكان الأب وعليه العمل ليعيل العائلة وهكذا يخسر طفولته وتعليمه و الام ايضا تتغير مكانتها من كونها جسم ثاني من جسم الوالدية إلى كامل الجسم وعليها اعالة العائلة وتعليمها والاعتناء بها دون تواجد الأب، كما وان مكانة العائلة الاجتماعية تتحول لمكانة سياسية بحت فتصبح عائلة الاسير/ة هي مكانة مرموقة في المجتمع الفلسطيني ولا يستهان في تضحية العائلة في سبيل الوطن، ولا تكتفي ممارسات الاستعمار الصهيوني بتفكيك رباط العائلة بل تهدد المعتقل أو المعتقلة

في أسر أفراد أخرى من العائلة والمقربين، وفي معظم الأحيان لا يكون التهديد مجرد فعل تخويف وإنما ممارسة فعلية ويتم اعتقال أفراد آخرين من عائلة الأسير/ة. وفي حالة استشهاد فرد من العائلة على أيدي همجية القوات العسكرية المستعمرة، وتتجرد العائلة من حالتها في فقدان الفرد إلى نموذج ثوري يلهم الكتلة البشرية الأكبر على المقاومة وعلى العائلة تغيير مكانتها الهرمية لتوفر لنفسها الموارد المادية. يظهر أثر تفكيك العائلة وشرذمتها أيضا في حياة اللاجئين تتزعزع مكانة العائلة عندما تشرد أفرادها عن بعض، فهناك العديد من روايات الهجرة التي تتمثل في النكبة في تهجير فرد أو اثنين للحفاظ على كينونة العائلة أما الباقي يبقى في الأرض ليقاوم الاستعمار الصهيوني الاستيطاني، أو الهجرة الكلية للعائلة بدون أملاكهم أو أعمالهم فتتفكك مكانة الوالدين اللذين يعلون العائلة في الشتات حيث عليهم البدء من الصفر وتعلم لغة جديدة أو نمط حياة جديد يسهل على الأبناء تبنيه فيتغير الهرم العائلي من الاعتماد على الوالدين إلى الاعتماد على الأبناء في فهم المكان والحياة الجديدة، من هذه الصعوبات الجمة الواقعة على أكتاف الفلسطينيين، لا يمكن للفرد أو العائلة نفسها التعامل مع هذه الضغوطات وهذا القهر والفقدان، لهذا خلق الفلسطينيين لأنفسهم عائلة ممتدة ومعيلة لا تقتصر على نواة العائلة وسلسلتها بل امتدت تحت إطار عائلة الهوية الفلسطينية، في مخيمات اللجوء والشتات تشكيل نمط الحياة والعلاقة بين الناس فيها، مكون أساسي في ثقافة اللاجئ. فاللاجئون تجمعوا في المخيمات على أساس الانتماء إلى القرية الاصلانية والقرى المجاورة لها، والقرابة الدموية حيث أعاد سكان المخيم إحياء العلاقات القديمة القائمة على بناء الروابط العائلية والقروية، وأعطوا المنطقة أسم العائلة حارة المواعدة في مخيم اليرموك في سوريا، أو أسم البلد الأصلي حارة ساريس، أو صرعة في مخيم قلنديا، وامتدت العائلة المكبرة الى نسيج جماعي يظهر نفسها على هوية جماعية، يشدد حجازي (2018) على نظم التعاضد والمساندة: **"وتشغل العائلة الممتدَّة مَكانةً مركزيّة في نُظم التعاضُد هذه، حيث تندرج هي ذاتها ضمن العشيرة الأوسع. هنا تتجلّى الميزات الأولى لهذا المُجتمع، حيث النحن هي الأساس، وبالتالي فمُصاب أيّ عضو هو مُصابها، ومُصابها هو مُصابه، وحيث إنجاز أيّ عضو أو إمكاناته هو إنجازٌ لها."** وتستعين في نُظُم التعاضُد والتسانُد في الروحيّة الجماعيّة لإغاثة مَن طُرِدوا من قُراهم أو هُجِّروا منها، والتسانُد في توفير مَوارِد الاكتفاء الذّاتي في وجه الحرمان من مَوارِد الرزق. فالجماعة تتقاسَم ما لديها

في مُساعداتٍ مُتبادَلة؛ وبحيث يشعر الواحد منهم بأنّه ليس متروكاً لمصيره أو مُستفرَد. (دريني، 2020؛ حجازي، 2018)

- **المكانة المهنية:** المشهد الاستعماري الاستيطاني الصهيوني يتغلغل في كافة أقطاب حياة الفلسطيني كما ذكرنا سابقًا، ومن هذه الأقطاب هي المكانة المهنية، عند بناء الحياة من الصفر بسبب التهجير واللجوء وخسارة مكانة الفلسطيني الأكاديمية والمهنية، من حيث تهجر الفلسطينيين بكافة فئاتهم التعليمية والمتنوعة، إن حالة اللجوء ومن ثم القطع البنيوي وما تضمنه كل منهما من عوامل فاعلة وآثار قد شكلا صعوبة في ممارسة الفلسطيني لمهنته، الفلسطينيين الاصلانيين اللذين لم يستطيعوا مزاولة مهنتهم في بلاد غريبة بسبب قسوة التمييز الواقعة على الفلسطيني كونه فلسطيني، أي غير مواطن، في بعض الحالات غير ناطق للغة البلد، عدم حمله لأي مستندات، وغيره من الصعوبات والمطبات التي يواجهها اللاجئ في بلورة حياته، وإزاء حاجته لموارد الرزق لإعالة نفسه وعائلته، تقبل اللاجئ واقعه الجديد وأي فرصة عمل سواء كانت في مجاله أو لم تكن فهو بحاجة ماسة لها، نتطرق في هذا البعد الى نموذجين آخرين في مكانة المهنة، الأول منهما التحول من المهنة الى ثورة، وبرز في هذا التحول الفلاحين الفلسطينيين، كون أسمى رغبة وهدف للاستعماري الاستيطاني الصهيوني هي الأرض، كون علاقة الفلسطينيّ بأرضه هي علاقة تبادليّة متكافئة ومتكاملة، مرتبطة بالحياة نفسها، يطرح باسيوني هذه العلاقة: **"تكمن قيمة الأرض الفلسطينيّة في أنّها أسلوب حياة كاملة، مرتبطة بالبنية النفسيّة والجسديّة، وتتفاعل معها الحياة الاجتماعيّة والثقافيّة والاقتصاديّة، ولا تقتصر على وسيلة إنتاج بحسب المفهوم الماركسيّ."** عندما تهدد أسلوب حياة الفلسطيني وعلاقته بأرضه لم يرضى الخضوع وإنما قاومها، وكانت كتلة الفلاحين أول من قاومت الاستعمار الاستيطاني وتحولت من الفلاحة إلى الثورة، ونموذج الفلاحين الثوريين ينطبق لكافة المهن خلال القمع، فكل منحى مهني فلسطيني يتعرض للتهميش ولذلك ينتفض إما بتغيير مهنته ليواكب التضيقات المادية أو يأخذ منحى الثورة أو ينصاع تمامًا لأجندة المهن لدى الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، على سبيل المثال الفلسطينيين الذين يعملون في مراكز الشرطة أو القوات العسكرية لكونهم

يشعرون بالأمان تحت سلطة المستعمِر الصهيوني، واعتقادهم أن ذلك أفضل من العيش في مقاومة الممتلئة بتضيقات و نقص الفرص المهنية. (باسيوني، 2023؛ دريني، 2020)

- **المكانة المعرفية:** الأبعاد الاجتماعية المعرفية على الفلسطيني تتشعب الى محورين، **الأول منهما هي المعرفة العضوية** التي تم نهبها من قبل الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، المعرفة العضوية المتعلقة بالأرض، بالمأكولات، الحرف والانتاج الفني الاصلاني، كل هذه المعرفة تم نهبها وإعادة إنتاجها بطريقة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، إلا أن المعرفة المنهوبة غرست في حياة الفلسطينيين واعادوها الى الحياة، يركز حجازي (2018) على مجال الزراعة: **"تُقتلَع أشجار الزيتون (الشجرة الرمز للريف الفلسطيني)، فيقوم الفلسطينيّون بغرْسها من جديد. تُمنَع زراعة أشجار الزيتون واللّوز حتّى لا يُطالِب الفلسطينيّون بملكيّتها. ولكنّهم يُثابرون على زراعة أرضهم رغماً عن المَنْع، من قبيل الزراعة في اللّيل خلسة، من دون إذن الجيش، لحماية حقّهم فيها ومنْع مُصادرتها. وهكذا اعتُبرت زراعة الأرض نَوعاً من المُقاوَمة"**، وهكذا يحافظ الفلسطيني على معرفته في الارض والارض نفسها، وان لم يستطع استرجاع الأرض نفسها فهو يستحضرها في بقعته الجغرافيا، ويزرع فيها النباتات الفلسطينية، يستحضر الفلسطيني الاصلاني مأكولاته و يتداول طرق تحضيرها مثل الحمص والفلافل، كما وان الفلسطيني ينفذ كل معرفته في تراثه وعاداته وتقاليده اينما كان، مثل رقص الدبكة الشعبي، والعرس الفلسطيني ومراسم الحناء في الزواج، يرسم لنا علي (1977) مراسم الحناء: **"اغاني تراثية، أهازيج شعبية، ورقص تقليدي على انغام حناجر الجدات تغني للفرح والمقاومة وديمومة الحب."** في هذه التفاصيل نتطرق لحفظ المعرفة العضوية واستذكارها بشتى تفاصيلها، وتناقلها بين جيل لآخر، هذه الخصوصية في حفظ الشخصية الفلسطينية وإثراء معرفتها العضوية في إرثها وكينونتها ضد المحاولات الرجعية والاستيطانية في قتلها وابادتها من قبل العدو الصهيوني المستعمر. **أما المحور الثاني من المكانة المعرفية هي المعرفة الأكاديمية والثقافية،** مارس الاستعمار الاستيطاني كافة الطرق لتضييق المنحى الأكاديمي للفلسطينيين، ابتداءًا بالتهجير القسري الذي يعود على الفلسطيني المهجر واللاجئ في بناية نفسه من تحت الصفر كما ذُكر سابقًا، وتهجير غير مباشر للأكاديميين والادمغة من تراب فلسطين من النهر حتى البحر عن

طريق اختلال بفرص العمل والتمييز والعنصرية داخل مؤسسات ثقافية استعمارية، أو تصعيب القبول لمؤسسات تعليمية بسبب تضعضع اللغة وعدم استخدام الفلسطيني لغته الأم، أو تسهيلات مالية ومنح، يضع الاستعمار العديد من الحدود الثقافية والنفسية للفلسطيني التي تكبله من التقدم في مسيرته الأكاديمية، لا يقتصر التقدم الأكاديمي الفلسطيني فقط في هذه الحدود فعلى الفلسطيني أن يعترف حتى في إنتاج معرفي مغاير لواقعه ولسردية شعبه، تشرح لنا دريني (2020) هذه الظاهرة في مقابلاتها مع طالبة: **"بالسنة التحضيرية، كان عندي كورس اسمه " دولة اسرئيل" وعلمونا عن "إسرائيل" وعلمونا وينتا اجوا وكيف بالأول كان موجود "بالاستينا" واشي مش طبيعي وغلط، ولازم تحفظي غلط وتقدمي امتحان بالغلط، شوفي قدي سيء، والامتحان عدته 3 مرات، لاني كنت فايته عم بكتب شو أنا بعرف، لدرجة اخذت موعد "ج" يعني الموعد الثالث الي مش كل حدا بعمله."** من هذا النموذج نرى التشديد على الاقتباسات إذ كون هذه المصطلحات المذكورة هي مصطلحات استعمارية أنتجها الاستعمار الصهيوني الاستيطاني وإدراجها في ثقافته وفرضه على الفلسطينيين، رغم كل التضييقات و العرقلة الا ان الفلسطيني لجأ للثقافة والعلم وبلورة الذات وأفشل اجندة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في افشاله هو الفلسطيني في التقدم، فالفلسطينيون الذين فقدوا مواردهم الاقتصادية الزراعية والصناعية، لم يبق أمامهم إلا العلم لكسب العيش، وبانتشار التعليم بين الفلسطينيين، انفتحت أمامهم آفاق العمل في الدول العربية وخاصة دول الخليج حديثة التكوين الصناعية والمعمارية، والدول الاوروبية المتقدمة في الفلسفة والفن وهناك، ومن خلال العمل وانفتاح آفاقهم والتقاء الفلسطينيين من مناطق شتاتهم معا في مؤسسة واحدة، تعزز وعيهم بفلسطينيتهم رغم اختلاف البيئات التي يعيشون فيها، وحقَّقت النُّخب الفلسطينيّة إنجازات ابداعيّة في المجالات العِلميّة والطبيّة والفيزيائيّة المختلفة، وعِلم المَناعة، وحِساب الذكاء العقلي. وكذلك في الهندسة وتقنيّة المعلومات، من مثل الذكاء الاصطناعي، وفنّ العمارة، وتطوير أجهزة الطّاقة، وعلاج الأورام بالتجليد، وتطوير أجهزة توفير الطّاقة، وأبدع الفلسطيني في مجالات الأدب والشعر والفن، ويشدد حجازي (2018) على أهمية العلم: **"في مجال الأدب حيث أَنجز الأدباء أعمالاً أصيلة ورائدة حصلت على جوائز كبرى. ودخلَت أعمالُ كِبار الأدباء والشعراء المُبدعين العالَميّة، فكان لهم الدور الرائد في ترسيخ الهويّة والانتماء إلى الأرض"**، هكذا الشعب لم يرضخ للإنتاج المعرفي الاستعماري الاستيطاني، وتضييقاته بل خلق فرصه في نفسه وأبدع الشعب

الفلسطيني في شتى المجالات العلمية، الأكاديمية، والثقافية، والفنية، واستعان في هذه المجالات في استذكار سرديته، بلورة هويته وطرحها للعالم. (علي خليلي، 1977؛ دريني، 2020؛ حجازي، 2018)

- **المكانة الجندرية:** ممارسات التهميش الاجتماعي الناتج عن الاستعمار الاستيطاني الصهيوني أثر على الترابط العضوي في المؤسسة الاجتماعية، تتشعب المكانة الجندرية لقضيتين أساسيتان في النسيج المجتمعي فلسطيني الاول:
  - ذُكر في ما سبق تغيير مكانة المرأة الفلسطينية في مكانتها الاجتماعية، ففي الشتات ومخيمات اللجوء حيث أُرغم الفلسطيني على بدأ حياته بدون أملاكه وركائزه البشرية اعتمدت المرأة الفلسطينية على ممارساتها اليومية ومعرفتها العضوية لتحصيل الموارد المادية وتوفير الرزق لعائلتها، ومن هذه الممارسات كانت التطريز والحياكة الفلسطينية لتوفير مكانة اقتصادية، أما مكانة المرأة الاجتماعية أثر اسر احد افراد عائلتها أو استشهاد أحدهم، بانت في المكانة المرموقة التي صاغها المجتمع الفلسطيني، لإظهار الدعم الثوري والاجتماعي للعائلة تستقبل المرأة الزوار أما لدعمهم لها في مآسيها او في للمقاربة في المآسي ان حملوا نفس ظروفها، سمة أخرى تألقت فيها مكانة المرأة وهي الحفاظ على السردية الحكواتية الفلسطينية في أدق تفاصيلها مع مداخلاتها المشاعرية على غرار الرجل الفلسطيني الذي شعر بالعجز في التحدث عن الرواية الفلسطينية لكونه لم يستطع حمايتها، فوضعت النساء الفلسطينيات التعليم أولوية، فإن نسبة النساء الصغيرات اللائي يرتدن الجامعات أكثر من نسبة الذكور. وقد حافظت المرأة على فن التطريز والأغاني التراثية والأطباق الوطنية. إنهن كاتبات وطبيبات وممرضات وعضوات في المجلس التشريعي ومدرّسات ووزيرات وسفيرات وفنّانات ومحاميات وناشطات في المجال الإنساني، كما أن المرأة الفلسطينية بفاعلية في مراحل النضال المختلفة، حيث جسدت دورها الوطني الملموس في كامل واجباته، من النضال المسلح، إلى نقل السلاح للمقاومين، إلى تحمل مآسي فقدانها لأفراد اسرتها، الى تنفيذ دور المنقذ ويطرح لنا بيان موقع وفا (2022) هذه الظاهرة : **"لقد كانت المرأة الفلسطينية**

معنا في كل حارة ومخيم، وكانت في السبعينات تساند المقاومين حيث كانت تراقب لهم الشوارع، بل وأحيانا تعطي الشباب المقاومة زيها كي يرتدونه للتخفي عن أعين جنود الاحتلال، كانت ترشق جنود الاحتلال بالحجارة، وكانت توفر للشباب الإسعاف الأولى باستخدام البصل والعطور، كانت تتدخل في تخليص الشباب من أيدي الاحتلال، ووقتها كانت تتعرض للضرب، والشتم، والاعتداء، ولكنها كانت جدا قوية، و جريئة، ومغامرة لا تخشى شيئا،" نقلًا عن مقابلة مع الحاج عطا مسلم (72 عاما) من غزة". تكيفت المرأة الفلسطينية مع كامل التضيقات والأوقات الحرجة التي تعرضت لها إزاء الممارسات الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية، ولم تغفل عن اهمية دورها في القضية الفلسطينية وروايتها،قامت المرأة الفلسطينية في ممارسة الأمومة لكافة الأسرى وساندتهم في تهيئ الطعام والاحتياجات وترتيب الزيارات ومساندة العائلات وانشاء الجمعيات المساعدة، بالاضافة لهذا الدور، حولت المرأة سعيها للتحرير والعمل الذاتي على نفسها وعلى المجموعة النسوية، فقامت بإنشاء جمعيات مساندة للنساء المقموعات والمعنفات، وخلقت تيارات وحركات مقاومة اجتماعيًا وسياسيًا وسعت الى ندوات تثقيفية لأهمية ودور المرأة لنفسها وللمجتمع، عرضت منصة نساء (2021) مقال مكثف عن دور المرأة الفلسطينية بين النضال وتربية الأجيال: "**إن مسالة تحرير المرأة ليست مسألة فردية نسوية محضة بل تشير إلى مسالة هامة متعلقة بأهمية الثورة التي اشتركت بها المرأة سواء كانت فلاحة، عاملة أو برجوازية، ومشاركة المرأة في النضال والمساهمة في الخلاص من الاضطهاد، حيث تثير المسالة في ذات المرأة على أنها تسعى إلى الخلاص من اضطهاد المجتمع في خضم المقاومة، بالإضافة إلى مساعيها للخلاص من الاضطهاد الاقتصادي والعمل المأجور، وحيث أن النضال تزداد قيمته إذا كان نضالاً مشتركاً مع الرجل رفيقها في المقاومة والذي بدوره هو الآخر مضطهد من الاحتلال والاقتصاد والعمل المأجور.**" وهكذا تبدأ المرأة التحرر من نواة نفسها ومن المجتمع وصولها الى التحرر من الاستعمار الاستيطاني الصهيوني. (بيان وفا، 2022 ؛ منصة نساء، 2021)

- القضية الثانية في المكانة الجندرية هي " الغسيل الوردي" وهو مصطلح أُطلق في نطاق مساندة جماعة الميم -عين من الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، هذه

المساندة يتم تسخيرها سياسيا من قبل الاستعمار في صرف نظر العالم عن انتهاكات حقوق الإنسان التي ترتكبها ضد الفلسطينيين منذ عقود، يتوج الاستعمار الاستيطاني نفسه الداعم الأول لجماعة الميم -عين، يعلن الاستعمار الاستيطاني الصهيوني عن دعمه وانفتاحه الاجتماعي لجماعة العين - ميم ويروّد دعايته في الأماكن الاجتماعية والثقافية التي توفر مساحة امنة لهذه الجماعة، كما وتقيم احتفالات لدعم المجموعة دوليًا ولا تصرح على ان هذه الاحتفالات قائمة على أنقاض وشواهد الرواية الفلسطينية، وتطرح منصة فنك (2022) في مقالها هذه الظاهرة: **"ويصوّر الجيش الإسرائيلي نفسه على أنه الأكثر صداقةً مع مجتمع الميم–عين في العالم، على الرغم من أن الفلسطينيين من أفراد هذا المجتمع لم يسْلَموا من القصف العشوائي، ولا الاعتقالات التعسّفية وخروقات نقاط التفتيش."** كما وان الاستعمار الاستيطاني يستقطب فئة معينة من جماعة العين - ميم، ولا يوفر الحماية والامن للفلسطينيين من هذه الكتلة الجماعية البشرية وانما يهدف الى فصلهم عن الكتلة الفلسطينية لكونهم يتعرضون للرفض من قبل الجماعة الفلسطينيين، ويستخدمون هذه الدعاية لترويج أنفسهم دوليا على أنهم غير مستعمرين مستوطنين، بل على كونهم جماعة منقذة لهذه الفئات المضطهدة، وهكذا تفعل استراتيجية تفرق تسد على الكتلة البشرية الفلسطينية وتجزئها على الصعيد الجندري. (منصة فنك، 2022)

عُرض في هذا القسم عينات قليلة من الأبعاد الاجتماعية التي يواجهها الشعب الفلسطيني في ممارساته اليومية ونسيجه المجتمعي، ولكل بعد يوجد تداعيات نفسية التي تؤثر على هوية الفلسطيني وممارسات اجتماعية ونفسية يعتنقها الفلسطيني في مساره لتأسيس هويته وإعادة استذكارها وحمايتها من النهب والإبادة.

الأبعاد النفسية للهوية الفلسطينية

الخطر السياسي والاجتماعي والاقتصادي يحيط الفلسطيني في كل النواحي، إن كان على الصعيد الفردي أو على الصعيد الجماعي، وهذه الممارسات الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية لا تقتصر على هذه الأبعاد

وإنما تتغلغل ايضًا في الأبعاد النفسية، نستحضر هنا بعض هذه الأبعاد والأحاسيس والمشاعر التي يخوضها الفلسطيني في كل ممارساته اليومية والحياتية وخلال مسيرته الزمنية:

- **الاغتراب:** نتيجة تطبيق الأجندة الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية في قمعها وابادتها، وفرض الكيان الصهيوني على كافة مناحي حياة الفلسطيني، منها الإنتاج الاقتصادي، نمط الحياة والنسيج الاجتماعي، وتحصيل المعرفي والأكاديمي الاستعماري، أدت إلى خلق ضبابية الهوية الفلسطينية والكيان الفلسطيني مما أدى إلى ولود شعور الغربة للفرد الفلسطيني والجماعة، فعلى كافة تراب فلسطين فُرضت لغة جديدة على هذه الأرض وتهميش اللغة الأم واللغة الاصلانية للأرض، أن اللغة هي العامل الأساسي لشعور الفلسطيني بأنه لا يملك أي شيء في هذا العالم، أي نعم انه يحافظ عليها بتفعيلها والتواصل بينه وبين أفراد جماعته، لكن أي معاملات رسمية في شؤون حياته لا تتم في لغته الأم، هذا النوع من الاغتراب يرافقه شعور الدونية، لأن وجود الفلسطيني الإنساني أمام الاستعمار الاستيطاني الصهيوني الذي يملك هذا العالم والواقع، لن يتحقق الى من خلال لغة هذا العالم والتي ستساعده في نيل القبول والرضى عنه، وهذا الشعور يؤدي الى فقدان نفسه ولغته وتهميش اللغة الصحيحة بإدخال لغة هذا العالم الاستعماري ومصطلحات منه، هذا الشعور في الاغتراب ينبع ايضًا من نمط الحياة ونسيج العائلة وديناميكية الاجتماعية التي هي مختلفة في تأثير العولمة والشواهد الاوروبية المغروسة في نمط الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، عن الواقع العربي، والتعايش المُجبر بين عالمين مختلفين الذي يتعايش معه الفلسطيني في ممارساته اليومية، وكيفية التكييف والموازنة بين عالمين مختلفين، يؤدي لاغتراب الفلسطيني عن كونه نفسه والحفاظ على عاداته وتقليديه هو ويطورها ويبلورها ويلائمها مع العالم المعاصر والتجدد، الا ان الفلسطيني توقف عن التطور ونكفل في الحفاظ على شواهد مجتمعه ومواجهة مجتمع غريب يسيطر على حياته، ومواكبة العولمة فوقف عن التطور المجتمعي و علق في موازنة الاقطاب المفروضون عليه، بالإضافة الى ذلك، نتعمق في شعور الاغتراب من قبل اللاجئ الفلسطيني الاصلاني، لقد كان للقرية أهمية كبيرة في التشكل الثقافي القيمي لدى اللاجئ لأنه صار، وظل لفترة طويلة، يقارن بين حياته في قريته والحياة البائسة التي يعيشها بعد النكبة بدون أرض وقرية واضطراره للعمل في أعمال كانت بالنسبة له حقيرة مقارنة بالعمل في أرضه، وحياته السابقة، ألم الغربة عن الأرض والقرية

والحياة المشتركة فيها، وكذلك الحياة البائسة في خيام المخيم أو بيوت الصفيح الضيقة، وبلا أي مصدر للرزق، والتمييز العنيف ضد اللاجئ انتج شعور بالغربة عظيم، والغربة خارج الوطن كانت أقسى منها داخله، يشدد كل من عبد الفتاح القلقيلي وأحمد أبو غوش في بحثهما (2012) على قسوة اللجوء والاغتراب: **" ففي الأردن شعر اللاجئ بأنه مواطن، ولكن كل من حوله ظلوا يذكرونه دوما بأنه لاجئ... كما قال -أبو سمير المعلم في إحدى المدارس الحكومية."** يتعرض اللاجئون في الشتات والمخيمات اللامساواة بشكل غير مناسب، ويسعى اللاجئ في التحرر من هذا الاغتراب، في الاستعداد للنضال والتقرب من الهوية، إلا أنه في هذا الاستعداد ايضًا يواجه الارتباك والبحث عن الذات، والتفكك عن الجماعة والسعي للحلول الفردية. (القلقيلي و ابو غوش، 2012)

- **الانتماء:** ما يواسي الفلسطيني أنه لا يقبع تحت النظام الاستعماري الفردي من حيث نسيجه الاجتماعي الذي يعتمد على الأنا الفردية، فكل من يقع تحت إطار الهوية الفلسطينية هو جزء من النحن الجماعة، يندمج الفلسطيني تحت إطار النحن ويسانده هذا النظام على مواجهة الصعوبات والتضييقات الواقعة على ركائز حياة الفلسطيني، ذُكر في النقاط السابقة اهمية هذا النظام المساند، ويرتكز هذا النظام على الانتماء للأرض، يتحدد الفلسطيني بالثقافة التي تشكلت بالحنين إلى الأرض والعودة إليها واسترجاع الارض، هذا النمط من التعاضُد يَحشد كلّ طاقات النحن وإمكاناتها، ما يوفِّر قدرات مهمّة على مُواجَهة التحدّيات والشدائد والغبن والحرمانات، على صعيد الروح المعنويّة والإحساس بالقدرة على تدبُّر الأمور في وجه الصعاب المُتفاقِمة، هذا الإحساس القوي بالانتماء للمجموعة يبدو لتضمين الشعور بالراحة مع عرقية وإثنية الشخص وامتلاك شعور إيجابي حول العضوية للجماعة التي تواجه نفس المصير ونفس التحديات، وبات هذا الانتماء الفلسطيني نهج اشتراكي متضامن، حيث اعتبر مكاوي (2008) الشعور القوي بالانتماء والتمسك بالهوية الجمعية عند التعرض لممارسات الاستعمار الاستيطانية، انه من عوامل حماية الصحة النفسية لدى الطلاب الفلسطينيين. نستحضر نموذج عن هذه المساندة من قبل حجازي (2018): **" شهد التاريخ النضالي لقرية النبي صالِح، القريبة من رام الله، على ذلك. أقام الاحتلالُ مُستوطنةً بالقرب منها، وتكرَّرت مجالات السطو على أرضها. شاركت هذه القرية في ثورة العام 1936، وبَرَز**

دَورها بشكلٍ كبير في الانتفاضة الأولى، كما أُوقِفَ عددٌ من آل التميمي (من أقارب عهد التميمي) وحُكِم على ثلاثة منهم بالسجن المؤبّد. وهي تتصدَّر حاليّاً المُقاوَمة الشعبيّة حيث تخرج مسيرات منها كلّ نهار جمعة لمُناهَضة جدار الفصل والاستيطان. ويتزايد في المقابل عنف الردّ الاستعمار الاستيطاني وبطشه." هذا النموذج يشدد على مساندة الفلسطينيين بعضهم البعض تحت إطار كتلتهم البشرية في مواجهة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، كما وان هذا النظام انتج تجمعات بشرية منظمة التي أشعلت الثورات والانتفاضات الفلسطينية في مواجهة قرارات الاستعمار الاستيطاني وإجراءاته العسكرية والقانونية، كما حدث في هبة أيار (2021) والتي عُرفت بهبة الكرامة، حيث تكاتف الشعب الفلسطيني في كافة البقاع الجغرافية ردًا على تراكمات من الانتهاكات الإنسانية التي شنها الاستعمار الاستيطاني انطلقت في بدايتها تضامناً مع القدس المحتلة والمسجد الأقصى وضد الاعتداءات الاستعمارية الصهيونية حينها، وضد تهجير أهالي حي الشيخ جراح من منازلهم، ثم تضامناً مع قطاع غزة المحاصر الذي تعرض لعدوان شرس من قبل القوات العسكرية والجيش الاستعماري الصهيوني. هددت المواجهات الفلسطينية كيان الاستعمار الصهيوني، ويكمن المشترك بين الهبات الشعبية أنها تتمرد على التقسيمات الجغرافية الاستعمارية التي يفرضها هذا الكيان بهدف ضمان استدامته.

أحدثت السياسات الاستعمارية الاستيطانية العنصرية والقمعية ضد الفلسطينيين ردا عكسيا ساهم في تعزيز الهوية الوطنية خاصة لدى الجيل الجديد، بالإضافة الى التنظيم والرد على ممارسات الاستعمار واحباطها، ساهم الانتماء الجماعي الفلسطيني في نشل أفراده من مصائبهم، يذكر حجازي (2018) مثال على هذا النشل الجماعي: **"على سبيل المثال يفتقر مُخيَّم البرج الشمالي في صور إلى مَركزٍ صحّي يوفِّر خدمات الاستشفاء التي تتجاوز مسألة الإسعافات الأوليّة؛ فتكوَّنت جمعيّة تضمّ 800 أسرة، وأَنشأت صندوقاً صحيّاً للمُخيَّم. ويُسهِم كلٌّ من هذه الأسر بمبلغ خمسة آلاف ليرة (ما يُعادِل ثلاث دولارات ونصف الدولار) شهريّاً، أمكن بواسطتها تأمين احتياجات الاستشفاء"**، وهكذا يعتمد الفلسطينيين على الانتماء لهويتهم وجماعتهم الفلسطينية في معركة البقاء. (حجازي، 2018)

- **الألم:** الانسان الفلسطيني يمر في عملية نفسية يغرز في نفسه الهزيمة، فكونه دائما في واقع اللا-حياة من قبل بطش الاستعمار الاستيطاني الصهيوني على حياته، يصل الفلسطيني الى قناعة ذاتية بأن الظلم والاضطهاد الذي حل به ما هو الا شيء طبيعي وحتمي وما عليه إلا إقناع نفسه والآخرين من جماعته بأن هذا الألم هو شعور ثابت في واقعه، وما يسبق انتفاضة الفلسطيني على هيمنة الاستعمار الاستيطاني، هي حالة نفسية جماعية معقدة تنتقل من مستوى الفرد لتصل إلى مستوى الجماعة فتشمل شريحة اجتماعية كاملة تكتشف أن مصالحها المشتركة أصبحت مرتبطة بالواقع الذي فرضته الهزيمة عليها، يُفصل ابراهيم مكاوي (1999) في شعور الهزيمة العام: **"تبدأ سيرورة استدخال الهزيمة باستيعاب الواقع الجديد والتصالح معه ثم تنتقل دفعة واحدة الى تجميل وجه الاستعمار وإبراز الجانب الإنساني له بحيث يمهد ذلك الطريق الى امكانية التعايش مع هذا الاستعمار. وهذا التوازن الغريب بين استيعاب حالة الظلم من جهة، وبين محاولة تجميل وجه الظالم من جهة أخرى، هو حالة نفسية مهمة جداً لمستدخل الهزيمة الذي خارت قواه وعدل عن المقاومة والتحدي."** المشكلة في البعد النفسي للهزيمة هو عندما لا يقدر الشخص على تخطيها، وانما ينصاع لها تمامًا، بل ولكي يتخطى الفلسطيني شعور الالم بعد اقتناعه في هزيمته ويستبدله بالراحة في واقع الهزيمة والأجندة المفروضة عليه من قبل الاستعمار الاستيطاني، يضيف مكاوي (1999): **" نشأت داخل الأقلية الفلسطينية في الحدود الجغرافية للاستعمار الاستيطاني الصهيوني طبقات وسطى جديدة وقطاعات عمالية وأجرة واسعة وفئات مثقفين مرتبطة ارتباطاً كاملاً بالمواطنة الزرقاء الناتجة من الاستعمار وتوسع الحقوق في إطار هذه المواطنة."**. الحرمان النسبي الجماعي وبين الهوية الجماعية وعلاقة القوة والصراع بين الشعب الفلسطيني والاستعمار الاستيطاني الصهيوني لا تنطبق فقط على الخضوع للهزيمة وإنما تأخذ منحى آخر من المطالبة في الحقوق والوقوف للاستعمار الاستيطاني واجندته في تهويد الشعب الفلسطيني. يأخذ البعد النفسي في هذا النموذج منحى ثوري، فالشعور بالألم والهزيمة لا يكسر الشعب الفلسطيني، بل يلهمه على التخلص من هذا الشعور، والبعد الزمني لهذا الانهزام يعتبر مؤقتًا حتى تبدأ الجماعة الفلسطينية في تخطيط ممنهج لتقليصه. ويستند هذا التخطيط على الجيل الجديد الشاب، فإن من استدخال الهزيمة وهدف لمحيها يقوم بتثقيف الجيل الصاعد ويساهم في تقديم فكرًا ثورياً نحو صنع مستقبلاً أفضل للأجيال القادمة وان لم يستطع الفلسطيني من مقاومة الشعور بالهزيمة فعليه أن يتنحى

من تثقيف الجيل الصاعد ومن مكانته الاجتماعية التي تمثل محاكاة للانصياع تحت الأجندة الاستعمارية. يعزز مكاوي (1999) هذه الاستراتيجية: **"وبما أن الذي عايش الهزيمة واستدخلها لا يمكنه أن يقدم برنامجاً ثورياً نحو صنع مستقبلاً أفضل للأجيال القادمة، فإنه لا بد من دعم الدور الفعال لجيل الشباب كي يساهموا هم في صناعة مستقبلهم ومستقبل شعبهم وأمتهم. وهنا لا بد من الإشارة الى أن جيل الشباب الذي يساهم في صناعة المستقبل لابد أن يلعب دوراً فعّالاً في صياغة الفكر الثوري الذي يقود الى هذا المستقبل من خلال النقاش والحوار وإثارة الأسئلة الجريئة"**. ومن هنا، هنالك منحان إلى البعد النفسي للألم إما أن يكون محفز الفلسطيني لهدم أجندة القامع المستعمر، أو أن يكون الأداة المُخضعة لأجندة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني وعلى الفلسطيني المهزوم في هذه الحالة أن يتنحى عن إشباع الجيل الصاعد في شعوره في هزيمته. (مكاوي، 1999)

- **الوعي:** بعد فشل الاستعمار الاستيطاني في إخضاع الفلسطينيين بقوَة السَلاح، صار الهدف الاستعمار الجديد هو احتلال الوعي وطمس الهويّة الفلسطينية في فلسطين، ذُكر في النقاط السابقة العديد من الممارسات وآثار تبلور الوعي الجماعي الفلسطيني فيما يخص واقعه وسردية أرضه وهويته الاصلانية، تستحضر دريني (2020) استراتيجية الوعي الفلسطيني: **"على كلّ منا ان يشق طريقه بين الطرق التي يُدفع فيها، أو تلك الممنوعة عليه."**. فلا يكفي أن يكتسب الفلسطيني هويته الوطنية والسياسية من العائلة والمجتمع الفلسطيني، بل سيستمر في اكتسابها وتشكيلها مع كل مرحلة جديدة، وكل موقف جديد بين الفرد وتضييقات الاستعمار الاستيطاني الصهيوني. الوعي هو مركب متجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والإبداعات والتطلعات للمجتمع الفلسطيني، والفرد هو كائن حي اجتماعي، يشعر، ويحب ويكره، ويحزن، ويفرح، ويتألم، ويحن، ويغضب، ويهدأ، ويشتاق، وينسى، ويعمل، ويستريح، وكل شعور يبلوره الفرد داخل نفسه، يحمله معه ويتفاعل من خلاله مع الجماعة والبيئة المحيطة له، وتصبح هذه المشاعر منتجا اجتماعيا، ومركبا أساسيا للهوية الفردية والنسيج المجتمعي الفلسطيني، فكل ما يشعره الفرد يطلقه لمجتمعه والعكس صحيح. وهكذا فإن الوعي المشوه للفلسطيني الواقع من آثار هيمنة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، يمكن تعديله وإعادة بلورته من التأثير الجماعي ووعيهم للقضية الفلسطينية والحفاظ على

الموروث المعماري وسردية الأرض وهذا الوعي يُعبر في الممارسات الحياتية اليومية. بالتالي، إن الوعي الفلسطيني متوارث ومتراكم ومستمر في التبلور على الصعيد الفردي والجماعي، وهذا يكمن أيضا في نضالات الفلسطينيين في الحفاظ على الكيان الفلسطيني وتحصين وعيه لواقعه ومنْع التهويد سِلميّاً. ويتمثّل هذا الوعي في الحِفاظ على المَدارس العربيّة، والكِتاب والجريدة، والمجلّة، واللغة العربية السليمة، والممارسات اليومية الفلسطينية، والتقاليد والعادات الفلسطينية، فلقد أَسهم الفلسطينيين في حماية الوعي الفلسطيني في واقعه وروايته الاصلانية في ظروف بالِغة القسوة والشراسة وأساليب التدمير والتذويب الناتجة عن ممارسات الاستعمار الاستيطاني الصهيوني. (دريني، 2020)

- **الأمل:** الأفراد الفلسطينيين يناضلون لتحقيق أو الحفاظ على هوية اجتماعية إيجابية، كما ذكر سابقاً تؤدي إما إلى الحراك الاجتماعي بمعنى الانتقال من الحالة المنخفضة إلى الحالة المرتفعة للجماعة أو التغيير الاجتماعي، أن اعادة امتلاك النفسية الايجابية هو احدى اساليب المقاومة لدى الشعب الفلسطيني، ويخصصها الشعب الفلسطيني في المراسيم الزفافية و الأحداث الثورية مثل تحرير الاسرى المعتقلين، فيفرح الشعب الفلسطيني ككتلة بشرية واحدة ويشاركون عائلة الاسير بفرحته، إن الحفاظ على الهوية الفلسطينية بات يحتل الصدارة في التوجه الاجتماعي الإيجابي بهدف تصحيح الوضع المتردي للشعب الفلسطيني، ان الشعب الفلسطيني رغم معاناته لا يتمسك فقط بالألم وانما بالأمل، ويحتفل في كل تفاصيل الحياة، ويستمد القوة في الاستمرار في مواجهة واقعه العصيب من اللحظات السعيدة والمفرحة، منها دورة الحياة اليومية الميلاد، والزواج، وافراج الأسير، ويُدخل الشعب الفلسطيني العادات والتقاليد الشعبية في ثنايا مناسباته للتعبير عن فرحه؛ كما تعززت قوة هذه العادات في نفوس أبناء المجتمع مع تكرار هذه المناسبات حتى غدت أنماطاً تمثل قوة وقانونًا اجتماعيًا مترسخًا في النفوس يصعب الخروج عليها والانفكاك منها؛ بل وهكذا الشعب الفلسطيني يفرح، ويحافظ على تراثه، ويمارس هذا التراث، وينقله للجيل القادم. يستحضر حجازي (2018) نموذج فرحة ثورية شعبية: **"ونظَّم أهالي قرية "المعصرة"، التي تقع جنوب شرق بَيت لَحم، احتفالاً كبيراً لمناسبة السنة السادسة لنِضالهم. أعدّوا كعكةَ عيدٍ كبيرة واتَّجهوا إلى الأرض التي كان سيتمّ انتزاعها من القرية بسبب الجدار. حملت النساء الكعكة وعَرضْن**

قِطَعاً منها على الجنود الذين ارتبكوا ولم يدرون ماذا يفعلون، إذ فوجِئوا بالناس تحتفل وتأكل الكعك. هنا أيضاً تتحوَّل مناسبةٌ احتفاليّة إلى عملٍ مُقاوِمٍ دِفاعاً عن الأرض، وتتحوَّل المُجابَهة العنفيّة إلى وجودٍ احتفاليّ مع الجنود، ما يُبطِل قدرتهم الرّادِعة. تكرار الإبداعات يمدّ الناس بالعزيمة ويُعزِّز روحهم المعنويّة، ويَكسر حاجز الخوف. وهو ما يجسِّد الشعار الابتكاري الشهير، دعونا نُحاوِل، لِمَ لا؟!".

هذا الأمل، الذي تعززه العديد من الانتصارات الصغيرة، هو الذي يجعل النضال من أجل الحرية الفلسطينية ممكنًا، كما وأنه نظرا لكون الهوية الفلسطينية جماعية، ترسخت مجموعة من السمات الحياتية التي صبغت هذا الأمل وأعطته شكلا ولوناً، فإن الفلسطيني الذي تشتت في كل بقاع العالم، واختلط بكل الثقافات العالمية والعربية، حافظ على نمط ثقافي في علاقاته اليومية، ونمط حياته وزيه، ونمط ومذاق طعامه، واحتفالاته، وأتراحه، ونمط أغانيه، وهذا الأمل أدى الى الانتماء، وزعزعة الاغتراب والألم، وهذا الأمل يمثل روح الشعب الفلسطيني، ويستعرضون لنا القلقيلي وأبو غوش (2012): "أما هارون هاشم رشيد فينطق بلسان كل اللاجئين حين يقول:

"سنرجع يوما إلى حينا

ونغرق في دافئات المنى

سنرجع مهما يمر الزمان

وتنأى المسافات ما بيننا"

وهكذا نرى أن بصيص الأمل يصبر اللاجئين على أوضاعهم وبقربهم من طموحهم في العودة إلى الوطن. (القلقيلي وأبو غوش، 2012 ؛ حجازي، 2018 ؛ أبو صبح، 2011)

- **الحزن:** الحزن القاتل والمقاتل لا يختلف في توجهه عن الألم المحفز والألم المُخضع، إنما في شعوره، الحزن ينبع عن الشعور بالعجز والفقدان، وعدم المقدرة على مواجهة البطش الاستعماري الاستيطاني الصهيوني، من هنا يشعر الفلسطيني في الحزن، الحزن الذي بإمكانه أن يبني تاريخاً ويهدم آخرَ؛ الحزن الذي يمكنه أن يكون سلاحاً ضدّنا يحمله العدوّ بوجه الفلسطيني، أو سلاحاً يشحذه بوجهه. الفلسطيني - سواء كان لاجئا أو غير لاجئ- لم

يحقق حلمه بعد في دولة مستقلة في وطنه، ولم يعد الحالمون بالعودة إلى ديارهم، ولم يمكن الفلسطيني من كسب حريته فوق أرضه بعد، وهذا الحزن يؤدي الى ألم ومن هذا الألم يتوجه الى بعد النفسي في الهزيمة، وفي فهم بنوية الألم المذكورة أعلاه، نستطيع مقاربة بنويتها إلى بنية الحزن، و نستحضر مدونة باب الواد (2019):

"– «على الشاطىء لحظة المغيب، نرى الشمس والبحر يلتقيان عند الخط الوهميّ الذي يرسم نهاية أفق الرؤية.. هل هما يلتقيان؟".

قال: «ماذا تريد أن تقول؟».

– «أريد، أوّلاً، أن تسجّل فداحة هذه الخدعة: نرى الشمس والبحر يلتقيان، على حين يستحيل أن يلتقيا.. وأريد، بعد هذا، أن تقيس على هذه المسألة مسألة ما نحن فيه..

«أنت حزين، لا شكّ، حزين لوطنك وشعبك وقضيتك؛ منذ امتداد الغزو الصهيوني - الإمبريالي في شرايين التراب اللبناني... وذلك الفتى الذي كان الحديث عنه، هو أيضاً حزين للسبب نفسه، لكن، هل حزنك وحزنه يلتقيان؟ ..».

قال: « لم أفهم .. ».

– « أرجوك أن تفهم أنّ الشبه بين حزنك وحزنه خدعةٌ كخدعة الالتقاء بين الشمس والبحر.. ».

« لا شكّ أنّ كليهما اسمه الحزن.. لكنّ الاسم بذاته لا يعني شيئاً إذا كان المعنى مختلفاً بين الحزن والحزن بل متناقضاً». **"** - كتابة الشهيد حسين مروة في وصف الحزن (1982).

نفهم من هنا ان الحزن يتشعب لنوعين، كلاهما يلامس نفس الشعور إلا أنهما مختلفان بالتحليل الذاتي وكيفية تعامل الفلسطيني معهما، فكل واحد منهما يواجه الاستعمار الاستيطاني في طريقته، الحزن القاتل، هو الخضوع للواقع المزيف التي خلقه الاستعمار الاستيطاني الصهيوني لحياة الفلسطيني الاصلاني، وعندما يخضع الفلسطيني الاصلاني لهذا الواقع بسبب حزنه، فانه يستجيب لهدف الاجندة الاستعمارية ويطبقها في ممارساته الحياتية واليومية، ونستعرض هذا النموذج من الحزن القاتل من مدونة باب الواد (2019):

"عصر أمس زرته متفقّداً حاله، وأنا أعرف كيف ستكون حاله، أعرف كم ستكون صدمة الاحتلال الغاصب الغادر فاعلةً في كيانه.. لكن لم أتوقّع أن يبلغ أثر الصدمة ما رأيت من الانخذال والانهزام وفقدان التّوازن فكريّاً ونفسيّاً وجسديّاً.. رأيته «يهرطق» وطنيّاً ومبدئيّاً دون ضابط..

ليس الرجل جباناً، بل أعرف منه العكس، فهو شجاعٌ، وشجاعته مجرّبة، وليس الرجل ضعيف الوطنيّة، بل أعرف فيه صلابة الوطنيّة.. ووطنيّته أيضاً مجرّبةٌ.. لكن المسألة أن شجاعته ووطنيّته تقومان على أساسٍ فكريٍّ ليس بالمتين.. هذا أوّلاً. أما ثانياً، فالمسألة أنّ تجربته في حقل العمل الوطنيّ لم تخرج به عن دائرة العمل المكتبيّ، أيْ لم تصل به إلى حيث يرى الناس البسطاء كيف يمارسون وطنيّتهم على الطبيعة، عمليّاً، دون تكلّف، ولم تصل به -طبعاً- إلى حيث يمارس الوطنيّة بالطريقة التي هم بها يمارسون."

- الشهيد حسين مروة في وصف الحزن (1982)

أما الحزن المقاتل هو الحزن المقاوم، الحزن الذي يلهم الفلسطيني على تخطي الاجندة الاستعمارية الصهيونية وعدم الخضوع لها، ونستكمل في مدونة باب العامود (2019) :

"أنّ حزنك هو الحزن القاتل، إنّه يقتلك أوّلاً، وإنّه -أوّلاً وآخراً- قاتلٌ من القتلة في صفّ العدو.. إنّه يوجه الرصاص، نفسيّاً ومعنويّاً، إلينا في معركة الصمود التي هي الآن عماد معركتنا الوطنيّة-القوميّة-الديمقراطيّة كلّها.

وأنّ حزن «الفتى» في مكانه من المعركة ذاتها، هو الحزن المُقاتل.. إنّه الحزن المقدّس، إنّه «الحقد الشريف».. إنّه الشكل الأجمل والأنبل للحزن العظيم.. ».."

-الشهيد حسين مروة في وصف الحزن (1982)

أُثار الأبعاد الاجتماعية والنفسية في ممارسات الابداع والخيال

بسبب بطش الاستعمار الاستيطاني الصهيوني على حياة الفلسطيني الاصلاني وضيقت عليه جميع ممارسات حياته الطبيعية، وفرضت هيمنتها على الممارسات اليومية للفلسطيني، فكان على الفلسطيني أن يبتكر حلول ونماذج من السلوكيات في المُواجهات والتحدّيات، نستحضر منها معالم عينية من هذه الحلول الإبداعية:

- **التشبث في الأرض:** حظر الاستعمار الاستيطاني الصهيوني تواصل الفلسطيني مع معرفته العضوية والتعامل مع الارض، الا الشعب الفلسطيني لم يرضى بهذا الفرض، لهذا ابتكر عدة حلول إزاء هذا الحظر، اعتُبرت زراعة الأشجار من دون ترخيص طوال السنة نَوعاً من المُقاوَمة حتّى لا تصبح الأرض بوراً وتتمّ مُصادرتُها. وكذلك الزراعة في اللّيل خلسة. وتجلَّت مُقاوَمة قلْع أشجار الزيتون في سلوكٍ إبداعي تمثَّل في ربْط المُقاومين لأنفسِهم بالحِبال والسلاسل إلى جذوع الأشجار ومنْع الجرّافات من اقتلاعها. وقام الإعلام العالَمي بتصوير هذه المُواجَهة التي تركت الجيش الاستعماري عاجزاً عن التصرّف. ويصف حجازي (2018) هذا السلوك:" **هنا يتجلّى الإبداع في قلْب المَوقف إلى ضدّه، إذ بدلاً من قيام الغاصِب بتقييد المُقاومين وشلّ حركتهم، قاموا، هُم أنفسهم بذلك، لِشَلّ حركته."** (حجازي، 2018)

- **مطالبة الحقوق:** مزاولة القمع وحرمان الحقوق الانسانية الناتجة من الاستعمار الاستيطاني الصهيوني تكون مكثفة في الأسر، إلا أن الأسرى رفضوا الخضوع الى الترهيب والتهويد الاستعماري، وفرضوا نهج الأمعاء الخاوية والتعاضد الجماعي لتحصيل حقوقهم ومكانتهم الانسانية والوجودية، يطرح حجازي (2018) هذه الظاهرة ويشرحها: **"تجويع هو عادةً أحد أساليب إخضاع المُعتَقلين وابتزازهم وتخويفهم من خلال التهديد بخطر الموت. في معركة الأمعاء الخاوية تُقلَب المُعادَلة، فيَستخدِم المُعْتَقَل خطر الموت الذاتي لتخويف سجّانيه."** (حجازي، 2018)

- **الفن البصري:** سردية النكبة وتداعياتها صورت بشكل بصري من قبل الفنانين التشكيليين الفلسطينيين، مثل سليمان منصور ورسمه للمقومات الفلسطينية كنبتة الصبر و شجرة الزيتون، واسماعيل شموط وتجسيده للمرأة المناضلة والام الأرض، والأنثى الفلسطينية في شتى رواياتها

البصرية وممارساتها اليومية، ورَسَمَ كنفاني صورة اللّاجئ الفلسطيني المُناضِل وصاغ ملصقات دعوة للمظاهرات، وغيرهم من الفنانين الذين عرضوا معاناة ومآسي الشعب الفلسطيني منذ النكبة، أما حنظلة الناطق باسم اللاجئين والفلسطينيين وكل العرب، فقد ولد في العاشرة من عمره، وسيظل دائما في العاشرة. ففي تلك السن غادر مبدعه الوطن، وحين يعود حنظلة سيكون بعد في سن العاشرة، ثم سيأخذ في الكبر بعد ذلك. حنظلة رمز المرارة، ولد طفلا فلسطينيا، ولكنه تطور ليصبح له أفق قومي ثم أفق كوني إنساني، ورسمت تمام الاكحل مكانة المرأة في التحرر الاجتماعي وصاغت أمل العودة في لوحاتها، هذه الإبداعات عمقت وعي اللاجئ، وشكلت هويته، فتمسك بحقه في العودة، وحق الفلسطيني بشكل عام في دولته المستقلة، وبحياة كريمة. وعلى جوانب هذه الصورة، برز عجز الواقع، والتغني ببطولات الصمود والمقاومة والإصرار على تحقيق الأهداف. (القلقيلي و ابو غوش، 2012)

- **الأدوات الثقافية:** السلوك والتفاعل في حياة الفلسطينيين اليومية نسجت ثقافة شعبية، نستحضر شرح الثقافة الشعبية من عبد الفتاح القلقيلي و احمد ابو غوش (2012): **"الثقافة نوعان الرسمية وهي التي تنتقل من جيل إلى آخر من خلال المؤسسات والأجهزة الرسمية، والشعبية وهي النتاج العفوي الجماعي المعبر عن شعور وعواطف وحاجات وضمير أبناء الشعب بشكل عام، وليس النخبة، وهي تنتشر بشكل عفوي، مشافهة، أو عن طريق التقليد والمحاكاة والملاحظة. والثقافة الشعبية هي من صنع عامة الشعب، نابعة من روح الشعب ومن شعوره وضميره وهذه الثقافة يمكن استجلاؤها من العديد من رموزها المادية، مثل الملابس الشعبية أو لأكلات الشعبية وما إلى ذلك من نواحي الحياة الشعبية."** أهمية الأدوات الثقافية هي تعزيز الهوية الفلسطينية. لقد صورت الأدوات الثقافية الواقع شعرا ورواية وقصة وأغنية وزجلية كان لها أثر كبير يصل إلى أفئدة الناس قبل عقولها، و تترسخ في وعيهم بغض النظر عن مستواهم التعليمي، لشرح عملية تاريخية ورواية أرض فلسطين، مثل أعمال غسان كنفاني ورواياته، ومحمود درويش وسميح القاسم وراشد حسين وتوفيق زياد وأحمد دحبور وأبو عرب وهارون هاشم رشيد وآلاف الشعراء وأشعارهم، هذه هي الأدوات الثقافية التي خلقت ثقافة واقع الفلسطيني وشكلت الوعي به، وعبرت عن غضب وطموح وآمال الفلسطينيين، حقهم بالعودة إلى وطنهم الذي شردوا منه، واستعادة ملكية الأرض، والتكلم بلغتهم الأم، قامت هذه الأدوات الثقافية في توحيد لسان الفلسطينيين ومنطقهم واحاسيسهم وانتمائهم

للوطن المفقود على أرض الواقع، الحي في قلوبهم وعقولهم، ساهمت في خلق هوية واحدة موحدة، بلحن الحب العميق، العام والواسع. (القلقيلي و ابو غوش، 2012)

نستقطب أمثلة عينية على عرض الواقع الفلسطيني و مآسيه بالاستناد على بحث عبد الفتاح القلقيلي و أحمد أبو غوش : **"هالغربة كان مالنا ومالها مالت علينا وانقلب دولابها**

وامسينا بين الخلايق شتا وديارنا نادى عليها غرابها

وصار الحنين لربوعنا يكوي الضلوع نار ولا النمرود شب الهابها"

وفي الزجلية التالية حكاية الغربة، وانقلاب الزمن، وسوء الحظ، والحنين للوطن، وهي تماما حكاية كل لاجئْ. (القلقيلي و ابو غوش، 2012)

ما ذكر هي أمثلة عينية لطاقات الشعب الفلسطيني و انجازاتهم وابداعاتهم، وكل الممارسات الممنهجة من قبل الشعب الفلسطيني لانتزاع حقه في الحياة من الايادي الهمجية للاستعمار الاستيطاني الصهيوني، ويتميز الشعب الفلسطيني في استمراره في المقاومة والوجود والتعبير عن مآسيه وافراحه وطموحه واحزانه وأماله، القضية الفلسطينية هي صفعة مستمرة للشعب الفلسطيني، وتأكيد حقه في التواجد وممارسة حياته على كفلسطيني وتحت إطار هويته، كما وان الشعب الفلسطيني مستمر في خلق حياته واسترداد حقوقه وأرضه، ويتابع الفلسطيني تحرير عقله ونفسيته ومجتمعه حتى يصل الى مسعاه في التحرير الفعلي، وتظهر طموح وأمال الفلسطينيين في قصيدة "الشهداء" من كلمات سميح قاسم (1976):

" آن أن يزهق الباطلُ

آن أن يعلم اللصُّ والقاتل

بين كفِّ الشعوب ومخرز أعدائها

لن يطول الحوار

بعد ليلٍ قصيرٍ يطل نـهار

تجمع الأرض أشتات سيمائـها

ينطقُ الأخرس

ينـهضُ المقعد

تبرأ الشمس من كل أوبائـها! "

الفصل الثالث

عرض وتحليل النتائج

مقدمة

بعد أن استعرضنا بالفصل الأول الإطار النظري لهذه الدراسة معتمدين على دراسات وأبحاث وبيانات سابقة، ووضحنا السياق الاستعماري الاستيطاني الصهيوني لتشكيل الهوية الفلسطينية وأبعادها النفسية والاجتماعية، نرتكز في هذا الفصل على المعرفة الناتجة من ما شاركه/نه المشاركين/ات حول ما يتعلق بسيرورة تشكيل هويتهم/ن الفلسطينية في ظل هذا الاستعمار.

أما سيرورة العمل على تحليل فحوى البيانات، فكانت على النحو التالي؛ بعد انتهاء كل مقابلة قمت بوضع ملاحظاتي وتأملاتي حولها، ومع انتهاء جميع المقابلات كان ملفت انه بالرغم من اختلاف الشخوص ورواياتهم/ن ومسارات حياتهم/ن وسيرورات تشكيل هوياتهم/ن، ووجهات نظرهم/ن حول بعض المواضيع،

الا انه يوجد الكثير من العناصر والمركبات التي يمكن تصنيفها في محاور محددة. علما أن جميع هذه المحاور مرتبطة ببعضها البعض وتندرج جميعها تحت الأبعاد النفسية والاجتماعية للهوية الفلسطينية ولسيرورة تشكيلها.
وجب التنويه انه تم الترميز الى المشاركين/ات بأحرف أبجدية، حفاظا على الخصوصية والتي تم الاتفاق معهم/ن حسبها أنني لن أقوم باستخدام الأسماء بتاتا ولا كتابة تفاصيل بياناتهم/ن الشخصية.

تقسيم المحاور لم يكن بقرار مسبق وإنما استنباط من بيانات المقابلات، وهم على النحو التالي:
المحور الأول- القيم والمبادئ: يجمع هذا المحور القيم والمبادئ المرتبطة بالهوية الفلسطينية بحسب المشاركين/ن، منها التي ترتكز عليها الهوية والتي تنبثق منها.

المحور الثاني- الانتماء مقابل الاغتراب: يركز هذا المحور على مفهوم الانتماء وعلاقته بهوية المشاركين/ات من حيث الفكر والشعور والممارسة. حيث برز خلال المقابلات تنوع بمنظور الانتماء لديهم/ن من حيث أساسه وتعزيزه وتجسيده.

المحور الثالث- الأسرة: لكل مشارك/ة رواية عائلية وخلفية تنشئة أسرية مختلفة، وكما ذكرنا بالفصول أعلاه فالهوية الفلسطينية متوارثة، حيث يولد الفرد لعائلة مع تاريخ ورواية تحمل بداخلها أثر كل ما عاشوه وعايشوه، ويتابع حياته ليبني روايته كمسار تراكمي لمسارهم، ولو اختلف عنهم، لكنه ليس بمعزل عن كل ما نشأ داخله وكبر معه وحمله معه، سواء اتفق معه او لم يتفق.

المحور الرابع- الألم والأمل والوعي: نستعرض في المحور الرابع المفاهيم الثلاثة الألم والأمل والوعي في سياق الهوية الفلسطينية، بهدف فهم علاقتهم ببعضهم البعض بحسب المشاركين/ات، وفهم أبعادهم النفسية وأثرهم على الهوية الفلسطينية.

المحور الخامس- العلاقات والمواقع الاستعمارية: كما ذكرت في الفصل الأول بالشرح عن العينة، تتنوع بلدات الأم للمشاركين/ات وتتوزع على أنحاء فلسطين، وكذلك البلدات التي تنقلوا للعيش فيها، وتخضع كل منها لموقع استعماري مختلف. يمتد هذا أيضا الى خلفية الرواية العائلية في ظل الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، على سبيل المثال: مهجرين/ غير مهجرين، وحاملين للهوية الزرقاء/ الخضراء، وبلدة محاصرة بالجدار والحواجز/ غير محاصرة. لهذه التفاصيل تداعيات على حياة المشاركين/ات وعلى هويتهم الفلسطينية. ولكل مشارك/ة تجارب مختلفة بالعلاقات مع الآخرين، نركز هنا على العلاقات مع

الفلسطينيين/ات من مواقع جغرافية مختلفة في فلسطين، ضمن منطقة البلدة الأم وخارجها بالمحيط، وكذلك من مناطق أخرى خاصة التي تخضع لتقسيمات استعمارية مختلفة. وذلك كمحاولة للتأمل في أبعاد هذه العلاقات وأثرها على هوية المشاركين/ات.

المحور الأول

القيم والمبادئ

يمتلك كل إنسان منا بعض القيم والمبادئ التي ترتكز عليها أنماط تفكيره ومشاعره وتكون الدافع لسلوكياته وممارساته خلال حياته، سواء كان واعي أو غير واعي ومدرك لها. منها ما يكتسبه من خلال تربية أولياء أمره له، تنشئته في محيط حياته، والدوائر والأطر التي ينتمي إليها مثل الأطر التعليمية والتثقيفية والترفيهية والسياسية والمجتمعية، ومنها ما يتوصل اليها بقرار واختيار منه نتاج وعيه بما يتعلق بتجاربه وديناميكية تفاعله مع حياته بكل تفاصيلها، ونتيجة الاجتهاد الشخصي بالتثقيف والانكشاف على المعرفة المتنوعة من خلال مصادر متنوعة إن كانت القراءة والتعليم الأكاديمي والاطلاع السمعي والبصري على مصادر معرفية، وكذلك ممارسات فردية وجماعية. يتوسع الشق الثاني مع التقدم بالعمر حيث يصبح الإنسان مستقل أكثر بحياته اليومية وتتوسع دوائره، على سبيل المثال طالب مدرسة إعدادي يرتاد مدرسته في بلدته الأم مقارنة مع ذات الطالب بمرحلة متقدمة أكثر من عمره عندما أصبح عامل في شركة يقع مقرها في بلدة أخرى ويشمل طاقمها عمال من مختلف البلدات.

نتداول في هذا المحور القيم والمبادئ التي برزت لدى المشاركين/ات في سياق الهوية الفلسطينية، حيث طغت أهميتها وارتباطها المتين في تشكيل الهوية وفي التمسك فيها وبأحقيّتها.

القيم الأخلاقية والإنسانية وانتهاك الاستعمار الاستيطاني الصهيوني لها:

إن ارتباط الهوية الفلسطينية بالقيم الإنسانية والأخلاقية كان واضح لدرجة وصفه ب- "البسيط" وبذات الوقت كان عميقا ومتشعبا، حيث عدد المشاركون\ات الكثير من القيم الأساسية التي يتربى عليها الإنسان في الأسرة

والمجتمع المحيط بمختلف أطره، سواء من منطلق تربوي أو ديني أو سياسي أو غيره، ومنها؛ احترام الإنسان وكرامته، وعدم القيام بممارسات منافية للإنسانية مثل القتل والسرقة والاضطهاد والتعنيف بأشكالها المختلفة، وكذلك حق الإنسان بالحرية. يستدخل الإنسان الفلسطيني كغيره هذه القيم والمبادئ، ولكنه يعاني بالمقابل من انتهاكها المستمر بما يخصه على يد الاستعمار الاستيطاني الصهيوني على خلفية هويته الوطنية. من هنا يصبح ارتباط القيم والمبادئ بالهوية الفلسطينية مضاعف؛ أولا لكونه يتمسك بها ضمن الإنسانية والأخلاقيات، وثانيا لأنه يُحرم من ممارستها.

وصف هذه الحالة المشارك "د" بقوله: " يعني بسيطة المعادلة، إذا إنت إنسان، أكيد بدك تكون ضد القتل والتنكيل والتعذيب، ضد الاعتداءات الجسدية والاغتصاب، طبعا رح تكون ضد انتهاك كرامة الانسان...طيب ما هاد كله بعملوه فينا لأننا فلسطينية. بالتالي رح تكون منحاز ومؤيّد للهوية الفلسطينية". ويشدد المشارك "ب" بدوره على مبدأ العدل بوصفه "العدل هو حق وليس منة، هاي البلد إلي، إلنا، وعنا أحقية فيها".

تابع "د" بشرح وجهة نظره حول أن التربية على القيم والمبادئ الإنسانية في هذه البلاد هي ذاتها أو على الأقل تقود إلى الهوية الفلسطينية لأن "الهوية الفلسطينية هي هوية مبدئية قيمية إنسانية"، خاصة أن الاستعمار الاستيطاني من جهة أخرى هو ليس أخلاقي. فعند الحديث عنهم قال: "أما هُمي (هم) ساقطين أخلاقيا على كل المستويات". وتعزز هذا المشاركة "ح" بشرحها: "فش أي إشي من يالليي بيعملوه أخلاقي ولا إنساني، من الأول لليوم، كل شي".

وأكد المشارك "ز" على هذا الطرح بقوله: " خلال أحداث النكبة والمجازر، كل القتل والاعتداءات والانتهاكات الجسدية يالليي عملوها، الإغتصابات والاعتداءات الجنسية وغيرها. ولليوم مكملين بكل أعمالهم، يعني أقصى درجات الحقارة واللا إنسانية. كيف ممكن ما نكون ضد هذا الشعب ونرفضه ونرفض نعيش معه؟".

أما المشارك "أ" فقد تطرق الى القيم والمبادئ بما يتعلق بتجربته برفض الخدمة العسكرية المفروضة وفق قانون الكيان الصهيوني على الشباب الدروز وقال: " بال 2006 صارت حرب لبنان وبوقتها كان الوضع يا بضل ساكت يا بحكي، لبست الكوفية على المدرسة وتعرضت لاعتداء جسدي من الطلاب. بوقتها بطّل إشي مفهوم ضمنا، لإنه كان كثير صعب ومش قادر أكون بإقصاء ولا قادر أنتمي عالآخر. شعرت بس إني بشبهش الناس اللي حوالي. بلشت أفهم وأشعر إني عربي. بلشت أفهم عن النكبة وأعرف من ستي عن قصص

التهجير والقصف". وتابع: " بعمر 17-18 سنة كنت صرت عارف إنه بديش أخدم ولا أكون جزء منهن بأي شكل، كان لازم أكون إسرائيلي وبقدرش".

تجربة المشاركة "ز" كانت مختلفة بالسياق المتعلق بالتفاعل مع الكيان الصهيوني، حيث تحدثت عن بعض تجاربها مع الصهاينة وما تعلمته من هذه التجارب. "مرة شاركت بإشي إسرائيلي فلسطيني وهاد علمني درس عن شو بديش وشو غلط. كمان بالجامعة وقت أحداث سفينة مرمرة وبمواجهة مع "اليسار" طلعت الحقيقة وبيّن رفضهن إلي لما حكيت رأيي. اليوم واضح إلي إني أرفض أكون بعلاقاتى مع صهاينة. بشعر إني برجع لورا وبتراجع وبنحدر إذا بتعامل معهن".

ليس هذا فقط، بل ونسب بعض المشاركين الآفات المجتمعية التي يعاني منها المجتمع الفلسطيني الى الاستعمار الاستيطاني الصهيوني على أنها تداعياته وأنها مستهدفه ضمن مخططاته. وشدد عليها "ش" بقوله: "كل العنف وآفات المجتمع الموجودة اليوم هي اعراض جانبية للاستعمار، هي دخيلة على مجتمعنا وليست جزء من قيمنا وأخلاقنا وثقافتنا"

حتمية الهوية الفلسطينية

يشير المشاركين/ات على الارتباط المتين للهوية الفلسطينية بالقيم والمبادئ الأخلاقية الإنسانية، وهذا ليس بفضل التربية والتنشئة والثقافة وعادات المجتمع الفلسطيني فحسب، وإنما لكونها هوية نضالية مناهضة للاستعمار الاستيطاني والرأسمالية. بالتالي عند تمسك الإنسان الفلسطيني بهذه القيم والمبادئ والفكر ويرفض الظلم والاضطهاد والرأسمالية، لا بد أن تتعزز هويته الفلسطينية.

برأي المشارك "د" إن "الهوية الفلسطينية هي أوسع من فلسطين، هي الإنسانية ضد الاضطهاد والرأسمالية والاستعمار والظلم بكل العالم"، وأنه كلما اتضحت للإنسان قيمه ومبادئه كلما اتضحت هويته أكثر. تتفق معه المشاركة "ث" من خلال قولها:" كل ما بتوضح الخطوط الحمرا أكثر، بصير الصراع أقل وبكون أوضح، بِقل قبول التعامل معهن وبيبقى بس الجزء اللي مضطرين عليه خاصة اللي موجودين بال 48". والقصد هنا انه كلما وضحت المبادئ والقيم لدى الفرد وحدد خطوطه الحمراء التي لا ولن تجازها، كلما بات الصراع الداخلي والتخبط لديه أقل وبات التوجه تجاه الاحالة السياسية والاستعمار أوضح، ويشدد على هذا المشارك "ب" بشرحه أنه كلما يتضح كل هذا، يتضح بالتالي التوجه بالحياة.

النضال والمقاومة

يرتبط كل ما ذُكر أعلاه في سياق النضال ومقاومة هذا الاستعمار الاستيطاني، من باب مفهوم "الاختيار" الذي تحدث عنه بعض المشاركين/ات. حيث يشرح المشارك "ب" وجهة نظره بقوله: "الهوية هي اختيار، هي ليست موروثة فحسب ولا نكتسبها بس لاننا خلقنا هون، هي قرار واختيار بالفكر، بالقول، بالممارسة، بالتعريف، بسلم الأولويات، بكل شيء". ويفسر قوله بشرحه أنه لو كانت الهوية موروثة فقط، لكان من الممكن أن يكون الفلسطيني حفيد لعائلة مهجرة ولكنه يعتبر هذا من الماضي ويتماشى مع الكيان الصهيوني ويرضى بالأسرلة والتطبيع، لكن لكون الهوية الفلسطينية مرتبطة بالقيم والمبادئ فهي أيضا اختيار الإنسان لمنظومة قيمه وربطها في هويته وتجسيدها في جميع مناحي الحياة والقرارات بالعمل والدراسة والعلاقات والممارسات. واختتم شرحه بقوله: "هويتي بتسيّرني بكل اختياراتي بالحياة وهذا مش سهل بالمرة".

إن هذا الاختيار للهوية، من شأنه أن يزيد صاحبها قناعة وتمسكا فيها، كونها لم تُفرض عليه، ولا متوارثة او مكتسبة فحسب، وإنما اختارها بنفسه طوعا على أثر العديد من التجارب الحياتية والتفاعلات التي من شأنها قادته الى هذا الاختيار.

جهوزية "دفع الثمن"

عندما نجمع كل ما ذكر أعلاه من انعدام الأخلاقيات الإنسانية للاستعمار الاستيطاني، والقيم والمبادئ التي ترتكز عليها الهوية الفلسطينية، مع كون القضية الفلسطينية مناهضة للظلم والرأسمالية والاستعمار عامة، ونضيف عليه تمسك الفلسطينيين بهويتهم طوعا، يأتي دور التساؤل حول مدى استعداد الفلسطينيين وجهوزيتهم بالتضحية ودفع الثمن لزوال هذا الاستعمار. وعندما نقول دفع الثمن، نقصد في تعدد أشكال التضحية وتنوع وجودها على محور درجاته. حيث انه بات واضح جدا انه لن يزول بالتحبب ولا التعايش ولا المفاوضات، بالتالي يتوجب الاستمرار بمحاربته، وهو بدوره سيحارب ويهاجم كل فلسطيني يقوم بهذا الواجب.

يشير كلام المشاركين/ات الى وعيهم حول هذا ثمن التمسك بالهوية وتحرير الوطن، والى تواجد هذه الجهوزية لديهم.

فتشرح المشاركة "ث" عن ثمن التمسك بالهوية الفلسطينية وتقول: "صراع أخف لا يعني صراع أسهل بس بصير أخف لأنه واضح ومحدد ومفهوم. في ثمن كبير بكل مناحي الحياة. بس الربح اكبر: وضوح، بتكسب نفسك، ضميرك واخلاقك، والشعور بالكرامة. انه كل هذا عشان فلسطين ومع فلسطين ولأجلها".

يضيف المشارك "ث" لهذا التوجه ويقول: "التحرير والاستقلال قادم لا محالة، الموضوع مسألة وقت...".

وعند حديث المشاركين/ات عن التحرير والاستقلال فكان حول "كامل التراب الفلسطيني"، حيث عبّر عن هذا المشارك "ب": "لا ارضى بنصف الحلول".

أضاف المشارك "د" مفهوم وفكرة العمل الفدائي على أنه محاولة الفلسطيني لصيانة هذه القيم والمبادئ ورفض انتهاكها لشعبه كأفراد وكجماعة، وعلى أنها محاولات لرفض هذا الاستعمار غير الأخلاقي بالوسائل والطرق المتوفرة لدى الشعب علما بأن ميزان القوى والعتاد المادي ليس متكافئ، وقال: "عشان هيك، الفدائي هو صناعة الحياة، وليس الموت مثل ما بحاول الاستعمار بِظهِره".

الجندر والهوية الجنسية

لم ينسى المشاركين/ات البعد الجندري في الحديث عن القيم والمبادئ المتعلقة بالهوية. وتحدثت المشاركة "ز" عن الصعوبة بوجود تصدع بالهوية الوطنية والجندرية عند مواجهة مواقف مثل: "سيدي المهجّر اللي أنا بقدسه لكل اللي عمله لفلسطين والمعاناة اللي عاناها، تزوّج مرة ثانية على ستي. هذا عملي أزمة لما عرفت.". وتضيف جانب آخر يتعلق بقتل النساء: "بجيل 17 كنت شاهدة على مقتل إمرأة بالشارع وهذا أثّر علي كثير ولليوم حاضر عندي وبهويتي وتوجهاتي. صعب علي إنه بمجتمعنا بتنقتل النساء على إيد ناس من المجتمع". توافقها المشاركة "ذ" بقولها: "قمع النساء بمجتمعي وقتلهن بصعّب علينا النضال وبعيقنا بالتقدم نحو التحرير".

نرى أن الهوية مركبة من عدة أبعاد، وقد تكون الأمور مركبة بحيث يفتخر البعض بجوانب ما من هوية أفراد العائلة ولا يعجبه جانب آخر كالجانب المرتبط بالنوع الاجتماعي، وقد يسعى البعض لتبني الأبعاد الإيجابية ورفض الأبعاد الأخرى والعمل على إحداث تغيير فيها.

وفي سياق إضافي، شاركوا "أ" و"ذ" حول قضية الهوية والميول الجنسية، ومعاناة من يعرّف عن نفسه ضمن أطياف التعريفات الجنسية المختلفة من إقصاء وقمع من طرف المجتمع. حيث قالت المشاركة "ذ": "إكتشافي إني كويرية كمان أثر على هويتي وعلى إني بدي مجتمعنا يصير يتعامل أحسن مع هاي المواضيع، وإني أرفض أكثر القمع والظلم". ومن طرفه قال المشارك "أ": " لما تعاني من الإقصاء والقمع وتعرف شو معناه وتداعياته عليك، بتعدش تقدر تمارسه على غيرك ولا تكون جزء منه. بنفعش نطالب بالحريات ونكون مع توجه نسوي ونقبل الاستعمار".

الأقوال أعلاه تشير إلى الشمولية في مفاهيم العدل، وأنه يشمل الجندر والتوجه النسوي، وهذا ينوه الى أهمية عدم تجزئة المبادئ والقيم بما يتعلق بالهوية الفلسطينية.

الخلفية الدينية

تعددت توجهات المشاركين/ات حول ما يتعلق بالدين في سياق الهوية. مثلا المشارك "ش" شرح منظوره حول ارتباط الدين بالهوية من منطلق التمسك بالقيم والمبادئ المرتبطة بالتعليمات الدينية وأن إيمانه دفعه الى التمسك أكثر بالهوية حيث أنها ذات القيم، "الدين زادني وطنية". أما المشاركة "ذ"، بالنسبة لها الوعي وبلورة الهوية دفعها إلى التخلي عن التوجه الديني والتدين، "الوعي وبلورة هويتي أبعدوني عن الدين".

أما من حيث استغلال الاستعمار الاستيطاني الصهيوني للدين والخلفيات الدينية لدى الفلسطينيين، فيقول المشارك "أ": " كوني من خلفية دينية درزية، فُرض علي قانون الخدمة العسكرية". ويضيف المشارك "د" جانب إضافي يتعلق بالتحقيقات عند الاعتقالات والأسر: " الاستعمار بستغل التوجه الديني. التوجه العلماني بضعف موقف الاستعمار خاصة بالتحقيقات".

نرى أن هنالك علاقة مركبة بين الدين والهوية الوطنية، وأن جميع أشكال هذه العلاقة تصب في مصلحة الهوية الفلسطينية والتمسك فيها.

المعنوي أقوى من المادي

يعتمد الاستعمار الاستيطاني الصهيوني على قوته المادية من خلال عتاده وأسلحته وذخيرته، ونصبه للحواجز والجدار والأبراج والسجون وما إلى ذلك، أما الفلسطيني، ومع عدم التوازن في ميزان القوة المادية، يتمسك بالقيمة المعنوية لمواصلة نضاله وصموده، ويتخذها كسلاح لكسر وتفكيك التقسيمات الاستعمارية.

انعكس هذا بسرد المشاركين/ات وتبين مدى تمسكهم وتسلحهم بالقيمة المعنوية.

"إحنا منتمسّك بالمعنويات. الحدود هي على المستوى المادي، وبالنسبة النا هي مش موجودة غير هيك، أما على المستوى المعنوي هي مش موجودة"، هذا ما قالته المشاركة "ز" في حديثها حول أهمية المعنويات وأنها تتفوّق على الماديات التي يستخدمها.

وبالمقارنة بين تجربته بالسكن في مستعمرة "تل أبيب" وبيت لحم، شارك "ر" أنه بحسب رأيه المجتمع الفلسطيني يقدّر أكثر القيمة المعنوية للأمور ويتمسك بها، على عكس الاستعمار، ووصف: "هون (بيت لحم) عندي شعور بالحرية اكثر مع انه التنقل أصعب. هناك كل شي مصطنع، اه لِبس حر اكثر وتنقل أكبر، ومع هيك عندي حرية أكثر. حرية بمفهوم نظام أقل بشبه الروبوت، أقل بيروقراطية سطحية. أقل نظام رأسمالي. الحريات بتل أبيب سطحية...بتخنق. انت رقم جزء من نظام سريع لازم تلحق كل اشي، بالتالي فش حرية. هون لسا الحياة ما أكلتهاش هاي الإشيا. هون في بساطة أكثر بالتالي حرية أكبر.".

أما المشاركة "خ" فتحدثت عن معايير النجاح بقولها: " بال 67 رأس مال البني آدم هو أكثر أكاديمي وعلاقاته وإجتماعياته ومهنته، بال 48 هو أكثر مادي وشو بملك وشو عنده"، وتابعت " حبيت الحياة الإجتماعية بالضفة أكثر، في أقل نَفَس رأسمالي وأقل تكلّف".

وفي حديثها عن الحواجر الموجودة بالأراضي المحتلة عام 1967 قالت: " قطع الحواجز المادية الملموسة ساعدني أقطعها معنويا ووجدانيا".

النَفَس البدوي

تتعدد الفئات والانتماءات والمركبات الفرعية التي تندرج داخل الهوية الفلسطينية، يذكر منها الانتماءات الدينية والجندرية والتي تتعلق بأسلوب الحياة. هذه التعددية لا تتناقض مع وحدوية الهوية الفلسطينية بل يمكنها أن تغنيها، من خلال إمكانية تعزيز طقوس ومبادئ وقيم هذه الفئات لقيم ومبادئ الهوية الفلسطينية وتدعيمها. نأخذ البدو نموذجا، بحيث أكد المشارك "ش" على هذا وعلى القيم والمبادئ المتعلقة في نظره بالبدو، وقال: " النّفَس البدوي مرتبط بكثير قيم ومبادئ موجودة بالهوية الفلسطينية وهي ارتباطه بالأرض وبالطبيعة وبالصحراء، وكمان العز والكرامة والتكافل المجتمعي ومساندة الناس لبعضها.".

المحور الثاني

الانتماء مقابل الاغتراب

ترتبط مفاهيم الانتماء والاغتراب بالهوية الفلسطينية كجزء من أبعادها النفسية ضمن السياق الاستعماري الاستيطاني. أكدت نتائج مقابلات الدراسة على هذا الارتباط، حيث شدد المشاركين/ات على الحاجة إلى الانتماء ودوره في بلورة هويتهم/ن الفلسطينية، مقابل شعور بالاغتراب لما يتناقض مع هذه الهوية ويهدف لقمعها وطمسها. كما وتوضّح تجارب المشاركين/ات أن مفهوم الانتماء لا يقتصر على الجانب الشعوري فحسب، وإنما يمتد أيضا للممارسة والفعل.

اللغة العربية:

حضر سياق اللغة العربية بداية من خلال إبداء بعض المشاركين/ات إعجابهم/ن بكون هذه الدراسة باللغة العربية. قد يبدو هذا بديهيا للحظة، لكن للفلسطينيين الذين يرتادون إلى الجامعات "الإسرائيلية" التابعة للكيان الصهيوني، هذا ليس الوضع المُعتاد، وهو مختلف كليا عن الدراسة بأي لغة أجنبية في الجامعات حول العالم، حيث أن اللغة العبرية في الجامعات "الإسرائيلية" هي اللغة المنسوبة للكيان الصهيوني والاستعمار الاستيطاني في فلسطين. أعتبر هذا المداخل لقضية اللغة في سياق الهوية الفلسطينية والحاجة إلى ممارسة الحياة اليومية بما تشمل من تعليم أكاديمي عالي في لغة الأم، خاصة عندما تكون "اللغة الثانية" المفروضة هي لغة الاستعمار.

وفي ذات السياق، تحدثت المشاركات "ت" و "خ" عن تجربتهن بالدراسة في جامعات فلسطينية في بير زيت ونابلس، وأضافت أن الأهمية لا تكمن فقط في التعلم والحوار وكتابة الوظائف والامتحانات، وإنما تمتد إلى الاستخدام الشفوي والمكتوب للمفاهيم والمسميات السياسية الواضحة والمباشرة التي تتعلق بالاستعمار والحالة الفلسطينية. وصفتها "خ" بقولها: " بالجامعات الفلسطينية في سقف لغوي مش خاضع للاستعمار، بتقدري تقولي الإشيا مثل ما هي"، وأضافت "ت": "وجودي بالضفة بكون زي استراحة من العبري ومن ثقافتهن". جانب إضافي طرحته المشاركة "خ" بتعلق بشعور الراحة والثقة عند ممارسة التعليم العالي بلغة الأم، اللغة العربية، من حيث كونها كباقي الطلبة جميعهم يدرسون بلغة الأم، خلافا عن الطلبة الفلسطينيين في الأراضي المحتلة عام 1948 والذين يدرسون في الجامعات "الإسرائيلية" باللغة العبرية مع طلبة صهيونيين يدرسون بذات الجامعات في لغتهم الأم، وأن هذا يعطي الكثير من الطلبة الفلسطينيين شعور بقلة الثقة والدونية، إضافة إلى صعوبات في فهم اللغة العبرية الأكاديمية كونها تختلف عن اللغة العبرية التي يتعلموها بالمدارس.

أما المشارك "ب"، استحضر اللغة العربية في سياق مختلف عن التعليم الأكاديمي، وشارك أنها كانت إحدى مداخله للهوية والانتماء حيث لطالما أجاد وأحب لغته واهتم بالقراءة وهي ساهمت بتعلقه أكثر بالثقافة

والحضارة والمعرفة العربية والفلسطينية، وربط اللغة في الانتماء للعروبة. وصف هذا بقوله: "جزء من هويتي هو لغتي وهاذا من جيل صغير، وكان دافع دايما لسؤال الهوية، بالسابق واليوم. اللغة كانت دايما سؤال وجزء مركزي من الهوية ومن التساؤل عنا كشعب عربي".

استحضار المشاركين/ات للغة العربية ضمن السياقات أعلاه تؤكد على الأبعاد النفسية والسياسية والوطنية للغة في بلورة الهوية والانتماء الوطني.

الحجارة القديمة

يرتبط "الحجر القديم" مع القضية الفلسطينية لكونه المركب الأساسي الذي استخدمه الفلسطينيين في البناء المعماري، وهو حاضر حتى اليوم في جميع البلدات القديمة في البلدات الفلسطينية. أما بما يخص البلدات المهجرة، لديه بُعد وقيمة أكبر، فهو الشاهد على النكبة والمجازر والتهجير والدليل على وجود أنقاض البلدات التي تم هدمها وتهجيرها. يتمسّك فيها الفلسطيني ويرتبط فيها وجدانيا.

وصف المشارك "ج" علاقة الفلسطيني مع الحجر القديم في سياق الهوية والتهجير والانتماء بقوله: "بحكم قربي الجغرافي لبلدي المهجرة قرية معلول، فقرية معلول كانت حاضرة في جميع الرحلات الترفيهية العائلية أو غالبيتها، فكنا نروح نشوف الحجارة. وأشوف سيدي ميقبلش يروح ع معلول بالرغم من إنه مهجر. شوي شوي بتبلش تفهم إنه إنت من هون. وهون كان أول وميض للانتماء، إذا صح التعبير، لفلسطينيتك، لفلسطينيتي أنا. ومن هون بلشت، وكبرنا شوي شوي بلشنا نفهم شو يعني شعب فلسطيني".

ويضيف المشارك "ب" في ذات السياق: "بجيل 4-6، مكنتش عنجد فاهم. كان في رِحَل وطقوس وكان الكل يروح على برعم، فهو كان مشوار عائلي وبنفعش أضل بالبيت، وشوي شوي كنت أفهم كل مرة إشي. مثل قطع البازل، لحد ما فهمت عنجد شو صار معنا بال 48". أما بما يخص علاقة جدته مع هذه الحجارة، فيقول: "ستي كانت مريضة ويا دوب تقدر تتحرك، ولما طلعنا معها على برعم، أول ما وصلنا صار عندها قوة بعرفش من وين. صارت تتمشى لحالها وتحوم بين الشجر ومبنى المدرسة والبيوت وتشرح شو كانو يعملو وذكريات كل شجرة وشو في بكل محل. بتحسيها بترجع طفلة وبترجع بتعيش جيلها ما قبل النكبة لحد اللحظة اللي تهجرت فيها. وكإنه لما تكون ببرعم برجع فيها الزمن لورا. ولما طلعنا من برعم بالطريق لعكا رجعت لحالتها الصحية اللي كانت فيها بعكا وللزمن ما بعد النكبة، و ختيارة وتعبانة".

تابع المشارك "ج" الحديث حول دور حجارة بلدته المهجرة بالعلاقة مع بقية البلدات: "إحنا منحب الحجر القديم مش لإنه حجر، وإنما بسبب النكبة. يمكن لو ما كنتش النكبة كان هدمنا كل هاذا. الحجارة القديمة بكل

بلد، والتشابه بينهن وبين معلول، بزيد رومانسية بالرؤيا الفلسطينية". ويضيف المشارك "ب": " في ترابط سلس بين عكا بلدتي اللي ربيت وسكنت فيها وبين برعم، جزء من هاد الترابط هو الحجارة القديمة".
خلاصة، يجمع الحجر القديم البلدات الفلسطينية مع بعضها البعض لكونه أحد أوجه الشبه بين البلدات، وتكمن قيمته بارتباطه بتاريخ فلسطين ونكبتها والامتداد الزمني لهذا التاريخ لدى الجيل الثالث للنكبة ونسجه مع الهوية الفلسطينية.

الانتماء، الشعور والممارسة

يعتبر الانتماء شعور مهم لكونه دافع يحفز الإنسان على مختلف الممارسات، وينطبق هذا على فلسطين والهوية الفلسطينية. تنوّعت وجهة النظر حول مفهوم الانتماء لدى المشاركين/ات ما بين كونه فطري أو مكتسب، كما تداولوا ضرورة ألا يكون مقتصر على الشعور وإنما يمتد وتتم ترجمته سلوكيا.
حيث اعتبره المشارك "د" أنه شعور ينمو ويتعزز من خلال التنشئة واكتساب المعرفة ويستمر بذلك بمحض التجارب والممارسات. وعبّر عنه بوصفه: " تعودت من وأنا صغير، هيك ربيت. كانوا أهلي يوخدوني ويبعتوني على مخيمات، وبعدين صرت أنا أختار أشارك، ومع كل تجربة وفهم زيادة، يزيد عندي الشعور".
بينما يطرح المشارك "ج" فكرة أن شعور الانتماء موجود بالفطرة لدى كل إنسان، بغض النظر لتوجهه وقيمه. فالإنسان يشعر بالانتماء لما هو جزء منه. لكن الفارق هو بكيفية ممارسة هذا الانتماء. ويشرح هذا من خلال مقولاته حول الانتماء: "الإنتماء موجود وهو بالفطرة عند كل فلسطيني، حتى العميل لديه الانتماء الفلسطيني، لكن السؤال كيف يمارسه؟". ويتابع: "الانتماء مش قرار عقلاني...ليش وكيف بتقدرش تعرف... كله يشعر بالانتماء، الفرق بوجود الخوف، والمصالح وتفضيل المصلحة الجماعية على الفردية...هنالك الوطني والعميل والمتأسرل، لكن جميعهم لديهم انتماء للبلد والتراب. فالقصة مش بالانتماء وإنما بالممارسة له وبتسييره وفق مصالحك...".
ويضيف المشارك "ج" حول دور التغذية الفكرية والمعرفية في الانتماء: " لا يمكن أن أنتمي لفلسطين إن ما قرأت عن النكبة. يمكن أن أتعاطف مع فلسطين، لكن لا أنتمي إليها.". يتفق معه المشارك "د" بقوله: "الناس عندها انتماء، لكن بحاجة لتثقيف وطني".
من هنا، نستنتج أنه سواء كان الانتماء فطري أو مكتسب، من الضرورة أن يمتد لاختيارات الانسان الفلسطيني وأن تتم ترجمته بسلوكيات تخدم مصلحة الوطن.

الثقافة والفن

كما لاحظنا في الإطار النظري عند الحديث حول الثقافة والفن، هم جزء لا يتجزأ من الهوية الفلسطينية وممارساتها، ويمكن تسخيرهم في سبيل الصمود والنضال والنهوض بالمجتمع، ومن جهة أخرى يتعرض الفلسطيني الى ثقافة استعماري دخيلة على وطنه. ظهر هذا في حديث المشاركين/ات، حيث ربط المشارك "ر" الإنتماء بالفن والثقافة ومسار التقدم المهني في هذا المجال، حيث قال: "بتل أبيب كان صعب أتقدم بمجال الفن كفلسطيني وآخد فرص...هناك انا كإني لحالي، انا بضل غريب هناك. بتل أبيب مهماااا كانت العلاقات والمحاولات والشغل والتشبيك، ما دخل، منضل غرباء وصعب نكمل. هيك اشي مش مريح... مش الي هذا المكان.". وتابع بالمقارنة مع تجاربه في بيت لحم بالعلاقة مع المجتمع: " ببيت لحم فش غربة...الاشياء سلسة، مريحة اكتر...ببيت لحم انا مش بتطور لحالي، بتطور مع المجتمع ومن خلاله. بكون انا مع المجتمع وبفيده، أما بتل أبيب كل شي، كل شي بنجزه هو إلي لحالي كفرد، بشكل فرداني يعني، وبكون بفيد ناس غريبة وبفيد الاحتلال.".

أما المشاركة "ح"، طرحت دور الثقافة والفن في تعزيز الانتماء الفلسطيني لديها ودوره كمدخل للعالم العربي والتوعية حول فلسطين وقضيتها وشعبها وسياقها الاستعماري الاستيطاني: " وحدة من الإشيا المهمة بتجاربي وبحياتي هي مهرجان فلسطين الدولي. ممكن الناس تفكر انه شو مجرد مهرجان ثقافي ترفيهي. اما أنا بشوفه باب للتواصل مع العالم العربي وحتى العالم بشكل عام. لما بدهنش ييجو (الفنانين) وبنكشفو للصعوبات وكثر الاجراءات والحواجز والتصاريح وبعيشو لو شوي كل عرقلات الاحتلال اللي احنا منعيشها كل يوم، طبعا هاد مهم وبترك أثر. كانو دايما يصيرو يسألو ويهتمو ويكتبو وينشرو عن اللي عاشوه وشافوه وجربوه".

يشدد كلام المشاركين/ات على دور الثقافة والفن بالنهوض بالمجتمع الفلسطيني وعلى كونه وسيلة لنشر القضية الفلسطينية ورفع الوعي تجاهها، وعلى مساهمة الثقافة الاستعمارية الدخيلة في رفض الاستعمار والتمسك أكثر بالثقافة الأصلانية.

الاغتراب والرفض

وضح المحور السابق مدى انعدام القيم والمبادئ الانسانية والاخلاقية لدى الاستعمار الاستيطاني، والتي تبدأ من مجرد وجوده في فلسطين. تحدث المشاركين/ات على شعورهم بالاغتراب والرفض الذي ولدته تجاربهم مع الاستعمار ومؤسساته.

مثلا، تحدث المشارك "أ" حول تجارب متعددة امتدت على مسار بلورة هويته، حول الشعور بالغربة والإقصاء بما يتعلق بالاستعمار الاستيطاني وممارساته التقسيمية وانتهاكاته، لوجود تناقض جوهري مع

هويته الفلسطينية ومنظومته القيمية. نستحضر مقولاته وفق التسلسل التي ذُكرت فيها:

"وقت الإنتفاضة والأحداث، كنت أشعر إني متعاطف ومتضامن. مكنتش بعدني أشعر حالي فلسطيني، بس ولا كنت أشعر إسرائيلي".

"بالإعدادي بهديك الفترة صارت أحداث طائفية بالبلد بين الدروز والمسيحية، وقتها إنعمل علي إقصاء لإني كنت ضد العنف ومش عنصري. عملو علي إقصاء وضليت بدون صحاب، كان صعب وإستمر 3 سنين، بالمدرسة في جنود وفي تحضير للخدمة العسكرية بالجيش".

"كل شي كان مفروض كان صعب لي معاه. كان "لازم" أكون طائفي، وبقدرش. "لازم" أكون إسرائيلي، وبقدرش. "لازم أكون "زلمة" بالمفهوم تبعهن، وبقدرش".

"تعلمت بجامعة "إسرائيلية" ومن هناك قطعت علاقتي بالأكاديميا "الإسرائيلية"".

وفي سياق الرفض والاغتراب لكن من منظور آخر، تقول المشاركة "ث": "تعلمت بالجامعة العبرية بالقدس وكنت بالأول بعدني مع فكر الجبهة وبآمن بفكرة السلام والحقوق، سنة أولى كنت أحكي عادي مع الطلاب اليهود، وخلال محادثاتي وتجاربي بلّش الإشي يتغير. ومثلا لما عرفت وين وحدة منهن ساكنة وإنه بمستوطنة، هيك نأَزت. ومرة سمعت طالبة فلسطينية تقول انه صراعنا معهن هو صراع وجودي ومش حقوقي، وهاي الجملة رافقتني وضليت أفكر فيها. بس صارت أفكاري ومبادئي ورؤيتي للقضية والسياسة تتحدد أكثر وبطلت أشوف إنه السلام هو طريق منصف لفلسطين وبنصفنا كشعب، علاقاتي مع الجبهة خفت لانه صار في احتدام في الآراء. وبطبيعة الحال حتى مشاركاتي في المحاضرات خفّت. وحتى بتذكر انه بوقتها كنت أشتغل بمحل أواعي، وطبعا هني المُدرا عندهن وأي حدا بمنصب إداري بكون اله دخل بالمخابرات والجيش، بتذكر بوقتها عمل معي جلسة وصار يحكيلي اني متغيرة مع المحل ومع اللي بشتغلو وليش وكان مبيّن أشكرا إني عم بتغيّر لحد ما طلعت وصرت بدي اشتغل بمحل ما إلش علاقة بالمؤسسة الإسرائيلية ومفش فيو يهود".

نلاحظ في هذا المحور أثر قوة الطرد للممارسات والسياسات الغير انسانية والغير أخلاقية لدى الاستعمار الاستيطاني الصهيوني على الإنسان الفلسطيني، فحتى بالحالات التي لا يكون فيها واعي لهوية الفلسطينية أو ينخرط في مؤسسات هذا الاستعمار من باب الاضطرار أو الاختيار، يدفعه شعور الاغتراب نحو التمسك بالقيم والمبادئ والأخلاق والهوية الفلسطينية.

المحور الثالث

الأسرة

تلعب الأسرة في المجتمع العربي دورا مهما في حياة الفرد وفي تنشئته وبلورة هويته، فكم بالحري لدى المجتمع الفلسطيني الذي يستهدفه الاستعمار الاستيطاني الصهيوني باستمرار ويبذل مجهودا لتفكيك نسيجه وشرذمته بشتى الوسائل والطرق والمداخل، منها الأسرة الفلسطينية. يأتي هذا لأهمية وقيمة الأسرة لدى المجتمع الفلسطيني وارتباطها المتنوع مع الهوية الوطنية، حيث لاحظنا حضور الأسرة في الإطار النظري للدراسة أعلاه بعدة سياقات، منها ضمن تعريف الهوية الفلسطينية وأن أحدى خصائصها أنها متوارثة من الأهل والأجداد والأسرة، كذلك ضمن التقسيمات الاستعمارية الاستيطانية في فلسطين حيث يتم استهداف الأُسر الفلسطينية من خلال تقسيم الهويات والتفكيك الاجتماعي لمكانة الأسرة، ومن ثم المكانة العائلية ضمن أحد الأبعاد الاجتماعية للهوية الفلسطينية. تم التأكيد على ما ذُكر مرة أخرى، من خلال مسارات تشكيل وبلورة هوية المشاركين/ات، بحيث كانت الأسرة حاضرة في جميع المقابلات كمركب أساسي بحد ذاته وكذلك بعلاقة مع مركبات وسياقات أخرى.

رواية الأجداد وتجارب الأهل

استحضر المشاركين/ات، خاصة من هم/ن من بلدات ومهجرة، أجداهم وروايتهم بما يتعلق بالنكبة والتهجير، وحضور هذه الروايات في الحياة الأسرية لديهم منذ الطفولة حتى قبل إدراكهم ووعيهم لما حدث وماذا يحدث حولهم في فلسطين. فيقول المشارك "ب": "من وأنا صغير كانت موجودة الرواية المحكية من أهلي، وكنت أتساءل ليش ستي عم تبكي؟! مكنتش عنجد فاهم. أنا ربيت عند ستي وعلاقتي فيها قوية، وكنت دايما أسمع منها القصص، وبرغم هي جزء مركزي بعلاقتي مع ستي. في كتير تفاصيل، ودموع منها موجودة جوّاتي. بلّش الإشي من عاطفة وإلتحم للوعي". " هو كابوس متعب، إنه كيف بعده عم بصير فينا هيك؟ النكبة جرح ممتد". "إحنا كشعب لاجئ عنا القدرة نشوف الواقع تبعنا كتحصيل حاصل للنكبة والمجازر والتهجير... بطريق الصبح للمدرسة مع إمي، كانت تحط أغاني وطنية وكمان لما يطلع نشيد وطني بالراديو تعلّي الصوت عشان نسمع".

وتقول المشاركة "ث": "أبوي كان عمره 4 سنين وقت النكبة، إمي خلقت سنتين بعد النكبة وأبوها توفى وهو كمان لاجئ من بلد الشيخ. عنا قرايب لاجئين في سوريا ولبنان والأردن ومصر، سؤال اللجوء كان دايما حاضر. كان واضح إلي ليش عيلتنا صارت صغيرة هون بالبلاد. الأثر النفسي للنكبة كان حاضر على أبوي. مكنتش بعرف أصيغه بس كنت أحسّه. في تعب نفسي عندهن، إرهاق، اكتئاب وصدمات، شعور الهزيمة، ألم الفقر والمعاناة. الأهل كبرو بكل هاد وإحنا تشبّعنا منه. ما هني خسروا كل شي وبلدة الشيخ كانت حلوة ووسيعة وأراضي، صارو ساكنين بحي صغير. اليُتم اللي صار بعد النكبة مرتبط ارتباط قوي باللي صار فيها. لليوم بحِس إني بتماس نفسي مع النكبة".

يربط المشارك "س" معاناته ومعاناة عائلته والواقع الحالي في غزة بشكل مباشر مع النكبة ومع كل ما فعله ويفعله الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، ويقول: " عائلتي مهجرة، نحنا بالأصل من قرية بربرة المهجرة. موجودة بال 48، شمال شرق غزة، 14 كيلومتر عن السياج الفاصل العنصري الحالي، وبعد هيك عشنا ما بين مخيم البريج وغزة.".

أما "ت" فتشدد على امتداد الأسرة الى خارج فلسطين وهذا أيضا بفعل الاستعمار الاستيطاني الصهيوني:"بنت عمي ساكنة بغزة، قبل الحصار كانت تيجي عنا، بعدين بطلت تقدر. بعيلة سيدي من طرف أبوي، إلنا عمام كانو برّيت البلاد بهديك الفترة، وطبعا ما قدروش يرجعو وانجبرو يضلو برة. عنا قرايب بسوريا ولبنان والأردن، وفي واحد منهم كان مطارد وأُبعِد للخارج. وكمان عنا قرايب بطيبة المثلث. فأنا ربيت على كل هاي العلاقات وكان عالمي واسع من البداي".

وبما يتعلق بوجود أسرى وشهداء في العائلة، تروي المشاركة "ذ"، هي كذلك دُفعت للوعي منذ الصغر بحكم تجارب العائلة، حيث شاركت: " من وأنا طفلة وعيت، ما هي الهوية بتتحدد من مجرد وجود الاحتلال. بالانتفاضة الثانية استشهد خالي...وكلل شي تغيّر، صدمة كبيرة لكل العيلة ووجع كثير، كنت صف أول وعرفت شو ياللي صار أما مش عنجد كنت فاهمة. كمان ستي كانت ساكنة بالبلدة القديمة بالقدس، بحارة اليهود، وكانو دايما يضايقونا اليهود ويعتدو علينا ويتحركشو بإمي وفينا. كمان عندي خال كان محبوس، كبرنا وهو فايت طالع من السجن، وكنا نروح نزوره، بتذكر السجن منيح. خال ثاني كان متصاوب من المواجهات...وهيك".

يضيف المشارك "د" حول إحدى اللحظات التي ساهمت في وعيه: " من وأنا صغير أِعتُقل أبوي عدة مرات، في مرة كان غير، كنت صرت أوعى وشفت الاعتقال واستوعبته، وساعات الانتظار يطلعوه من التحقيق. بتزكر مرة أبوي تصاوب بيوم الأرض وما قبلش يروح يتعالج، استغربت وسألته ليش؟ وحكالي إنه احسن

ليعرفو انه كان هناك.". ويروي المشارك "ش" حول أحداث النقب:" وعيت على الهدم ومحاولات مصادرة اراضي السبع. وبصف تاسع أخذو أرض أبوي وسجنوه".

كما وتطرح المشاركة "ح" أثر أسر الأهل على العائلة وبنيتها والعلاقات فيها، حيث تتأثر العلاقات الاسرية والأدوار بالعائلة وتقسيم المهام وكل تفاصيل حياة الأسرة، وتقول: " أنا بعرفش البداية... أبوي إعتُقِل وأنا أقل من سنة، وطلع وأنا عمري سنتين. بس لما طلع من السجن كنت أسأل بأول ليلة "مين هاد" و "ليش هو عنا بالبيت"... هذا ولّد حماية زايدة بيني وبينه لليوم. بعمر 3.5 تم اعتقال إمي، والغريب إني واعية عليه وإنه كان عندي تضامن ودعم كبير من المحيط وبوقتها أبوي كان حريص كثير انه ما يُعتقل، هذا أثّر على تواصلي مع المجتمع وعلى شخصيتي وعالجانب الاجتماعي تبعي، تعودت اكون بمحيط جماعي حاضن وداعم ومساند. وبشوف الفرق بيني وبين إخوتي بحسب ان ولدوا خلال أو بعد الأسر، ومش بس الفروق العادية مثل باقي العائلات. إنما بحسب أي مرحلة كل حدا انولد. كمان طبعا كل زيارات السجون والأخبار اللي منسمعها واللي منشعر فيها... يعني أنا انولدت بهاد الواقع".

كذلك في بلدة اللد، حيث تقول المشاركة "ز": " ستي تهجّرت من اللد لمخيم الأمعري الموجود بالضفة، أبوها كان مقاوم وكان أسير وملاحق ومن ثم منفي، ونجحو يرجعو بس مش على بيتهم. وعيلة أبوي تهجرو من قرية عاقر على غزة وقعدو فترة منيحة هناك، وسيدي عمل عيلة هناك، وبعدين رجعو وأبوي خلق هون باللد. فمن لما وعيت عالدنيا وقصة النكبة والتهجير حاضرة بحياتنا. جزء من عمام إمي اللي تهجرو موجودين بالأردن، وفي واحد منهم صابو مرض السرطان وبعد كثير جهد نجحت خالتي تعمله لم شمل وأجا مع بنته ومرته وكان شعور ممزوج بالألم وبالنصر، بعدها توفى بالبلاد...وكمان ولاده متفرقين لليوم كل حدا بمحل".

خلاصة، لم ولن يعزل الجيل الثالث للنكبة نفسه عن تاريخ وماضي أجداده وأهله بكل ما يتعلق بالاستعمار الاستيطاني والألم والمعاناة والشرذمة التي أحدثها هذا الاستعمار. بل ان هذا حاضر في معرفته ووعيه وإدراكه وفي تفاصيل حياته اليومية بالحاضر. ويقوم بربطه مع الواقع الحالي المعاش ولاستمرارية وجود هذا الاستعمار حتى اللحظة. سرديات المشاركين في الدراسة تشير إلى أن الاستعمار حاضر في الروايات الشفوية ولكن ليس فقط، هم ولدوا وعايشوا ممارسات الاستعمار بأنفسهم، من الصعب حتى مع مرور الوقت وتغيّر الأجيال أن يزول أثر الاستعمار أو حتى الوعي نحوه،الوعي موجود ويتجدد.

خوف الأهل وجرأة الأبناء

تحدث المشاركين/ات حول مخاوف أهاليهم عليهم من مخاطر ملاحقات ومختلف أنواع وأشكال انتهاكات الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، وحول اختيار الأهل الصمت أحيانا وعدم الانخراط في النضال الميداني، مقابل جرأة أكبر لديهم بالتصدي لهذا الاستعمار وجهوزية لدفع ثمن النضال والمقاومة. كما وحاولوا تفسير هذا الخوف والاختلاف ما بين الأجيال.

على سبيل المثال، تشير المشاركة "ز" باستغراب حول خوف أهلها من آرائها السياسية ومشاركاتها ونشاطها الوطني، علما أن عائلتها مهجرة من طرف الأم والأب وهي نشأت على رواياتهم وهم من دفعوها بالطفولة للمشاركة في أنشطة ومخيمات وطنية. تقول: " أهلي مش كثير سياسيين وولا بشاركو بالميدان بالأمور الوطنية مع انه هُمي اللي ربونا على هاد الإشي، أما احنا البنات مبلا. بفكر انه بخافو من الإقرار بالفخر والوطنية يالليي عنا لإنهم ممكن يعطونا شرعية أكثر وهيك بتعلى المخاطرة تبعتنا وبزيد خوفهن علينا... أهلي بهبة الكرامة عاشو باللد خوف النكبة، كل اللي صار من القتل والملاحقات والحرق ومنع التجول والحصار، وكيف كانو يطفو البيت خوفا من هجوم الصهاينة عليهم وكيف كانو يتخبو. كل عيلتي مرقت اعتداءات بالهبة، وكمان هجمو على المدرسة اللي إمي بتشتغل فيها وكانو الطلاب موجودين بالمدرسة، هجمو عليهم المستوطنين بالسلاح.".

يحاول المشارك "د" بتفسير خوف الأهل خلافا مع جرأة أكبر لدى الأبناء، الجيل الثالث للنكبة بقوله: "جيل الأجداد والأهل عاشو صدمة نفسية وخذلان من العرب وحكم عسكري، شافو كثير موت وأشكال متنوعة من التعذيب والتنكيل والحرق والإغتصاب والتهجير...طبيعي هيك يصير. مع الوقت عبر السنين والأحداث وممارسات الاستعمار، حدث تشافي تراكمي، ما هي الأشيا تراكمية. واليوم نؤمن أكتر إنه الحل من عنا، وليس من خارج فلسطين، منستناش حدا ومنعرف إنه إحنا اللي لازم نعمل كل شي.". ويختم قائلا: "شعبنا عم ينتج هوية قوية جامعة محصنة، كإنه صار عنا anti virous.".

من جهة أخرى يُشير بعض المشاركين/ات إلى أهمية دور الأهل ووعيهم ومساندتهم الوطنية والسياسية لأبنائهم، يُذكر منها ما قاله المشارك "أ" حول تجربته برفض الخدمة العسكرية مع جيش الكيان الصهيوني، والتي كانت مفروضة عليه وفق قانون هذا الكيان: " بمرحلة الرفض كانت كثير تفاصيل معروفة إلي، لإنه أبوي بعرف وكان بالحزب، فكان يساعدني ويدعمني بكل المسار، هو ومعرفته وكمان من خلال معارفه. كمان م تجارب عنا بالعيلة لإنه عنا رافضين قبلي، في من ولاد عمي كمان رفضو الخدمة، فكان مألوف ومكنش قصة كبيرة بالعيلة الكبيرة إني أرفض. هاد اعطاني دعم إني أكمل كل الخطوات وأنجح فيها، وأخذت "بروفيل 21" يعني إنه الجسد غير مؤهل يعني "شهادة مجنون" بالعربي.".

تطرح المشاركة "ح" تساؤل مفتوح حول الوالدية في فلسطين بما يتعلق بتربية الأهل لأبنائهم على حب الوطن وخدمته والانتماء له، حيث تقول: " يعني أنا مش عارفة كيف الأهل بقدرو من جهة يربو على حب فلسطين ويوعونا على كل اللي بصير، وبنفس الوقت يخافو علينا ويحمونا من الخطر والثمن! ما هو حدا فلسطيني عنده كرامة ويسعى للتحرير بالطبع رح يكون معرض للملاحقة والأسر والتعذيب والإغتيال والشهادة! كيف ممكن الأهل يجهزو حالهم لهيك شي؟!".

نستنتج من هذا، أن "صمت" الأهل وعدم مشاركتهم ينبع غالبا من البُعد النفسي للمرحلة الزمنية التي عاشوها ولكل ما شملت من أحداث سياسية، من مجازر وتهجير وشعور الهزيمة والخذلان، وكذلك من خوفهم على أبنائهم من الأذى والضرر الذي يلحقه الاستعمار الاستيطاني لكل من يتصدى له. مع مرور الزمن والمسار التراكمي الجماعي والفردي، الشخصي والجمعي، الذي عايشته الأجيال في فلسطين، أدى بهم التشافي والوعي والتمسك بأمل زوال الاستعمار وادراكهم أن الحل سيأتي من الشعب الفلسطيني، إلى جرأة وجهوزية أكبر للمواجهة والتصدي بشتى الطرق لهذا الاستعمار.

المحور الرابع

الألم والأمل والوعي

تداول فصل الإطار النظري مفاهيم الألم والحزن والوعي والأمل ضمن الأبعاد النفسية للهوية الفلسطينية في ظل الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، واستعرض ارتباطهم النفسي لدى الفلسطينيين. يتابع هذا المحور

التعمق في هذه المفاهيم من وجهة نظر وتجارب المشاركين/ات في الدراسة ضمن مسارات حياتهم وسيرورة تشكيل هويتهم، حيث كان برز وجودها في وعيهم/ن وإدراكهم لأهميتها وأثرها وعلاقتها ببعضها البعض.

الألم

إن المنظور الذي شارك من خلاله الأشخاص بالدراسة، يتراوح بدرجات مختلفة على محور المنظور العاطفي المعنوي والمنظور العقلاني الفكري. الأشخاص الذين تمسكوا بمنظور أكثره عقلاني فكري كانوا أشخاص مروا بتجارب شخصية من التحقيق والأسر والملاحقات على يد الاستعمار الاستيطاني الصهيوني. حيث ركزوا بالغالب على الأحداث والفكر والقرارات والممارسة أكثر من التركيز على المشاعر والمعنويات.

أحد أسباب القهر المنسوبة للألم التي تحدث عنها الكثير من المشاركين/ات، كانت تعاون "السلطة الفلسطينية" مع الاستعمار الاستيطاني الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني، وممارسات التنسيق الأمني التي تقوم بها هذه السلطة. حيث تحدثت المشاركة "ذ" على نضال "ارفعوا العقوبات عن غزة" كأحد النماذج التي تجسد نهج السلطة بقولها: " مع الوقت ولما صار عندي وعي أكبر وفكر أوضح، صرت أطلع مظاهرات أكثر، وأغلبها بالضفة، هناك كنت أول مرة بشوف بعيناي وبتعرَض لوحشية السلطة". أما بما يتعلق بالطلاب بالجامعة فقالت: " بالجامعة كان الكل يسب على السلطة، كان في اجماع ضدها، مرة قبل مناظرة انتخابات الحركة الطلابية اعتقلو مناظر الكتلة الاسلامية".

وقالت المشاركة "ح" أن "التنسيق الأمني يخدم الاحتلال وهاد معروف وواضح، وبيعمل تمويه وبيخلّي الناس تشعر إنها بأمان أكثر في محيط التنسيق الأمني، مثلا رام الله وكإنها أكثر أمان من جنين".

أما المشاركة "ت"، تروي: "قبل ما أنتقل للسكن بالضفة، كنت بعرف إني بكره أبو مازن بس مش كتير فاهمة ليش، بعدين فهمت كتير منيح ليش". وبذات السياق تتحدث المشاركة "ث" حول انكشافها على "السلطة الفلسطينية" بعد أن بدأت بالتواجد أكثر في الأراضي المحتلة عام 1967 ومع إزدياد علاقاتها مع الناس فيها ومشاركتها هناك: "بالضفة تعرفت أكتر على السلطة وشو يعني سلطة. كنا نطلع مظاهرات وننضرب، زي بالمظاهرة ضد زيارة "موفاز"، منناساش كيف انضربنا وكيف انضرب باسل وشو صار معاه. وكمان بعدين بمظاهرات ارفعو العقوبات عن غزة.".

في المحاورين أعلاه وفي سياق القيم والمبادئ والمجتمع والشعب الفلسطيني، وسياق الأسرة وتاريخ الأجداد والأهل والروايات العائلية، تم ذكر الكثير من مصادر وأسباب الألم لدى الفلسطينيين، يندرج كل ما ذُكر تحت

مسمى الألم، حيث ذُكر البكاء، والحزن واليُتم، والإرهاق النفسي والغضب والخوف والقلق. يُضاف الى هذا العديد من السياقات الأخرى التي تسبب الألم، نذكر بعضها من خلال مقولات المشاركين/ات:

المشاركة "ث": "في عند أهلي شعور بالخنقة، تهجرو من بلدة الشيخ وخسرو كل أملاكهن، وانتقلو من بلدة حلوة ووساع وعيلة كبيرة، لحارة وبيت ضيقين وصغرت العيلة الموجودة حواليهن، خسرو جيرانهن وكل شي. أهلي بقدروش يحضرو مسلسل التغريبة، عندهن شعور بالتعب والإرهاق، في غصة. الاشي بخلصش ولا بروح. في خيمة حزن بالخلفية. هذا كله بخلّي الإنسان يلاقي نفسه بتماس مع النكبة بشكل مستمر".

". "إذا صار معك إشا وأي ظرف مثل مرض أو وفاة، وانت من ال 48 صحابك من الضفة بقدروش ييجو عندك، وكمان أزمة العلاقات العاطفية بين هاي المناطق وكيف الإشيا صعبة ومعقدة.

المشارك "س": "وقت استشهاد محمد الدرة، كان هاد بنفس المخيم اللي كنت في، ونفس الحاجز اللي منمرقه دائما". "من وأنا صغير أروح على جنازات الشهدا، كنت أروح تلقائيا لإنه بالحي وبالشارع وكل الناس هناك، شهدت كثير بغزة ومن بينهم شهدت 2 اجتياحات وكان مرعب، صوت الأباتشي ورصاص الألف ميل، وكان مرة أيام عيد واقتحمو المخيم وقصفو بناية، واستشهدو 13 شخص من عائلات مختلفة، بيومها رحت مع سيدي وكان كثير ناس...بتذكر ضيّعت سيدي ولاقيت حالي لحالي ماشي بين الناس...".

نلاحظ من خلال كل ما ذكر أعلاه ومن مجمل ذِكر المشاركين/ات للألم في سردهم لمسار حياتهم بما يتعلق ببلورة الهوية الفلسطينية، أن وجود شعور الألم هو تحصيل حاصل للإنسان الفلسطيني منذ ولادته وعلى مدى حياته، بشكل فردي وجماعي، شخصي وجمعي، مباشر وغير مباشر، لطالما تواجد الاستعمار الاستيطاني بجميع انتهاكاته وممارساته وأفعاله سواء بشكل مباشر من خلال أجهزته أو من خلال تعاون وتنسيق "السلطة الفلسطينية" معه.

الوعي والحزن المقاتل

بالرغم من كل مسببات ودوافع مشاعر الألم والحزن ومشاعر أخرى مثقلة قريبة، وتنوّع درجاتهم ومسبباتهم وكثافتهم ووتيرتهم العالية في فلسطين بسبب وجود وممارسات الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، بات من الواضح من مقابلات المشاركين/ات أنهم يعتمدون مفهوم "الحزن المقاتل" والذي ذُكر في فصل الإطار النظري أعلاه. يتحول الحزن إلى غضب وحقد يدفع الفلسطينيين إلى الانتفاض والثورة على الاستعمار، لا

للخضوع والهزيمة. كل محاولات الاستعمار بالماضي والحاضر لطمس ومحو الهوية الفلسطينية وتفكيكها، يؤدي الى العكس تماما. وليحصل هذا، لا بد من وجود الوعي تجاه سبب المعاناة وسياقها وكيفية التخلص منها. ظهر هذا من خلال مقولات عدة لدى المشاركين/ات، ومنها:

المشارك "د": "كل ما إزدا الإحتكاك، بالضرورة رح يزيد التمسّك بالهوية الوطنية. الألم والوجع الشخصي بزيد من مواجهتك للعدو المسبب، بصير في مصلحة مباشرة وشخصية، بالمفهوم الإيجابي للمصلحة، بصير في ثأر شخصي ومش بس ثأر جمعي وطني. هذا طبعا باستثناء بعض الجواسيس والعملا. البحث عن حلول فردية في ظل الاستعمار هو تخاذل وخيانة".

المشاركة "ح": " أنا بعيش هذا الألم والوجع، وشعور العجز كثير مؤذي، هذا بزيد شعوري ضد الاحتلال. هذا بخليني بدي أكمل وأتحدى وأستمر لأني برفض انه الاحتلال يفرض علي كيف أعيش. الشعور بالتحدي بيعطي رغبة وقوة للاستمرار".

المشارك "ش: "مش غريب على النقب هذي المقاومة والتصدي للاستعمار، ولا الاحتكاك معه، والصلابة والقوة عند أهل النقب. من النكبة ولليوم...كم مرة هدمو العراقيب والناس مكملة، ومخطط برافر وأحداث هبة الكرامة.".

حول دور الوعي بأهمية التحرر الفكري والتغذية الفكرية الذاتية كجزء من بلورة الهوية الفلسطينية، يقول المشاركين/ات:

المشارك "د": " تابعت القراءة والتثقيف داخل السجن وكملت تعليمي، ضروري نكون واعيين وفاهمين العدو وعنا نماذج مختلفة لمحاربة الاستعمار.".

المشارك "ج":-" التغذية الفكرية اللي فقط من التنظيم بتكون تغذية قسرية بعيدة عن الحقائق، أنا كملت بتغذية فكري بشكل مستقل، عندما تقرأ لوحدك لديك أدوات حرة أكبر بأن تعرف وتفهم وتصقل فكرك.".

المشاركة "ز": "الوعي خلاي أحوّل مجهودي تجاه مجتمعي ومش تجاه الصراع مع الإسرائيلي. صرت أستثمر طاقاتي في مجتمعي والوطن وقضاياه، وأربط ما بين توجهي النسوي وبين كل شي.".

المشارك "ش": "المفتاح هو وعينا على انه الآفات الموجودة بمجتمعنا هي أعراض الاستعمار ومن هان منحدد كيف نتعامل معها. مثلا الفصل والعزل بين الشعب خلق أفكار مسبقة تجاه بعضنا البعض، هل منتضم لهذي الأفكار ومنوخدها شخصي ام منفهم سببها ومنفككها.".

المشارك "ب": "مثلا زي جملة الشهيد باسل الأعرج "فلتبحثو أنتم"، هيك جملة بتوخدك لتفكير مطوّل وعميق، انت مستوعب ومش مستوعب، وبتدرك قديش الأجوبة عميقة ومش سهلة مع إنها واضحة".

وتطرق المشاركين/ات الى الوعي في سياق الحياة المهنية والعمل، حيث سعى بعضهم لتأسيس مصالح مستقلة تخدم الوطن في مختلف المجالات منها الإرشاد والتوجيه المهني، توثيق تاريخ النقب وجولات مجتمعية سياسية وتثقيفية، ومنهم من أهتم للعمل بوظائف ضمن مؤسسات فلسطينية بهدف تقليص التناقض المبدئي قدر الإمكان. فيقول المشارك "ش": دورنا وواجبنا بتوثيق بلادنا وتاريخنا وثقافتنا وتراثنا، وإنتاج معرفة أصلانية ونشرها في بلادنا لكل الناس وخارج البلاد".

وبحسب المشارك "د": "شعبنا عم بنتج هوية قوية جامعة محصنة، لكن بنفعش نركن ونتطمن، لازم نستمر بتحصين أنفسنا ونقاوم ونغلق الثغرات الموجودة اللي ممكن يدخل منها الاستعمار. نحن أمام مؤامرة مستمرة. والاستعمار يسعى وسيستمر بالسعي لخلق هويات ثانوية وهامشية ليفككنا.".

نستنتج من هذا، أبعاد الوعي بالحالة الفلسطينية، حيث أنه ضروري من أجل تعزيز الصبر والصمود على الألم والمعاناة من خلال إدراك ارتباط المعاناة بوجود الاستعمار الاستيطاني الصهيوني وان الفلسطيني مستهدف على خلفية هويته الفلسطينية. هذا الوعي يساهم في وجود نضال ومقاومة ملائمين أكثر للسياق الاستعماري وضمان توجيههم نحو بوصلة التحرير. البعد الإضافي هو ما يتعلق بالوعي تجاه المسؤولية الذاتية وواجب الفرد نحو التثقيف والتغذية الفكرية الوطنية ونحو تقديم واجبه تجاه المجتمع والوطن.

الامل

عند الحديث عن الأمل، فكان واضح تمسك المشاركين/ات فيه، وأنه لا ينبع من توجه عاطفي معنوي فحسب وإنما يرتكز على حقائق وأحداث من واقعهم. تحدثوا من جهة حول الأمل النابع من الوعي أنه لا يمكن الحصول على حياة كريمة بوجود هذا الاستعمار الاستيطاني بالتالي زواله هو أمر حتمي سيحصل عاجلا أم آجلا، ومن جهة أخرى هو أمل تعزز وجوده من انتصارات عديدة ومتنوعة حدثت في الفترات الأخيرة بشكل خاص. انعكس هذا في مقولاتهم التالية:

المشارك "ج": "الوعي بعدم وجود أمل بحياة كريمة بالوضع القائم، يدفعنا للأمل والتمسك بأمل التحرير، والممارسة من أجل تحقيق هذا الأمل. لا يوجد حل آخر، لا نملك خيار. الأمر بهذه البساطة.".

المشاركة "ز": " الحدود والحواجز والحصار، هاي كلها أمور مادية، نحنا متمسكين بأمل لَم شمل العيلة، وهاد رح يصير، بس مسألة وقت. ومنسعى حتى نحققه، مش بس مننتظره.".

المشارك "ب": "قصص الشهدا والأسرى والجثامين المحجوزة، كلهن بأثرو علي وبنظرتي للنضال. كل هذا بشحني طاقة وبعطيني دافع نحو تحرير فلسطين.". "بعد الهبة أنا صرت عكاوي كثر من أي مرة، هاي أول مرة كانت الحقيقة واقع واضح قدام عينينا".

المشاركة "ح": " أسرى النفق أعطونا أمل كبير، لحظات انتصار عالية اعطتنا دافع قوي انه كل شي ممكن لو مهما كانت الظروف".

المشاركة "ز": " وقت هبة الكرامة، مع كل الصعوبة والوجع، اخذنا أمل كبير. علم فلسطين بكل مكان، الجيل الصاعد حاضر بقوة في الميدان، وهو جيل ما عاش الانتفاضة زينا وكان معنا. تكافل الناس ومساندتها لبعض، كل المهنيات والمهنيين ياللي خدمو المعتقلين والأسرى والمتضررين".

المشاركة "ح" : "الأمل الموجود مش أمل رومانسي، هو يشمل واجب التساؤل والوعي هل رح نقدر نستمر وكيف وشو بلزم...وبذات الوقت هو أكثر مادة للتفكير والسعي لتنفيذها لانه فش خيار ثاني "مضطرين" فش عنا امتياز باختيار اخر.".

في سياق الأمل، نستخلص تشبث الفلسطينيين وتمسكهم فيه بما يتعلق بتحرير فلسطين بكامل ترابها، بحيث يقودهم من جهة فقدان الأمل بالواقع الحالي المعاش لأن يوفر لهم حياة كريمة تضمن لهم حريتهم واستقلاليتهم، ومن جهة يعزز لديهم صمود ونضال ومقاومة الشعب الفلسطيني الأمل بالتحرير.

المحور الخامس

العلاقات والمواقع الاستعمارية

في ظل الاستعمار الاستيطاني الصهيوني واستخدامه لأساليب مختلفة لتفرقة وشرذمة الشعب الفلسطيني ومجتمعه وعائلاته ومختلف فئاته عن بعضها البعض، على شاكلة الفصل والعزل والحصار والتهجير وغيرهم، يصبح للتواصل والعلاقات بين الفلسطينيين قيمة أعمق وأبعاد أكثر من مجرد علاقات بشرية كما بأماكن أخرى حول العالم. ولكون المشاركين/ات من بلدات ومحافظات مختلفة في فلسطين والتي تقع ضمن تقسيمات استعمارية مختلفة ولكل منها سياق وتفاصيل كثيرة تتعلق بظروف الحياة والمعيشة، بات من الممكن أن نلاحظ تداعيات هذه التقسيمات الاستعمارية والتواجد ضمن مواقع مختلفة فيها. بعض هذه التداعيات يتعلق بشكل الاستعمار سواء كان مرئي ملموس وواضح أو كان مبطن، ومنها يتعلق بالتواجد ببلدة محاصرة بجدار وحواجز أو بلدة يسكنها مستوطنين. هذا إضافة إلى جوانب أخرى تتعلق بتجارب المعاناة مثل التهجير والأسر، وممارسات حياتية مثل العمل والتعليم، وطبعا العلاقات سواء كانت علاقات بين الفلسطينيين من مواقع استعمارية مختلفة بالبلاد أو مع فلسطينيين لاجئين في الشتات أو مع العالم العربي.

يستعرض هذا المحور نتائج المقابلات في سياق هذه العلاقات والتقسيمات الاستعمارية؛ حول مفهومها لدى المشاركين/ات، ممارستهم لها، ارتباطها بمجالات حياتهم وأثرها عليهم. المقصد بالعلاقات هنا هو العلاقات على المستوى المحلي للبلدة الأم، والإقليمي والمناطقي سواء كان ضمن ذات التقسيم الاستعماري أو مختلف عنه، خلال التنقل بالسكن والعمل والتعليم ومختلف الأنشطة والممارسات. كذلك مع الفلسطينيين اللاجئين في الشتات ومع العالم العربي.

استعمار استيطاني صهيوني مرئي ومبطن

بغاية تحقيق أهدافه ومخططاته، يُمارس الاستعمار الاستيطاني الصهيوني نوعية تقسيمات مختلفة في المواقع الجغرافية المختلفة في فلسطين، حيث ينفذ في كل موقع تقسيمات محددة تصب في مصلحة سياسة "فرق تسد" وعزل الشعب الفلسطيني عن بعضه البعض وشرذمته. حيث فرض حصار كامل على غزة، بينما حاصر الأراضي المحتلة عام 1967 بجدار فاصل عنصري وقسم بلداتها إلى مناطق "أ، ب وج", وحدَّ من حرية الحركة داخلها بالحواجز الثابتة والطيارة، إضافة الى بوابات حديدية على بعض مداخل البلدات والمكعبات الاسمنتية والحواجز الطيارة، وأبراج مراقبة. وطبعا وضع جنوده على كل منها ليقوموا بإجراءات التفتيش والتنكيل. أما في الأراضي المحتلة عام 1948، فهو يهدف لانصهار الفلسطينيين ضمن كيانه الصهيوني وأن يظهر للعالم على شكل "دولة ديمقراطية"، بالتالي لم ينفذ التقسيمات المادية والملموسة والمرئية، بل يمارس أساليب مبطنة غير ظاهرة للعين، على سبيل المثال سن القوانين العنصرية والملاحقات السياسية وتضييقات

في الحياة اليومية. حضر هذا في حديث المشاركين/ات بالمقابلات، كل منهم بحسب تجربته والموقع الاستعماري للبلدات التي يتنقل فيما بينها.

وكما هو معروف، لا يسكن المستوطنين فقط بمستعمراتهم بل يسكن الكثير منهم في بلداتنا الفلسطينية ويطلقون عليها مسمى "بلدات مختلطة". توصف المشاركة "ز" جزء من التجربة بالعيش في هذه البلدات وتقول: "أنا خلقت باللد اللي انفرض علينا انها تكون "مختلطة"، بالتالي في كثير عبراني، واليهود بكل مكان فيها". وتضيف المشاركة "ذ" على وصف تجربتها في بلدة حيفا وتقول: "اليهود هون بكل محل، مثلا أنا بقدرش أتعامل مع حدا اسرائيلي، الموضوع هاد بضل صعب". وتشير المشاركة "ت": "بقدرش على التعامل معهن ولا وجودهن، ولا سماع اللغة تبعتهن، بالضفة برتاح منهن".

أما بما يتعلق بعلاقة التقسيمات الاستعمارية مع الألم فتوصف المشاركة "ذ": "العالم بصير أضيق بسبب الحواجز والجدار ومكعبات الاسمنت ع مداخل البلدات... والقلق والفقدان بسبب السجن والموت دايما موجود بالأفق".

يدرك الفلسطيني غاية هذه التقسيمات ويحاول تخطيها باستمرار والترفع عنها، ويتنقل بين بلدات الوطن ما استطاع إليها سبيلا. يشرح المشارك "د" المعيار باختياره للبلدة التي يسكن فيها بأنه لا يتعلق بكونها في الأراضي المحتلة عام 1948 أو 1967، وإنما هو قربها أو بعدها عن الاحتكاك المباشر مع الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، ومدى احتدام هذا الاحتكاك، فهو يختار الأقرب إلى الاحتكاك. ويقول: "زيادة الاحتكاك كثيرا ما يؤدي إلى زيادة التمسك بالهوية الوطنية. بينما اختارت المشاركين/ات "ث"، "ذ"، "خ"، "د" "ث"، أن يدمجوا المناطق المحتلة عام 1948 و 1967 في نمط حياتهن، من حيث السكن والتعليم والعلاقات والعمل.

بنهاية المطاف، مهما تعددت أشكال الاستعمار الاستيطاني الصهيوني وتنوّعت ممارساته، سواء كانت مرئية أو مبطنة، مباشرة أو غير مباشرة، يدرك الفلسطيني وجودها وسياقها الاستعماري، يتأثر منها بطبيعة الحال وتصعّب عليه حياته لكنها لا تثنيه على متابعة حياته وإيجاد سبل الاستمرار بممارسات حياته والتمسك بالهوية الفلسطينية.

المواقع الاستعمارية وأنماط فكرية وشعورية وسلوكية

نلاحظ تأثيرات كثيرة على الأنماط الفكرية والشعورية والسلوكية لدى الناس بسبب انتهاكات وممارسات الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، ونلاحظ فروق بين الناس بالمواقع المختلفة ضمن هذه التقسيمات. مثلا أن

تحمل الهوية معك دائما بالضفة، إن كنت مقدسي فأنت لا تستطيع العيش خارج القدس أو "مناطق ج" لفترة طويلة، عدم قدرة السيطرة على عامل الوقت من حيث الوصول على الوقت بسبب أزمات الحواجز الثابتة وكذلك الحواجز الطيارة، قلق أكثر لدى فلسطينيي الأراضي المحتلة عام 1948 بالتعبير على شبكات التواصل الاجتماعي بما يخص الكيان الصهيوني وأكثر لدى الفلسطينيين في الأراضي المحتلة عام 1967 بما يخص "السلطة الفلسطينية"، والكثير من الأمثلة الأخرى يصف بعضها المشاركين/ات بقولهم:

المشاركة "خ": "بال 67 الجو و "النَفَس" اقل رأسمالي، أقل تكلُّف بالتعامل ما بين الناس، الحياة الاجتماعية أبسط وأجمل وجماعية أكثر. بال 48 معايير النجاح وتقييم الناس للحياة مادي أكثر، استهلاكي أكثر وفيه سطحية معينة. بال 67 التشديد أكثر على العمل والتعليم والرصيد الاجتماعي.."، "بعد ما تعلمت بجامعة فلسطينية وسكنت بالضفة ما بين نابلس ورام الله، صار عندي هاجس من الرجعة على ال 48 ومن الاضطرار على التعامل مع الصهاينة وبحال اضطررت للعمل معهم. خاصة في مجال علم النفس المجتمعي...بنفعش".

تحدث المشاركة "ح" حول البعض من أثر التنسيق الأمني التي تقوم به "السلطة الفلسطينية" بالتعاون مع الكيان الصهيوني، وتستحضر جنين ورام الله نموذجا بقولها: "ال 48 مع جنين اكثر علاقة تجارية واستهلاك لأنه في خوف مستمر من التسكير والملاحقات بالرغم من انها اقرب جغرافيا على الجليل مثلا ومرج ابن عامر. لكن مع رام الله هي أكثر علاقة سكنى وعمل وترفيه وثقافة وعلاقات اجتماعية لأنه منفكر انها هأمن، الاحتلال والسلطة خ خلونا هيك نفكر. همي خلو عقولنا مقسمة انه احنا بأمان وين في تنسيق ومقاومة أقل. بجنين الدم أكثر فمنبعد".

يعكس كلام المشاركين/ات الأثر السلبي والمركب للاستعماري الاستيطاني الصهيوني ولتقسيماته الاستعمارية التي يفرضها على فلسطين، تتجسّد أحدى أشكال هذا الأثر في أجواء البلدات وفي اللغة المحكية، واستدخال الناس لممارسات وفِكر استعماري ورأسمالي دخيل على فلسطين. وجب التأكيد أن هذا لا يلغي ولا يتناقض مع صمود ونضال ومقاومة الشعب الفلسطيني للمخططات الاستعمارية والرأسمالية، حيث تم ذكرها في الإطار النظري ومحاور تحليل النتائج.

أحداث بالبلدة الأم

تكون البلدة الأم الحيّز الجغرافي الأول لتنشئة الفرد وتشكيل علاقاته الأولى مع المحيط فيها بكل ما يشمل من تفاصيل ويتفاعل معها من خلال العلاقات والأماكن والأحداث. والانتقال منها أو التنقل منها وإليها يكون عادة بشكل حر وبحسب الرغبة والاختيار والظروف. أما في فلسطين، يختلف الحال بحكم وجود الاستعمار الاستيطاني الصهيوني وتداعياته، تصبح الرغبة مقيّدة والاختيارات محدودة وكثيرا ما تكون قسرية وجميع الظروف متأثرة من سياق هذا الاستعمار. فعندما تكون فلسطيني الهوية، ممكن أن تكون من بلدة مهجرة ممنوع من زيارتها أو أنك تزور أنقاضها وذكراها، وإن كنت لاجئا تم تهجيرك إلى خارج الحدود الاستعمارية السياسية لفلسطين، فغالبا لن تستطيع حتى أن تزور هذه الأنقاض. وبحال كنت ما زلت تعيش في بلدتك الأم وهي ما زالت قائمة، تكون بلدتك مستهدفة من خلال مخططات مبطنة لزرع الفتن والخلافات والآفات التي تُضعف البلدة وأهلها، مثل الفقر، التجهيل، السلاح، المخدرات.

استحضر المشاركين/ات أحداث سياسية عدة مرّت فيها بلداتهم الأم أو التي يسكنون فيها، البعض من هذه الأحداث كانت البلدة ذاتها المستهدفة، والبعض الآخر كانت جزء من أحداث وطنية أفقية في فلسطين، يذكر من هذه الأحداث: مجزرة "حي الدرج" و"أم السحالي" في شفاعمرو، تهجير قرية العراقيب وأحداث مناهضة مخطط برافر في النقب، كما وذكرت بشكل خاص بلدات عكا، اللد، الناصرة، حيفا، الشيخ جراح وسعوة ضمن أحداث هبة الكرامة. وأجمع المشاركين/ات على أن جميع هذه الأحداث عززت ارتباطهم وانتمائهم وفخرهم في بلداتهم، ودفعتهم إلى الدفاع عنها جنبا الى جنب مع أهل البلد. كما وأن هذه الأحداث ساهمت في تكافل ولحمة أهل البلد.

بالمقابل، تحدث المشارك "أ" عن الأحداث الطائفية الأليمة التي حدثت ببلدة المغار عام 2005، بين الطائفتين المسيحية والدرزية، وعن تداعيات هذه الأحداث على العلاقات بين أهل البلدة، وصعوبة التعامل معها كطالب في المدرسة بحيث كانت حاضرة أيضا في أروقة المدارس ما بين الطلاب. كان لهذه الأحداث أثر عليه كفرد رفض أن يتعامل بطائفية وينحاز لفئة معينة ضد الأخرى، حيث تمت مهاجمته واقصاءه من طرف أقرانه وزملائه في المدرسة. دفعه هذا الى اللجوء للعلاقات خارج بلدته الأم وإلى الانتقال منها بعد التخرج من المدرسة.

نلاحظ أن الديناميكيات التي تشمل إقصاء وقمع للأفراد داخل محيطهم المحلي تؤثر سلبا على الشعور بالانتماء للبلدة وعلى الرغبة بالبقاء فيها، ويكون هذا الأثر محصور بما يتعلق بالبلدة ذاتها دون أن يؤثر على التمسك بالهوية الفلسطينية، بل على العكس، تحدث المشاركين/ات الذين عاشوا هذه التجربة حول سعيهم للتواجد ضمن محيط فلسطيني آخر يشعرون فيه بالانتماء وتقارب المبادئ والقيم. أما بما يتعلق بالاستعمار والأحداث السياسية التي حصلت وتحصل في مختلف البلدات الفلسطينية، من الواضح أنها تصب في تعزيز

شعور الانتماء للبلدات وشعور الفخر والعز والكرامة وتعزز كذلك رغبتهم في خدمة البلد والمساهمة في صمودها وتطويرها نحو التغيير المرغوب نحو التحرير.

العلاقات والمواقع الاستعمارية في سياق الهوية الجمعية والنضالية

الهوية الفلسطينية هي هوية متوارثة وتراكمية وجماعية ونضالية، وبحكم وجود الاستعمار الاستيطاني الصهيوني والتقسيمات الاستعمارية التي فرضها على فلسطين وأهلها وخلقه لظروف وتفاصيل معيشية وسياق استعماري مختلف بكل منطقة جغرافية بهدف التقسيم والفصل، يكون أثر التداعيات هذا الاستعمار مختلف على الفلسطينيين وفق المنطقة الجغرافية والموقع الاستعماري الموجودين في ظله. حيث تختلف تفاصيل وسياقات المعيشة في الأراضي المحتلة عام 1948 في ظل الاستعمار المبطن، عنها في غزة المحاصرة والمعزولة، عنها في الأراضي المحتلة عام 1967 ووجود "السلطة الفلسطينية" والتنسيق الأمني والحواجز، وبالطبع عن حال الفلسطينيين اللاجئين في الشتات خارج أرض فلسطين.

تجسد هذا الحال في عدة مقولات رددها المشاركين/ات بمرادفات متنوعة، أقتبس منها ما لخصته المشاركة "خ" بقولها: "بال 67 الناس عاشو أحداث بتجمعهم، من الم وممارسات وتكافل مجتمعي وحاضنة مجتمعية، هاي الامور بتربطهم ببعض اكثر من الارتباط مع مناطق ثانية. مش لإشي، بس يعني هاي الذكريات بتجمعهمش مع اهل ال 48. كانو بالشارع مع بعضهم، في تفاصيل عاشوها نفسها وفاهمينها عبعض وشافوها مع بعضهم، وباقي الفلسطينية عاشوها وساندوها وتضامنو معها بس عن بعد. بتخيل كمان بغزة هيك. ذات الشي بال 48، مرّينا بأحداث مصرتش بال 67، ولا في غزة. صحيح كلنا منساند بعض بكل محل وهيك، بس الإشي بخلق ترابط معين بين الناس اللي بتعيش مع بعضها أحداث معينة بشكل مباشر وجمعي. هاد ما بقول انه الهوية بتتقسم وانها مش وحدة، بس بقول انه في جوّاها تفاصيل جماعية بتخص كل منطقة جغرافية محددة بفلسطين".

وفي سياق الأحداث السياسية والجماعة والمجتمع، نلاحظ أن سِمات المجتمع الفلسطيني الثقافية والمجتمعية تتجسد في ميادين الواقع السياسي، على سبيل المثال "الفزعة" و"العونة" في مواسم الأفراح والأطراح وقطف الزيتون وعمار البيوت. حيث أنه عند وقوع حدث سياسي سواء كان فردي يستهدف الاستعمار الاستيطاني الصهيوني فيه شخص أو عائلة كمركب واحد، أو كان جماعي يستهدف مجموعة مقاومة أو تنظيم، حراك، مؤسسة، حي، بلدة، لا يترك الفلسطينيين بعضهم البعض في مواجهة هذا الاستعمار، بل يسندون بعضهم البعض بالموقع الجغرافي ذاته ومحيطه ومداخله وبالطريق إليه، وكذلك في مناطق جغرافية أخرى عن بعد وحتى بشكل الكتروني. نشهد هذا بما يتعلق بالأسرى عند الاعتقال والإضرابات داخل سجون

الكيان الصهيوني، الشهداء، الحروبات على غزة، هدم البيوت، مصادرات الأملاك، الاعتداءات في موسم الزيتون. تحدثت المشاركة "ح" على أهمية الحاضنة المجتمعية في فترات اعتقال وأسر والديها عند كونها طفلة، وحول دور هذه الحاضنة في صمود العائلة وقدرتها على متابعة المسار في النضال. بعض من كلامها: "وقت اعتقال امي كنت طفلة، 3 سنوات ونص والغريب اني واعية الاعتقال. كانت فترة الانتفاضة، وما بنسا الفزعة اللي كانت والحاضنة المجتمعية. كنت طفلة وقلتلك انه ابوي اصلا كان أسير من لما خلقت لحد عمر سنتين وبوقتها كان يحاول يضل حريص انه ما يرجع يُعتقل عشان يضل مع لعيلة عالأقل عبين ما تطلع امي. الناس ما تركتني لحالي ولا لحظة وكانو يساعدو ابوي بشو بلزم، كان التفاف كبير حولينا، اللي أثر علي طول عمري. من ورا هاي الاحداث تعودت اني اكون ضمن مجموعة ومحاطة بدعم الناس ووجود سند. هذا عمل لي انتماء شديد للبلد، ومع اني انتقلت من البلد وسكنت براتها، لكن بضل للعمر عندي ارتباط قوي معها".

من الحاضنة المجتمعية نتوسع إلى النضال الوحدوي لدى الفلسطينيين في مختلف أماكن تواجدهم، في فلسطين والشتات والعالم، حيث كان واضح من نتائج المقابلات على أن الفلسطيني يعيش ويُعايش الأحداث السياسية المتعلقة في فلسطين وتداعيات هذه الأحداث، حتى لو لم تحدث في الموقع الجغرافي المحدد لوجوده. والدليل على هذا ذِكر المشاركين/ات للأحداث السياسية في حديثهم، أذكر منها هنا:

- النكبة وكل ما تشمل من أحداث وتفاصيل، المجازر والتهجير.
- اللاجئين ومخيمات اللجوء في فلسطين وفي الشتات.
- الانتفاضة الأولى والثانية.
- استشهاد محمد الدرة.
- جميع الأسرى، وبشكل خاص أسرى النفق وأسرى هبة الكرامة.
- الشهداء على مر السنين.
- الحصار والجدار والحواجز الثابتة والطيارة.
- الحروبات على غزة.
- الاقتحامات، الملاحقات، التحقيقات، الاعتقالات والأسر.
- الإصابات، التنكيل، التعذيب والاغتيالات.
- التضييقات، السرقة، الحرق، المصادرة، الهدم والتهجير.
- اغتيالات قادة وطنيين منهم؛ أحمد ياسين وأبو علي مصطفى.

- أحداث محلية مثل مجزرة شفاعمرو قضاء حيفا، الأحداث الطائفية في المغار والهدم المتكرر للعراقيب قضاء السبع.
- التنسيق الأمني وتعاون "السلطة الفلسطينية" مع الكيان الصهيوني وأجهزته، ضمن هذا أحداث نضال "ارفعوا العقوبات عن عزة".
- التصدي لقانون فرض الخدمة العسكرية على الشباب الدروز، وحراك "أرفض شعبك بيحميك".
- التصدي لمخطط برافر في النقب وحراك "برافر لن يمر".
- حراك "طالعات" لمناهضة التمييز ضد النساء.
- أحداث هبة واضراب الكرامة في فلسطين عامة وبلدات اللد، عكا، القدس، الناصرة، سعوة وحيفا خاصة.

كما وبرز شعور الفخر لدى المشاركين/ات عند الحديث عن النضالات الوحدوية الجماعية، وربطوا هذا بشعور القوة بما يتعلق بالصمود ومقاومة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني وفي الأمل بتحرير فلسطين بكامل ترابها.

العلاقات بين المواقع الاستعمارية المختلفة

يدرك الفلسطيني غاية الاستعمار الاستيطاني الصهيوني بتفكيك وحدة الشعب الفلسطيني، ويستمر بالرغم من كل التقسيمات والتضييقات والملاحقات السياسية، بالتواصل والمحافظة على العلاقات الفلسطينية في كل أماكن تواجده على أرض فلسطين التاريخية وفي مخيمات اللجوء بالشتات وفي أنحاء العالم. لكن، بطبيعة الحال، يوجد لهذه التقسيمات الاستعمارية الكثير من التداعيات السلبية على الحياة اليومية وممارسات الفلسطينيين.

شدد المشاركين/ات "د" و "ح" على جوهر الأشخاص ضمن هذه العلاقات، حيث أن المعيار بالنسبة لهم هو ليس المكان الجغرافي أو الموقع الاستعماري الموجودين فيه الأشخاص وإنما المبادئ والقيم والفكر الذي يحملونه حول ما يتعلق بفلسطين ورؤيتهم لمسار التحرير. بينما يرى المشارك "ج" أنه ليس من الشرط لوجود علاقات مع فلسطينيين في مختلف أنحاء فلسطين وبالشتات من أجل تعزيز الانتماء للوطن وتقديم الواجب الوطني والسعي نحو التحرير، ويقول إن حب الوطن وبلداته والتواجد في ميدانه والمشاركة في النضال، لا يشترط على وجود هذه العلاقات، حيث شارك بالكثير من الأحداث في مختلف البلدات دون أن يعرف فيها أحد. ولكن هذه العلاقات، برأيه، حتما تصب في مصلحة الوطن خاصة بما يتعلق بالتنسيق الميداني، كما وأنها تزيد الألم الشخصي الفردي على الألم الوطني الجماعي.

يروي المشارك "ش" على القيمة المضافة لعلاقاته مع الفلسطينيين اللذين يتواجد معهم في الميدان على حياته، ويقول أن هؤلاء الأشخاص باتوا "رفاق الميدان" ومن ثم أصبحوا أصحابه المقربين الذي يقضي معظم وقته معهم ويسعون سوية لخدمة البلدة والوطن. بالمقابل، تحدث عن توجه استعلائي تلقاه ويلاحظه من الكثير من الفلسطينيين من مختلف المناطق تجاه النقب وأهله، وهو للأسف أمر مألوف لأهل النقب. وهو يعي أن هذا الاستعلاء هو أحد أشكال تداعيات التقسيمات الاستعمارية وعزل مناطق وفئات الشعب الفلسطيني عن بعضه البعض، وبرأيه دور الفلسطيني ومن واجبه ألا يخضع لهذا الاستعلاء ويسمح له بتسميم العلاقات وإنما عليه أن يسعى للتواصل وتوطيد العلاقات أكثر فأكثر. ويشدد أن هذا الاستعلاء لا يلغي وقفة ومساندة الفلسطينيين من كل المناطق مع النقب وما يعانيه، وذكر على سبيل المثال حراك "برافر لن يمر" ومساندة العراقيب بالتصدي للهدم المستمر وأحداث قرية سعوة خاصة والنقب عامة في فترة هبة الكرامة.

بما يتعلق بعلاقات الفلسطينيين بين المواقع الاستعمارية المختلفة، التالي بعض مقولات المشاركين/ات حول هذه العلاقات:

العلاقات مع الفلسطينيين في الأراضي المحتلة عام 1948:

المشاركة "ح": "العلاقة مع ال 48 هي بالنسبة الي بترمز ل-"اهمية المقاومة" لانه وقعهم مركب ومعقد اكثر عشان وجود المحتل بكل الحيز والأماكن. وهي بذات الوقت بتعمل شعور كتير تقيل بالعجز، عدم القدرة على تبادل الزيارات، انه اهل الضفة منقدرش نروح عالداخل- طبعا اللا انت عارفة كيف- ونتبادل الزيارات. يعني اذا حدا من صحابي عنده ظرف حلو او صعب بقدرش هيك ببساطة اروح عنده, ولما بدنا نشوفكو لازم انتو تيجو".

العلاقات مع الفلسطينيين في الأراضي المحتلة عام 1967:

المشاركة "ز": "التواصل والعلاقات ضرورية كثير وانها ما تكونش بس علاقات وانما نشتغل سوا بالميدان ونوحد النضال، مثال على هيك اضراب الكرامة وحراك طالعات"

المشارك "س": العلاقات مع ال48 بتساعد كمان لمعرفة تفاصيل فلسطين اكثر والسياقات والظروف بكل منطقة. هذا بأدّي لفهم أعمق لاستراتيجيات الاستعمار. وبقودنا لإتخاذ خطوات عملية وفكرية أكثر. وهيك منجهز حالنا أكثر للتحرير ولما بعد التحرير."

المشاركة "ت": "علاقاتي برام الله والضفة أوسع، حياتي كلها أوسع هناك. حددت وضيّقت حياتي بال 48. خليت هناك بس اللي بشبوهني، عدد محدود جدا...وبالضفة تعرفت على ناس من ال 48 زيي اجو يعيشو ويتعلمو بالضفة وكمان بشبهوني ومنتشارك القيم ونفس الفكر بما يخص الهوية والقضية.".

المشارك "ش": "الكثير من رجال النقب متزوجين لنساء من الضفة، لإنه وقت الخطر كانو اول ناس يرحلوهم البدو همي النساء بهدف حمايتهن، بالتالي صار في كثير زواج من نساء الضفة وهذا أدى لوجود أقارب وامتداد عائلي مع الضفة. وبالانتفاضة كانت النقب جزء لا يتجزأ منها، مش بالضرورة فقط بفضل الوعي بمفهوم التثقيف وإنما وعي بفضل العلاقات الاسرية، كانت "فزعة" و"هوية بالفطرة". الاحداث تقرب الناس لبعضها البعض. ذات الشي وقت برافر بالنقب وكمان بهبة الكرامة وأحداث سعوية والعراقيب.

المشاركة "ذ": "لما بكونوا الأهل واحد منهم من الضفة والثاني من ال48، بتصير كل تفاصيل الحياة متعلقة بهذا الموضوع منضطر نوخذه بالحسبان بكل شي بالحياة. الزيارات العائلية والمرض والعلاج والتعليم والعمل ووين بنفع نسكن".

العلاقات مع الفلسطينيين في غزة:

المشاركة "ح": وحدث بلا حرج عن العلاقات مع غزة وعدم قدرتنا على اللقاء اللا بحالات استثنائية متل ييجو يتعالجو بالضفة او خارج البلاد".

المشارك "س": "أنا بشوف إنه العلاقات مع خارج غزة بالنسبة للغزاوي هي " حاصر حصارك"، هي "لنا اخوة خلف هذا المدى". هي كسر معنوي فكري اجتماعي شعوري ووطني للحصار. بنفس الوقت هي بتفتح جروح الاستيعاب انه حياتي أصعب من حياة غيري خارج غزة. بغزة كلنا تقريبا زي بعض. مع هيك هي ضرورية لانها بتخلينا نخرج من الرومانسية ونفهم شو علينا نعمل وعلى شو لازم نشتغل. وكمان الاحداث بالسنوات الاخيرة بتعطي امل انه الحمل يتوزع على كل المناطق والتركيز ليس فقط على غزة، مع العلم انه بغزة مستعدين فدا البلد. لما في شراكة بالوعي والواجب والقيم والممارسة نحو البوصلة بصير الوضع احسن بكثير، وهيك بصير الاستنجاد بغزة " من شان الله، يا غزة يالا" محمول اكثر. ما هو برده دور البطولة والأسطورة لغزة مركب ومش سهل".

العلاقات مع الفلسطينيين اللاجئين في الشتات

المشاركة "ذ": اللقاء مع الشتات غالبا لازم يصير خارج فلسطين، وبصير على أثره ملاحقات سياسية للكل، حتى لو كان لقاء اجتماعي ترفيهي بحت.".

المشارك "ب": "احنا منلتم على بعض...لما نكون خارج البلاد بتلاقينا لما منلاقي بعض بالصدف بالشارع او بمطعم او تاكسي او بار ونسمع حدا بحكي عربي فلسطيني او منحس عليه من تعابيره أو لهجته، منتعجق ومنساعد بعض ومنصير نسأل اذا محتاجين اشي. هذا بصير مع الفلسطينية، وكمان مع العرب لما نكون ببلدان اجنبية.".

المشاركة "ذ": بالنسبة للفلسطينية بالشتات وبالعالم، احنا من ريحة البلاد، في بُعد معنوي كبير للقاء معنا، والنا كمان طبعا".

المشاركة "ح": "العلاقة مع الشتات بالنسبة الي بترمز ل-"أحقيّة المقاومة". بخلينا نتشبث بالبلد وبالتحرير. في شعور بالمسؤولية انه نحافظ على الحلم والأمل ومن جهة ثانية ننقلهم الواقع الحقيقي بدون ما نكسر الأمل وحلم العودة. وبنفس الوقت في اشيا صعب نشرحها، منكون احنا يا دوب مستوعبينها وبالقوة قادرين نعيشها وبدها كتير توضيح وشرح تفاصيل متسلسة وتراكمية مش سهل تنفهم"

". وتضيف المشاركة "ذ" حول هذا الشأن: " امرات بكون هذا حمل، لانه منكون محتاجين نبتعد عن واقع حياتنا ونفصل عنه، لكن فش مجال. اللقاء فرصة لا بتصيرش دايما ومش ممكن نخسارها ونضيعها حتى لو عبالنا اشي ثاني، عنا مسؤولية تجاه هذا الواجب.".

يؤكد كل ما ذكر أعلاه على أهمية ودور العلاقات الفلسطينية في:

- بلورة الهوية الفلسطينية.
- معرفة فلسطين بعمق ورفع الوعي والإدراك حول الظروف والسياقات الاستعمارية الاستيطانية في كل المواقع الجغرافية في فلسطين.
- المحافظة على هوية فلسطينية وحدوية جماعية وكسر التقسيمات الاستعمارية والفصل والعزل الذي يحاول الاستعمار فرضه. فهي ضرورية من أجل تفكيك وتلاشي الأفكار المغلوطة وقلة المعرفة تجاه السياقات والظروف الاستعمارية المختلفة في التقسيمات الاستعمارية المختلفة.
- التنسيق ما بين كافة المناطق الجغرافية في فلسطين، من أجل توحيد النضال الأفقي في كافة المواقع.
- تعزيز التمسك في حق العودة ونقل الواقع الحقيقي لفلسطين إلى الفلسطينيين اللاجئين.

دور الجامعات الفلسطينية في بناء العلاقات:

كما هو معروف وبحكم وجود الكيان الصهيوني، لا يوجد جامعات فلسطينية في الأراضي المحتلة عام 1948، بالتالي يرتاد معظم الفلسطينيين فيها الراغبين بمتابعة التعليم العالي الى جامعات "اسرائيلية" تتبع لهذا الكيان من حيث اللغة وسياسات القبول وشروط التعليم والأجواء والقوانين. وينحصر وجود الجامعات الفلسطينية بالأراضي المحتلة عام 1967 وفي قضاء غزة، ويرتاد إليها الفلسطينيين من هذه المناطق. هذا مع العلم باختيار الكثير من فلسطينيي الأراضي المحتلة عام 1948 بالدراسة في الجامعات الفلسطينية الموجودة في قضاء الخليل ونابلس وبيت لحم والقدس ورام الله وطولكرم، الأمر الذي يتيح تفاعل أكثر بين الطلاب

الفلسطينيين من مختلف المواقع الجغرافية. بينما جامعات قضاء غزة، يقتصر طلابها على الغزاويين بحكم الحصار الذي يفرضه الكيان الصهيوني.

أكد المشاركين/ات "ت"، "خ", "د"، "ذ" و "ر"، على أنه بالجامعات الفلسطينية يوجد حرية أكبر للقيام بنشاطات وحركات نضالية مثل تعليق الدوام ووقفة حداد وجنازة رمزية للشهداء. مع العلم انه بالفترة الأخيرة نشهد نشاط أكبر للحركات الطلابية الفلسطينية في أروقة الجامعات "الإسرائيلية" ولكنها تكون بمخاطرة أكبر ويتعرضون على اثرها لملاحقات سياسية من طرف الكيان الصهيوني وتهديد استكمال تعليمهم.

من هنا نلاحظ دور الجامعات الفلسطينية فيما يتعلق بالعلاقات، فهي حيّز يجمع الفلسطينيين من مختلف الأماكن، اضافة الى دورها التوعوي والتثقيفي حول القضية الفلسطينية والنضال الميداني. خاصة بوجود جامعات الكيان الصهيوني التي تحاول تحريف المعرفة الأكاديمية لما يخدم مصالحها والأجندة السياسية للكيان الصهيوني.

الامتداد...بلاد الشام والعالم العربي

تقع فلسطين ضمن بلاد الشام، وترتبط بطبيعة الحال مع العالم العربي، وبالرغم من كل مخططات ومحاولات الاستعمار الصهيوني، يستمر الفلسطيني بممارسة هذا الامتداد بشتى الطرق والوسائل بالرغم من كل التضييقات. برز هذا في استحضار المشاركين/ات لبلاد الشام والعالم العربي في مشاركاتهم التالية:

المشاركة "ت: "بالضفة في تواصل وعلاقات أكثر مع العالم العربي، من خلال البرامج والنشاطات والمؤسسات إن كان الثقافة والفن وكمان بمختلف مجالات العمل... بالضفة بتعيشي هويتك العربية أكثر".

"وانا متعودة على التواصل والعلاقة مع العالم العربي لإنه عيلتنا مشتتة وعنا قرايب بالبلدان العربية".

المشارك "د": " كبرت على أبوي مع فكر وانتماء عربي، ويشارك بمظاهرات بما يخص العراق وسوريا، وبوقتها كنت صغير وصرت أروح معه وأشارك، بوقتها كان أكثر لإني عربي من كوني فلسطيني".

المشارك "ش": "احنا عرب فلسطينيين، بالتالي مهم ولازم نضل نتواصل مع العالم العربي ونوصل صوتنا وقضيتنا ونحشد لها".

المشارك "ب": "شفنا وتأكدنا بالمونديال، وكل العالم شاف، انه الشعب العربي معنا، مع فلسطين. وانه كل تطبيع الحكومات ما نجحش يفكك هاي الوحدة".

المشارك "د": " بالنسبة إلي فلسطين هي راس الحربة بمحاربة الاستعمار والمشروع الرأسمالي بكل بلاد الشام".

المشارك" ب": "بحب أكون قادر على الانتماء الكلي لفكر إنه فلسطين هي امتداد لساحة عربية كبرى. إذا تنازلنا عن أي جزء بالقضية، تسقط. لا يجوز أي تنازل. وهي أوسع من أي بلد واحد أو شخص، هي قضية تمس كل إنسان حر. الحق الفلسطيني مقدس كما الأرض العربية. وزي ما قال القذافي؛ فلسطين هي المحارب الأول للأمة العربية، عدوها مش بس الكيان الصهيوني وانما كل من يدعمه...القدس هي الطريق لدمشق ولبيروت وصنعاء وبغداد وعمان وكل عاصمة عربية. البوصلة التي لا تشير الى القدس، ليست بوصلة. أي فصل هو غباء، أي انقطاع هو استئصال".

نستنتج من هذا أن الاستعمار الاستيطاني الصهيوني لم ينجح في عزل وفصل فلسطين عن بلاد الشام والعالم العربي، بل على العكس، حيث أن تهجير وشرذمة العائلات ساهمت في تعزيز هذا الترابط.

كل ما ذُكر أعلاه في محاور تحليل النتائج، ما هو إلا بعض من المشاركات الغنية والمثرية والجديرة بالتأمل بتجارب وفكر وسيرورة بلورة الهوية الفلسطينية لدى المشاركين/ات في هذه الدراسة، وهو أيضا، وبالرغم من وجود الإطار النظري المستند على نظريات ودراسات سابقة، مستند على رؤية الباحثة لتحليل هذه النتائج. حيث أنه وفق علم النفس المجتمعي لا يوجد موضوعية، مهما كانت المحاولة. وبالتأكيد أنه مع كل مراجعة للنتائج يمكن التعمق أكثر والتطرق لجوانب أكثر.

الاستنتاجات

بعد عرض وتحليل مسارات تشكيل الهوية الفلسطينية للمشاركين/ات وفق محاور مركزية، تتوصل الدراسة ضمن نتائج بحثها الى الاستنتاجات المذكورة أدناه، بحذر من التعميم المطلق حيث انها ضمن سياق المقابلات التي ارتكزت عليها الدراسة، وضمن نهج الدراسة التأملي والتشاركي الذي يفضّل ويحث القارئين على التأمل والاستنتاج بأنفسهم وعدم حصر الاستنتاجات الممكنة بالاستنتاجات المكتوبة ضمن هذا الظرف والسياق والزمن الآني:

- كل مسار وسيرورة بلورة الهوية الفلسطينية يتأثر بسياق الظرف الاستعماري الاستيطاني الصهيوني القائم حتى يومنا هذا، وكذلك تفاصيل معيشة الحياة اليومية في مختلف مناحي ومجالات الحياة والأدوار فيها، انعكس هذا من خلال حضور ما ذُكر بالإطار النظري في جميع المقابلات بهذه الدراسة، وذكر المشاركين/ات للأحداث السياسية التي حدثت منذ ولادتهم وحتى التي حدثت ما قبلها. (الأحداث مذكورة في قسم العينة في الفصل الأول)
- نلاحظ وجود اختلاف بين سردية والبعد النفسي والاجتماعي لدى الجيل الأول والثاني الذي تم استحضاره من طرف المشاركين في هذه الدراسة، وبين سرديتهم هم والبعد النفسي والاجتماعي لمسارات تشكلات هويتهم الفلسطينية. هذا يشير الى وجود مسار تحوّل عبر الأجيال يشمل تشافي ولو كان جزئيا من صدمة النكبة والتوجه نحو التمسك بأمل وفعل زوال هذا الاستعمار الاستيطاني الصهيوني. دون شك، يستدعي هذا استزادة بالبحث والتأمل والتحليل.
- عند التأمل بكيفية وصف مسارات تشكل الهوية لدى المشاركين، يمكننا الملاحظة انها مسارات متعددة الشكل، تشمل تنوّع بالمحطات البارزة والمفصلية. هذا ملفت جدا حيث ان مسارات متعددة ومتنوعة قادت لذات الحال وهو وجود هوية فلسطينية واضحة المعالم والانتماء، يعتز بها أصحابها وتتجسّد في ممارساتهم بمختلف مجالات حياتهم.

- مُلفت تنوّع التوجه والمنظور الذي ظهر لدى المشاركين/ات في المقابلات، حيث تراوح بدرجات مختلفة على محور العقلاني-العاطفي ومحور المعنوي-المعرفي. ارتكزت سردية بعض المشاركين حول أحداث وتوجهّات فكرية ومعرفية في حين أن الجزء الآخر كانت المشاعر والجانب المعنوي أكثر حضورا في سرديتهم. ولقد لاحظت وجود أمر مشترك بين الأشخاص الذين اتّبعوا التوجه الأول بحيث أنهم أشخاص الذين خاضوا انتهاكات الاستعمار بشكل مباشر مثل التحقيقات والأسر ومعاناة مباشرة وشخصية من الاستعمار الاستيطاني الصهيوني.
- الأسرى والشهداء واللاجئين الفلسطينيين كانوا حاضرين في جميع المقابلات. تم استحضارهم من طرف المشاركين/ات في سياقات الألم والمعاناة، وكذلك ضمن المسؤولية والواجب الانساني والوطني والمجتمعي تجاههم، إضافة إلى كونهم يرمزون الى القوة والصمود والنضال والبطولة.
- تتنوع التجارب ومسارات تشكيل الهوية، وتصب جميعها بنهاية المطاف الى بلورة هوية فلسطينية متينة ثابتة وجمعية.
- برزت أهمية الوعي حول تداعيات ممارسات وانتهاكات الاستعمار الاستيطاني الصهيوني على الفلسطينيين كأفراد وكجماعة وكمجتمع، وكذلك أهمية إدراك الأثر على كل مناحي الحياة وعلى الأنماط السلوكية والشعورية والفكرية وديناميكيات التفاعل بين الأفراد داخل المجتمع. هذا الإدراك يصب في أن يكون التعامل مع آفات مثل الاستعلاء وشعور الدونية والعنف ضمن السياق الاستعماري، الأمر الذي يفكك ويقلل نجاحهم في اختراق المجتمع الفلسطيني. حيث تزيد مقاومتها يكون التعامل معها كجزء لا يتجزأ من النضال وبالتمسك بالوطن والشعب الواحد وتعزيز الهوية.
- فصل الهوية عن اكتساب المعرفة والتثقيف والتعليم الأكاديمي وعن المهنة والعمل، هو أمر صعب ومركب وغير مجدي في سبيل تحرير الوطن.
- إن الحزن في فلسطين هو غالبا الحزن المُقاتل. كون الألم والمعاناة مرتبطين في جدوى تحرير الوطن وبسبب وجود الاستعمار، فهم يدفعون الناس إلى الغضب الذي يتحوّل بدوره إلى محفّز للصمود والنضال ومقاومة هذا الاستعمار. ينطبق هذا على المستوى المحلي تجاه البلدة الألم والبلدات التي يسكن فيها الفلسطيني وأيضا تجاه الوطن ككل.
- يتمسك الفلسطيني بالقيمة المعنوية أكثر من المادية. يرتبط هذا بأمل تحرير الوطن وبضرورة التمسك بالقيمة المعنوية كوسيلة نضالية. على سبيل المثال: الاختراق المعنوي للعزل والفصل والحصار والجدار والحواجز المادية الملموسة.

- تلعب العلاقات والحاضنة المجتمعية دورا مهما في الصمود وفي تعزيز الانتماء للمجتمع والشعب والوطن فلسطين، وهي عبارة عن كسر معنوي للحدود السياسية الاستعمارية في ظل محدودية الحركة ووجود حصار غزة والجدار الفاصل العنصري والحواجز التي تحيط الأراضي المحتلة عام 1967. كما وأنها تساهم كثيرا في الانكشاف على تفاصيل السياقات والظروف الاستعمارية المختلفة بحكم التقسيمات الاستعمارية. هذا بشأنه يساهم ببلورة هوية فلسطينية أمكن ومتجذرة أكثر ترتكز على المعرفة والوعي، وحدوية جمعية تشمل جميع السياقات والظروف لكنها لا تخضع لهم. هذا اضافة لأهمية هذه العلاقات في ممارسات النضال ومقاومة الاستعمار.
- يمكن ملاحظة تجسّد مقولة "انقلاب السحر على الساحر" فيما يتعلق بتهجير وشرذمة وفصل الاستعمار الاستيطاني الصهيوني للعائلات الفلسطينية، حيث نتج من هذا امتداد للعائلات في بلاد الشام والوطن العربي وهذا ساهم في توسّع وامتداد الهوية الفلسطينية وتشكيل ارتباط قوي يتعدى الحدود السياسية الاستعمارية ويخدم النضال والمقاومة في سبيل تعزيز الهوية وتحرير الوطن.
- كل مقابلة عبارة عن سردية مسار تشكل هوية فلسطينية تمتد على حياة المشارك/ة حتى لحظة المقابلة، هي مضمون غني جدا وجدير بمتابعة التأمل والتحليل والاستنتاج، ومقابلات إضافية كفيلة أن تزيدنا معرفة تساهم في موضوع الدراسة.
- تساؤل مفتوح إضافي جدير ببحثه مستقبلا، هو ما يتعلّق بالوالدية وتربية الأبناء في فلسطين. فكيف يربي الأهل أبناءهم على حب الوطن والسعي إلى تحريره بموازاة خوفهم عليهم والدافع لحمايتهم من المخاطر.
- ختاما، أن الجيل الثالث للنكبة لم ولن ينسى تاريخه ولا ماضي أجداده وتجارب أهله ولم يتنازل عن تحرير وطنه. بل على العكس، هو متمسك فيهم أكثر ويعي وجود ثمن باهظ للتحرير وعلى جهوزية لخوض هذا المسار بالرغم من كل شيء.

وفي سياق القيم والمبادئ والوعي وضرورة النضال الشمولي، نختتم قسم الاستنتاجات في اقتباس العامل (1986):**" من لا ينتصر للديمقراطية ضد الفاشية، للحرية ضد الإرهاب، للعقل والحب والخيال، وللجمال ضد العدمية وكل ظلامية، في لبنان الحرب الأهلية، وفي كل بلد من عالمنا العربي، وعلى امتداد أرض الإنسان، من لا ينتصر للثورة في كل آن، مثقف مزيّف، وثقافته مخادعة مرائية"**.

واختصرها لنا الشهيد باسل الأعرج (2015)، بلغتنا العامية وباللهجة الفلسطينية، بقوله:

" بدك تصير مثقف، بدك تصير مثقف مشتبك. إذا ما بدك تشتبك، لا منك ولا من ثقافتك ولا في فايدة منك".
(الأعرج، 2015)

الخاتمة

"إنها القاعدة في كل العصور: كلما انحازت الثقافة إلى جديد ضد القديم، إلى المتغيرّ ضد الثابت، إلى النار ضد الرماد، وإلى الحياة والحلم، اضطهُدِت واضطهُدِ المثقفون، أحباء الحرية والآفاق الزرقاء الرحبة. إنها البداهة في ضرورة أن يكون المثقف ثائرا، أو لا يكون، وفي ضرورة أن تكون الثقافة للفرح الكوني، ضد كل ظلامية، أو لا تكون. تلك مشكلة المثقف والثقافة بامتياز. وهي قضية الثورة في آن."
- (العامل، 1986).

هذه الدراسة ما هي إلا محاولة متواضعة ضمن واجبنا لنخدم الوطن ولنسخّر لأجله ما نملك من معرفة واختصاص وقدرات ومهارات، وضمن الواجب الإنساني والوطني والمجتمعي أن نوجه ممارساتنا نحو بوصلة وطن حر ومستقل.

انعكست فيها روايات فلسطينية حقيقية من محض الواقع الآني لتأكد لنا مرة أخرى أنه وبالرغم من كل مخططات وممارسات الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، بالرغم من كل الألم والقهر والثمن الغالي، إن الشعب الفلسطيني متمسك بهويته الفلسطينية وبوطنه فلسطين وسيبقى متمسك بهم ما حيا. فهي تاريخ أجداده وأهله، وهي حاضره ومستقبله، متجذرة في تفاصيل حياته بمختلف مجالاتها، يتأثر منها ويؤثر عليها. يدرك أنه ليس صراع حول حقوق ولا نزاع حول المساواة، وإنما هو نضال إنساني أخلاقي قِيَمي سامي من أجل فلسطين وكل بلاد الشام.

قد يدفع الألم الناس نحو الاحتراق النفسي والتراجع، لكن في فلسطين فإن ألمنا يتحوّل إلى "حزن مقاتل"، يزيدنا إصرارا وثباتا وتشبثا. وقد تبذل الرأسمالية ومخططات الاستعمار مجهوداً جماً ليدفعنا نحو الفردانية، لكننا في فلسطين، ندرك أننا أفرادا ضمن الجماعة، وأننا مستهدفون بسبب هويتنا التي تجمعنا، ولهذه الجماعة مجتمع متكافل يسند نفسه ويقوم من تحت الرماد والركام كل مرة من جديد، يتمسك بغضبه ليكون وقود نحو مسيرة التحرر والتحرير.

لا حصار ولا جدار ولا حاجز يفرقنا، ومهما كثرت المسميات وحتى لو إستدخلناها، فإننا بنهاية الأمر نسخر منها ونسخّرها كمرادفات لتعود إلى لغة واحدة. أما الألوان، فهي كذلك مهما تنوعت، نعود لننسجها من جديد في عَلَم واحد وهوية واحدة.

طريقنا وعر وطويل، وقد نكل ونتعب فنحن بشر وهذا مستحق، لكننا لا نملك رفاهية الاستسلام ولا التنازل، ومن هنا تأتي أهمية الوعي حول جدوى هذا النضال والمقاومة وأنها تفوق ثمنه، وضرورة التمسك بمنظومة معرفية ومنظور فكري يتلاءم مع سياقنا وبوصلتنا، فالتحرر لا يكتمل بالتحرر من الاستعمار فحسب، وإنما التحرر من كل فكر قامع وظالم. كما قالها فانون (2014): **" التحرر الحقيقي ليس بالثورة فقط بل في التحرر من إرث المستعمر".**

وختامها مع قول الأعرج (2018):

"القرارات الصعبة تحتاج يا عزيزي إلى حزم وجزم، لكن بإمكاني أن أدلك على شيء يخفف عندك بعضا من ألمك، الأمر فيه ألم بكل تأكيد، حاول أن تتذكر أن أزمتك الوجودية فعلاً ترتبط بقضية سامية أكبر من أي صراع آخر، دع هذا الأمر في رأسك سيساعدك على تخطيه،

دع فلسطين أمام عيونك"

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية

أبو رشيد، سليمان. (2022). حوار مع لمى شحادة: الاستعمار الاستيطاني وتدمير الطبيعة في فلسطين الجغرافية. **موقع 48**. الرابط: https://rb.gy/isqvqm

أبو صبح، أماني موسى. (2011). دور الهوية الجماعية الفلسطينية في تحقيق التوافق النفسي للأفراد عقب الصدمة الناجمة عن التعرض للعدوان العسكري. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الدراسات العليا، جامعة بيرزيت: فلسطين.

أبو ندا، صقر. (2014). الهوية الفلسطينية المتخيلة بين التطور والتأزم. **المستقبل العربي 37 (423)**، 81-97.

الأعرج، باسل. (2018) . وجدت أجوبتي. القدس: دار رئبال.

الإنتداب البريطاني. بدون تاريخ. موقع وفا. الرابط: https://rb.gy/bovapw

الإنتفاضة الفلسطينية الأولى. بدون تاريخ. موقع المعرفة. الرابط: https://rb.gy/vu8pf3

الأوامر العسكرية التي أصدرتها سلطات الاحتلال منذ عام 1967 بشأن المياه. بدون تاريخ. موقع وفا. الرابط: https://rb.gy/mlxxdb

الضفة الغربية: إجراءات دخول جديدة تفاقم عزلة الفلسطينيين. (2023). القدس، فلسطين: هيومان رايتس ووتش. الرابط: https://rb.gy/fvbeuc

العزة، علاء. (2015). وهم "الشباب". **السفير، فلسطين.**

الغسيل الوردي: إحدى استراتيجيات إسرائيل العديدة لصرف النظر عن جرائمها ضد الفلسطينيين. (2022). موقع فنك. الرابط: https://rb.gy/dggkf3

المرأة دور بارز في الثورة الفلسطينية. (2022). موقع وفا. الرابط: https://rb.gy/rjbdye

النكبة: حقائق وأرقام. بدون تاريخ. موقع وفا https://rb.gy/gcitbz

بسيوني، أحمد. (2023). من المثقف الفلاح إلى المشتبك: العودة إلى الأرض. **فسحة**. الرابط: https://rb.gy/rjyv2r

تاريخ الاستيطان اليهودي في فلسطين. بدون تاريخ. موقع وفا. الرابط: https://rb.gy/f2xmci

تعرف على تقسيم الضفة الغربية وفقا لاتفاقيات أوسلو. (2019). الجزيرة. الرابط: https://rb.gy/x2jokc

حباس، وليد. (2017). مفهوم الاستعمار الاستيطاني: نحو مفهوم نظري جديد. **قضايا إسرائيلية، 17 (66)**، 114- 127.

حجازي، غادة. (2014). هجرة الشباب الفلسطيني إلى الخارج (الأسباب.. المخاطر.. الحلول). **موقع دائرة العمل والتخطيط الفلسطيني.** الرابط: https://rb.gy/ggywhr

حرب حزيران 1967. بدون تاريخ. موقع وفا. الرابط: https://rb.gy/bv7maz

خليلي، علي. (1977). التراث الفلسطيني والطبقات: دراسة تراثية في طبقات المجتمع العربي الفلسطيني من خلال أمثاله الشعبية. القدس: منشورات صلاح الدين.

دريني، ليان. (2020). ماهية ومسار تشكل العلاقة الاستعمارية من وجهة نظر طلبة الجامعات الفلسطينيين. رسالة ماجستير غير منشورة. دائرة العلوم الاجتماعية والسلوكية، جامعة بيرزيت، رام الله، فلسطين.

دور المرأة الفلسطينية بين النضال وتربية الأجيال. (2014). فلسطين: نسا إف أم. الرابط: https://rb.gy/qgekok

شهادات جنود إسرائيليين: إلغاء تصاريح للفلسطينيين وتدخل المستوطنين بهدم البيوت. (2022). فلسطين: موقع عرب 48. الرابط: https://rb.gy/wabtjt

عامل، م. (1986). محاضرة بعنوان "الثقافة والثورة". طرابلس، لبنان. الرابط: https://rb.gy/watrfv

عياش، عدنان حسين. (2016). هجرة الشباب والأدمغة الفلسطينية إلى الخارج. **المستقبل العربي، 39 (453)**، 23-36.

غانم، هنيدة (2013). المحو والإنشاء في المشروع الاستعماري الصهيوني. **مجلة الدراسات الفلسطينية. عدد 96**، 118-139.

فانون، فرانز. (2004). بشرة سوداء، أقنعة بيضاء. ترجمة خليل خليل. بيروت: دار الفارابي.

فانون، فرانز. (2014) معذبو الأرض (سامي الدروبي وجمال الأتاسي، مترجمين). القاهرة. مصر: مدارات للأبحاث والنشر.

في ذكراها الـ 74.. النكبة جرح فلسطين الغائر. (2022). موقع الجزيرة. الرابط: https://rb.gy/qojjnd

قبها، لينا. (2022). قراءة في التاريخ الاستعماري الاستيطاني في فلسطين- أهم سماته ودوافعه واستراتيجياته. **مركز القدس للدراسات**. الرابط: https://rb.gy/isqvqm

مأساة "الشيخ جراح" بالقدس.. القصة الكاملة. (2021). القدس، فلسطين: موقع AA. الرابط: https://rb.gy/rsnthb

مروة، حسين. (2019). الحزن القاتل والحزن المقاتل. **موقع باب الواد**. الرابط: https://rb.gy/rctqk7

مفهوم الهوية السياسية: ما الذي يبرر انتماءك لهوية ما؟. (2015) موقع اضاءات. الرابط: https://rb.gy/n6km2x

مقابلات المشاركين/ات في الدراسة. 2022- 2023، وجاهي في مختلف أنحاء فلسطين، والكتروني مع من تعذر الوصول إليهم/نّ.

مقابلات شخصية مع د. شريف كناعنة. 2019. رام الله- فلسطين.

نادي زدني الشبابي (2015، نوفمبر 14). الهبة الفلسطينية: تحديات وفرص [فيديو]. استرجع من https://www.youtube.com/watch?v=PQ6MA7ic1dk

55 عاما مرت على نكسة 67.. عندما هزمت إسرائيل العرب في 6 أيام. (2022). موقع الجزيرة. الرابط: https://rb.gy/z7tvdl

المراجع باللغة الإنجليزية

Burton, M., & Guzzo, R. (2020). *Liberation psychology: Origins and development.* In Lillian Comas-Diaz (Ed), Liberation Psychology: Theory, Method, Practice, and Social Justice. Washington: American Psychological Association.

De Fatima Quintal de Freitas, M. (1998). Models of practice in community in Brazil: possibilities for the psychology–community relationship. *Journal of Community Psychology,* 26(3), 261-268.

Falah, Waleed Ghazi. (2003). Dynamics and patterns of the shrinking of Arab lands in Palestine. *Political Geography*, 22 (2), 179- 209.

Fanon, Frantz. (1963). *The Wretched of the Earth*. (Farrington, Constance, trans). New York: Grove Press.

Harris, C. (2004). How did colonialism dispossess? Comments from an edge of empire. *Annals of the Association of American Geographers*, *94*(1), 165-182.

Hughes, Matthew. (2012). Introduction: British ways of counter-insurgency. *Small wars & insurgencies* 23 (4-5), 580- 590.

Loomba, Ania. (2005). *Colonialism/Postcolonialism* (2ed edition.) London: Routledge.

Makkawi, I. (2004). National identity development among Palestinian student activists in the Israeli universities. *International Journal of Educational Policy, Research, and Practice*, 5(2), 19-59.

Makkawi, I. (2008). Cultural hegemony, resistance and reconstruction of national identity among Palestinian students in Israel. *Arab Studies Quarterly*, 30(4), 23-42.

Makkawi, I. (2017). Towards decolonizing community psychology: Insights from the Palestinian colonial context. In D. Boniforti, C. Albanesi & A. Zatti (eds.). Frontiere Di Comunita: Complessita a confronto (pages 7-33). DOI 10.6092/unibo/amsacta/5502

Martín-Baró, I., Aron, A., & Corne, S. (1994). *Writings for a liberation psychology.* Cambridge, Mass: Harvard University Press.

Osterhammel, Jurgen. (2000). 'Peoples without history' in British and German Historical Thought. In Peter Wende (Ed), *British and German*

Historiography 1750-1950: Traditions, Perceptions and Transfers (pp. 265-287). Oxford: Oxford university press.

Piterperg, Gabriel. (2008). *The Returns of Zionism: Myths, Politics and Scholarship in Israel*. (1st edition.) London: Verso.

Salamanca, O. J., Qato, M., Rabie, K., & Samour, S. (2012). Past is present: Settler colonialism in Palestine. *Settler Colonial Studies*, 2(1), 1-8.

Shehadeh, Lama. (2019). *Israel Management of Water Resources: Story of Nation Building, Nature Transformation, And Alienation of Palestinians From their Environment*. Unpublishe Master's thesis. Cornell University, New Yourk.

Sousa, C. &Marshall, D. (2017). Political violence and mental health: Effects of neoliberalism and the role of international social work practice. International Social Work, 60(4), 787-799.

Tawil-Souri, H. (2011). Colored identity: The politics and materiality of ID cards in Palestine/Israel. *Social text*, 29(2), 67-97.

Varas-Diaz, N., & Serrano-Garcia, I. (2003). The challenge of a positive self-image in a colonial context: A psychology of liberation for the Puerto Rican experience. *American Journal of Community Psychology*, 31(1-2), 103-115.

Veracini, L. (2011). Introducing: Settler colonial studies. *Settler colonial studies*, 1(1), 1-12.

Veracini, Loranzo. (2017). Decolonizing Settler Colonialism: Kill the Settler in Him and Save the Man. *American Indian Culture and Research Journal* 41 (1), 1-18.

Veracini, Loranzo. (2015). *The Settler Colonial Present* (1st edition.) UK: Palgrave Macmillan.

Wolfe, Patric. (2011). After the Frontier: Separation and Absorption in US Indian Policy. *Settler Colonial Studies*, 1 (1), 13-51.

Wolfe, P. (2006). Settler Colonialism and the Elimination of the Native. *Journal of genocide research*, 8(4), 387-409.